

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارُ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
٧٣

مِنْ

تَشْرِيعِ الدِّينِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩١ هـ

السُّمَرُ الثَّلَاثُ

اخْتَارَ لِنَفْسِهِ وَقَدَّمَ لَهَا رَعْلَهُ عَلَيْهَا

مَنْظَرُ الرَّاحِمِيِّ



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر
السفر الثالث

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجى. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨.٠٢ س ع د م ٢- العنصوان ٣- أبو سعد الأبي
٤- الحجى ٥- السلسلة

مكتبة الأمد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(*) من الجزء الرابع من « نثر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة
في السمر الثاني من هذه الاشتياعات .

نُكِّتَ من كلام الحكماء

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَخْرِجْ هَذَا الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ . فَقَالَ :
لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلَ .

قَالَ رَجُلٌ لَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ (١) : أَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ
يَا أَبَا مَعْبُودٍ . قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى صَدِّيقٍ . قَالَ : وَكَيْفَ
ذَاكَ ؟ قَالَ : لَأَنَّكَ لَسْتَ بِجَارٍ قَرِيبٍ ، وَلَا ابْنِ عَمٍّ
نَسِيبٍ ، وَلَا مُشَاكِلٍ فِي صِنَاعَةٍ .

وَقَالُوا : صَاحِبُ السَّوِّ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ . وَالْمَلِكُ
لَمَّا قَالَ الْقَائِلُ : مَا رَأَيْنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ خَيْرًا مِنْ
صَاحِبٍ . قَالَ الْآخَرُ : وَلَا رَأَيْنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍّ شَرًّا
مِنْ صَاحِبٍ .

(١) شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ الْمُتَقِيُّ الْبَصْرِيُّ ، فَصِيحٌ بَلِيغٌ إِخْبَارِيٌّ
تَوَفَّى سَنَةَ ١٦٢ هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنَّه كان جاهلاً ،
والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لأنَّه لم يكن عالماً .
سُئل بعضهم عن الغني فقال : شرٌّ محبوبٌ .
وعن الفقير فقال : مُلكٌ ليس فيه مُحاسبةٌ .

الفرصةُ ما إذا حاولتَ فأخطأك فدعه لم يصلْ إليك
ضربةٌ .

بلوغُ أعلى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ مِن أكبرِ أسبابِ
الهلكةِ .

كفى نبيءً يتعزُّ إذا قلَّ ، والعقلُ كما كان أكثرَ
كان أعزَّ وأغلى .

قال عامرُ بنُ عبدِ القيسِ (١) : الكلمةُ إذا خرجتْ
من القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرجتْ من اللسانِ لم
تجاوزِ الأذانَ .

قالوا : مقتتلُ الرجلِ بينَ لحيَّتيه .

(١) عامر بن عبد قيس العبدي ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة
القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥ هـ .

التَّشَبَّهْتُ نَصْفُ الْعَفْوِ .

قال أكرم^١ : الكرمُ حُسْنُ الْفَيْطْنَةِ . وَاللَّؤْمُ سُوءُ
التَّغافلِ .

قيل : أسوأ الناسِ حالاً من اتَّسعت معرفته ، وبعُدَت
مِيسرته ، وضاقَت مقدرة .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحجاجِ يقول : لأنا للعاقلِ
المُدبِرِ أَرْجى مِنِّي الْأَحْمَقِ الْمُتَقَبِّلِ .

وقالوا : أَمْرانِ لَا يَنْفَكَّانِ مِنَ الْكُذْبِ : كَثْرَةُ
الْمَواعيدِ وَشِدَّةُ الْعَتَادِ .

قال خالدُ بنُ صفوان^(١) : السَّفَرُ ثَلَاثُ عَتَبَاتٍ ؛
فَأَوَّلُهَا : الْعِزْمُ ، وَالثَّانِيَةُ : الْعُدَّةُ ، وَالثَّالِثَةُ : الرَّحِيلُ ،
وَأَشَدُّ مِنْ الْعِزْمِ .

قال أكرم^١ بنُ صَيْفِيٍّ : الْعَافِيَةُ الْمَلِكُ الْخَفِيُّ .

وقال الفضلُ بنُ سَهْلٍ : لَيْسَتْ الْفُرْصَةُ إِلَّا مَا إِذَا
أَخْطَأَكَ نَفْعُهُ لَمْ يَنْلِكَ ضَرَرُهُ .

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ٥١٢٠ هـ .

قالوا : سوءُ حملٍ الغنيُّ يورثُ مقتناً ، وسوءُ
حملٍ الفاقةِ يتضعُ شرفاً

وقال أكرمٌ : مَنْ جزعَ على ما خرجَ من يده فليجزعْ
على ما لم يصلْ إليه

قال بعضهم : ظفَرُ الكريمِ عفوٌ ، وعضوُ اللئيمِ
عقوبةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ الظفرِ ناله
عاجزٌ ، ولا يرغبَ في التضييعِ لنكبةٍ دخلتْ على حازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التوكُّلِ أن تُقالَ عشرةٌ
ثمَّ يركبها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النَّاسُ
الكثرةَ الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغبُ العدوُّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ
الولدِ ، ومحبةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كاذباً فظيرُ
الموتِ ، لفسادِ دُفياه ، وإذا كان صيداً فاشدُّ من الموتِ
لفسادِ آخرته .

قالوا : يُرضي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ الثَّامُ
بالمال ، ويُسبى النّيلُ بالإعظام ، ويُستصاحُ السّفانةُ
بالمهوان .

قالوا : أمران أنسُ بالنّهار وحشةُ بالليل : المالُ
والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثر
مرّةً في الخبار (١) لجّ به العثار ولو كان في جَدَد (٢) .
قال بعضهم : ما شيبني السّنون ، لكنّ شكري من
أحتاج أن أشكره .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُها
وقَطْرُ غيرها ، والمتكبرُ كالرّبوةِ لا يقرّ عليها قَطْرُها
ولا قطر غيرها .

يُقال : إنّه لا يصبرُ ويصدقُ في اللّقاء إلا ثلاثة :
مستبصرٌ في دينٍ ، أو غيّرُ أنْ على حرمةٍ ، أو ممتعضٌ
من ذلٍّ .

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدّد : الأرض المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتك مَنْ يَكْفِيكَ فَقْرٌ لَا
مُنْتَهَى لَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ عَنْهُ .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقيرِ ، والشُّكْرُ زينةُ
الغني .

اعتذارٌ مِنْ مَنْعٍ خَيْرٌ مِنْ وَعْدٍ مِمْلُوكٍ .

خيرُ المَزَاحِ لَا يُنَالُ ، وَشَرُّهُ لَا يُقَالُ ، وَإِنَّمَا
سُمِّيَ مَزَاحًا لِأَنَّهُ أَزِيحٌ عَنِ الْحَقِّ .

اليأسُ مِنْ أَعْوَانِ الصَّبْرِ .

قيل لبعض الحكماء : أَيُّ الْأُمُورِ أَعْجَلُ عُقُوبَةً
وَأَسْرَعُ لِمَصَابِحِهَا صَرَعَةً ؟ قَالَ : ظَالِمٌ مِنْ لَا نَاصِرَ لَهُ
إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَجَاوِرَةُ النِّعَمِ بِالتَّقْصِيرِ وَاسْتِطَالَةُ
الْعَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ .

يقال : مَنْ سَعَادَةُ الْمَرْءِ أَنْ يَضَعَ مَعْرُوقَهُ عِنْدَ مَنْ
يَشْكُرُهُ .

قَالُوا : شَيْئَانِ لَا يُعْرَفُ ظَعْنُهُمَا إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهِمَا :
الْعَافِيَةُ وَالشَّبَابُ .

نظر شابٌ إلى شيخٍ يقاربُ خطاه فقال له : مَنْ قَتَيْدَكَ ؟ قال : الذي تركتهُ يفتلُ قَيْدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكُلُ والمشربُ والنكاحُ : هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل : ولِمَ ذاكَ ؟ قال : أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشيخِ أحرصُ على الدنيا من الشاب ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدنيا ما لم ينقُه الشابُ .

قالوا : الدَّيْنُ عُقْلَةٌ الشَّرِيفِ ، ما استرقَّ الكريمُ أفضًى من الدَّيْنِ .

اختصمَ رجلانِ إلى سعيدِ بنِ المسيَّبِ (١) في النُّطْقِ والصَّمْتِ : أيُّهُما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ لكما ؟ فقالا : بالكلامِ . فقال : إذاَّ الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السُّكُوتُ أفضلُ أمِ النُّطْقُ ؟ فقال : السُّكُوتُ حتَّى يَحْتَاجَ إلى النُّطْقِ .

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، ومفقه المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع ، توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمرُكَ بالأَنتفحِ ، والمروءةُ تأمرُكَ
بالأَجملِ .

قيل لبعضهم : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُهُ
مجتمعاً في أحدٍ فأصِفَتْهُ ، وما لا يوجدُ كاملاً فلا حدَّ له .
قال الزُّهريُّ : إِذا أنكرتَ عقلك فاقدحْهُ بعقلٍ .
وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ
متعاقلٍ .

وقيل : إِنَّكَ تحفظُ الأَحققَ مِن كُلِّ شيءٍ
إلا مِن نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أَفضلُ أمِ الجَدُّ ؟ فقال :
العقلُ من الجَدِّ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره
وطاعةَ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أَتُحبُّ أن تُهدى إليك عيوبُك ؟ فقال :
أَمَّا من ناصحٍ فنَعَم ، وأَمَّا من شامتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أَضرُّ من القَواني ؟ قال :
الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التَّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجِدُّ في طلبه وقد فات .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنَّ . فقال : إن الدّنيا لمّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حذرًا .

تأمل حكيمٌ شَيْبَةً فقال : مرحباً بزهرة الحينكة ، وثمرَةِ الهدى ، ومقدِّمة العفة ، ولباسِ التقوى .

قيل : لا يسود الرجلُ حتى لا يبالى في أيّ ثوبيه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرٍ ويقول : لا أراك اللهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنّ من عاش لا بد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاّ يتحدثَ بما يُستطاعُ تكذيبه .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قَرَّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُذَمُّ الصدقُ ؟ قال : إذا كان غيبة .

صَحِبَ رجلٌ آخرَ سَيِّئَةِ الخُلُقِ فلما فارقه قال : قد فارقتهُ وخُلِقَهُ لا يُفَارِقُهُ .

الْمُزَاحُ فَحُلٌّ لَا يُسْتَجَّ إِلَّا الشَّرُّ .

المروءةُ التامةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأُ ما في الكريم أن يمنعك فداه ، وأحسن ما في
اللتيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلَّموا تَكَبَّرُوا ، وإذا تمولوا استطالوا ،
والعليةُ إذا تعلَّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصلحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحِيلِ :
العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسُدُ الأكفاءِ ، وركاكةُ
الملكِ (١) .

قيل لحكيم : أي شيء من أفعال العباد يشبه أفعال
الله ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقَالُ : السَّخِي شجاعُ القلبِ ، والبَخِيلُ شجاعُ
الوجهِ .

البَخِيلُ يعيشُ عَيْشَ الفقراءِ ، ويحاسبُ مُحَاسِبَةَ
الأغنياءِ .

(١) الركاكة : الضعف .

العزلةُ توفرُ العرضَ ، وتسُرُّ الفاقةَ ، وترفعُ
ثِقْلَ المكافاةِ .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الحلوةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجرِّبه ، كما أنَّ خيرَ الدرِّ ما لم
تثقبْهُ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السماءِ التوفيقُ ، وأجلُّ
ما يصعدُ إلى السماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كَفِيلٌ (١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشْتَاقُ إلى السفرِ بدارٍ سَلَامَةٍ .

قال حكيمٌ : مَنْ الذي بلغَ جَسِيماً فلم يبطُرْ ،
واتَّبَعَ الهوى فلم يعطِبْ ، وجاورَ النساءَ فلم يفتنْ ،
وطلبَ إلى اللُّثامِ فلم يسهُنْ ، وواصلَ الأشرارَ فلم
يندامَ ، وصحبَ السُّلطانَ فدامتَ سلامتُه ؟ .

اثنانِ يهونُ عليهما كلُّ شيءٍ ؛ العالمُ الذي يعرفُ
العواقبَ ، والجاهلُ الذي يجهلُ ما هو فيه .

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنيتَ لتزوله
الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضتَ لفقده
الحياةَ .

لِتَكُنْ النَوَائِبُ مِنْكَ بِبَالٍ ، فَأَكْثَرُ الْمَكَارِهِ فِيمَا
لَمْ يُحْتَسَبْ .

قال سفيانٌ : ما وضعَ أحدٌ يده في قصعةٍ غيرهِ
إلاّ ذلٌّ له .

وقال أبو حمزة السَّكُونِي : قال لي أبو عبيدٍ الله :
من أكلَ من ثريدِنا وطُشِنَا رقبته .

قال رجلٌ لمعروف (١) : يا أبا محفوظ ، أتحركُ
لطلبِ الرِّزْقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلْ تحركُ ، فإنه
أصلحُ لك . فقال : أمثلُك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟
فقال : ما أنا قلتهُ ولا أمرتُ به ، ولكنَّ الله تعالى قاله
وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهَئِذَا إِلَيْكَ بِجُذْعٍ

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد
علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٥٢١٠ .

النَّخْلَةَ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (١) ولو شاء
أن يُنْزِلَهُ عَلَيْهَا بَلَا هَزُّ لِفَعْلٍ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمَةَ بِيَابِ بَلَدِي (٢) فقلتُ
له : ما جاء بك إلى ههنا ؟ فقال : بَنَاتِي .

قال وهب : الدراهمُ حَوَاتِمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمَعَاشِرِ
بَنِي آدَمَ ؛ لَا تُؤْكَلُ وَلَا تُشْرَبُ ، وَأَيْنَ ذَهَبْتَ بِخَاتَمِ
رَبِّكَ قَضَيْتَ حَاجَتَكَ .

قال لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُدْنِيكَ
مِنَ الدُّنْيَا ؟ فقال : هي وإن أدنتني من الدُّنْيَا فَقَدْ صَانَتْني
عنها .

قال لسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (٣) : ما أَشَدَّ حُبَّكَ
لِلدَّرَاهِمِ ! فقال : ما أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَشَدَّ حُبًّا
لِما يَنْفَعُهُ مِنْنِي .

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في
أيام عثمان .

(٣) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَهْلِي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد
فقيه عالم توفي ١٩٨ هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغت في العلوم ؟ قال : إلى
الوقوف على القصور ، عنها .

قال ابن السَّمَك : الكمال في حَمَسٍ ، ألاَّ
يعيب الرَّجلُ أحداً يعيب فيه مثله حتى يُصلح ذلك العيبَ
من نفسه ، فإنَّه لا يفرغ من إصلاح عيب واحدٍ
حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيب النَّاسِ ،
والثانية ألاَّ يُطلقَ لسانه ويده حتى يعلمَ أيُّ طاعةٍ
ذاك أو في معصية ، والثالثة ألاَّ يلتبسَ من النَّاسِ
إلاَّ مثلَ ما يُعطِيهم من نفسه ، والرابعة أن يسألَ من
النَّاسِ باستشعارِ مُداراتهم ، وتوفيتهم حقوقهم ،
والخامسة أن يُنفقَ الفضلَ من ماله ويحسكَ الفضلَ
من قَوْلِهِ .

قالوا : إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمارٍ قَطُوفٍ (١)
مَدِينِي ، وإذا أدبرت أدبرت على البُرَاقِ .

التَّوَدَّةُ حَسَنَةٌ في كُلِّ شَيْءٍ إلا في المعروفِ
فإنَّها تُنَغِّصُهُ .

(١) القَطُوف : البطيء .

أصابه متأملٌ أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ أو كادَ .
قيل لبعضهم : كيف لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟
قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلِّ جديدٍ لذّةٌ إلا من الإخوانِ .
العجزُ عجزانٍ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ،
والجِدُّ في طلبه وقد فات .

قال يزيدُ بنُ أسيدٍ : أسرُّ السرورِ قفلةٌ
على غفلةٍ .

قيل : سِنَّةٌ لا تُخطئهم الكتابةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ
بالغنى ، ومُكثِرٌ يخافُ على ماله ، وطالِبٌ مرتبّةٍ
فوقَ قدرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهلِ الأدبِ
وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ
كثُرَتْ ألوانُ دوابّه (١) .

قال عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعراً
لبكيتُ على المروقةِ .

(١) لأنه يستدير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبت الراحةَ انْفِسي فلم أجد شيئاً
أروِّح لها من تركِ مالا يعينها ، وتَوَحَّشْتُ في البرِّيَّةِ
فلم أرَ وحشةً أشدَّ من قرينِ سوءٍ، وشهدتُ الزحوفَ (١)
واقفيتُ الأقرانَ فلم أرَ قِرنًا أغلب للرجل من امرأةٍ سوءٍ ،
وفظرتُ إلى كلِّ ما يُنْذِلُ العزیزَ وتكسره فلم أرَ شيئاً
أذلَّ له ولا أكسرَ من الفاقة .

قالوا : أوَّلُ أمرٍ العاقلِ آخرُ أمرٍ الجاهلِ .
قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أم
صديقك ؟ قال : إنَّما أحبُّ أخِي إذا كان صديقاً .
قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك جنوه ،
وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شره .
كان الكنديُّ يقول : المسترشدُّ مُؤْتَمِّي والمحرَّسُ
مُلْتَقِي (٢) . وكان يقول : العبدُ حر ما قنعَ والحرُّ عبدٌ
ما طمع .

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : محتقن لا يزال يلقاه مكروه .

فيل لمحمد بن الجهم (١) بعد ما أخذ ماله :
أما تفكر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لا بد من الزوال ،
والآن نزول نعمتي وأبقي خير من أن أزول عنها وتبقى .
قال الشافعي : اغتنموا الفرصة فإنها تخلص أو
تُغصص .

أغاظت سفيه " لحليم فليل له : لِمَ لَمْ تغضب ؟ فقال :
إن كان صادقا فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذبا
فبالحرى ألا أغضب .

قال بعضهم : ما أحسن حُسنُ الظن إلا أن منه
العجز ، وما أجهل سوء الظن إلا أن فيه الخزم .

لما قبض ابن عيسىنة صيانة الخليفة قال : يا أصحاب
الحديث ؛ قد وجدتم مقالا فقولوا . متى رأيتم أبا عيال
أفاح ؟ وقال : كانت لنا هيرة ليس لها جراء فكانت
لا تكشف القدور ، ولا تعيث في الدور ، فصار لها جراء
فكشفت عن القدور ، وأفسدت في الدور .

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي للمهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أمرتُ به وكان خطأً
لم أذممتُ عليه ، وإذا فعلتُ ما لم أؤمر به وكان صواباً
لم أحمده عليه .

قال آخر ما استنبط الصوابُ بمثل المشورة ،
ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضة
بمثل الكبر .

قيل لروح بن زنباع : ما معنى الصديق ؟ قال :
هو لفظٌ بلا معنى ، يعني ليعوزَه .

وقال آخر : السَّفرُ ميزانُ الأخلاق .

قال عليُّ بنُ عبيدة : العقلُ ملكٌ والخيصالُ
رعيتُه ، فإذا ضعف عن القيام عليها وصلَّ الحالُ إليها .
قال : الكذابُ يُخيفُ نفسه وهو آمنٌ .

قال بعضهم : لو لم أَدعِ الكذبَ تأثمتُ لركتُه تَكْرَماً .
وقال آخر : لو لم أَدعِ الكذبَ تَعَفُّتُ لركتُه تَنْظَرُفاً .
وقال آخر : لو أَدعِ الكذبَ تَحَوُّباً (١) لركتُه تَأْدُباً .
وقال آخر : لو لم أَدعِ الكذبَ تَوَرُّعاً لركتُه تَصَنُّعاً .

(١) التحوب : البعد عن الإثم .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزيارة مملٌ كما أن التفریطَ فيها مُخِلٌ .

قال العتيُّ (١) : إذا تناهى الغمُ انقطع الدَّمْعُ .
وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أُنّا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلُ إلّا الحقَّ فما أجْدُ .
وقال غيره : إذا وليَّ صديقٌ لك ولايةً فأصبته على العُشرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصد ابنُ السَّماك رجلاً في حاجة لرجل فتعسَّرَ ، فقال له : اعِلم ، أنِّي أَتَيْتُكَ في حاجة ، وإنَّ الطالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضِيَتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاختَرْتُ لنفسك عزَّ البَدَلِ على ذُلِّ المنعِ ، واختَرْتُ لي عزَّ التَّجَرُّعِ على ذُلِّ الرَّدِّ . فقضاها له .

وقصد آخرُ آخرَ مرَّةٍ في حاجة فتلاوى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى مَعْنَى فخبَّره وقال للمسئول :

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ، أنباري أديب شاعر توفي سنة ٢٢٩ هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأسواق توفي سنة ١٦٢ هـ .

أخبرني حين غبوتُ إليك في حاجتي ، أحسنُ بك الظنَّ ،
وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لك الشكرَ ، وأمشي إليك
بقدمِ الإجلالِ ، وأكلمُّك بلسانِ التواضعِ ، أصبتُ
أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحيمَ الرجلُ وقال : بل أصبتَ .
وقضى حاجته وسأله المعاودة .

قال أبو العتاهية : قلتُ لعلِّي بن الهيثم (١) : ما يجبُ
للصديقِ ؟ قال : ثلاثٌ نحللُ : كتمانُ حديثِ الخلوةِ ،
والمواساةُ عند الشدةِ ، وإقالةُ العثرةِ .

قيل : سوءُ حملِ الغني يورثُ المدحَ ، وسوءُ
حملِ الفقاعةِ قد يتضعُ الشرفُ .
قيل : الهوى شريكُ العصى .

قيلَ نصوفي : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنِّ
باللهِ وسوءُ الظنِّ بالناسِ .

ثلاثةٌ لم يُمنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السَّاطانِ ،
ولُفشاءُ السرِّ إلى النساءِ وشُرْبُ السُّمِّ للتجربةِ .

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونفا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب
المستخدمين بديوان المأمون .

لكل شيء محل ، ومحل العقل مُجاساةُ الناس .
أعجبُ الأشياء بديهةُ أَمْنٍ وردت في مقامِ خوف .
قال ابنُ المقفّع : الحرصُ مَحْرَمَةٌ ، وأبلجُ
مَقْتَلَةٌ ، فانظرُ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ
في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُدبراً ، وانظرُ مَنْ
يَطْلُبُ بالإجمالِ والتكريمِ أحقُّ أن تسخوَّ نفسه له أم
مَنْ يطلبُ بالشرِّ والحرصِ .

قال بكرُ بنُ المعتمر (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ
أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهلٍ ليُقَدِّمَ على الأمور :
فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ مُتَوَقِّفٌ مُرَقَّبٌ مُتَخَوِّفٌ .
قال ابنُ المقفّع : عملُ الرجلِ بما يعلمُ أنه خطأٌ
هوَى ، والهُوى آفةُ العفافِ ، وتركُهُ للعملِ بما يعلمُ
أنَّهُ صوابٌ هَوانٌ ، والتَّهَوُّنُ آفةُ الدِّينِ . وإقدامه
على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أم خطأٌ لِعِجَاجٍ ، واللَّعِجَاجُ
آفةُ العقلِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّ الصِّدْقِ السَّكُوتُ عنه أمثلُ ؟
قال : تزكيةُ المرءِ نفسه .

(١) بكر بن المعتمر كان مقرباً للأُميين ، قلده ديوان الخاتم ،
ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثةٌ يؤثرون المال على أنفسهم :
تاجرُ البحرِ ، والعاملُ بالأجرِ ، والمرثي على الحكم .
قالوا : قبَّحَ اللهُ الدنيا ، فإنَّها إذا أقبلتْ على الإنسان أعطته
محاسن غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسن نفسه .
أعجزُ الناسِ من قَصَّروا في طلبِ صديقِهِ ، وأعجزُ
منه مَنْ وجده فَضِيحَةً .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئن أصبحتِ الدنيا
بك مشغولة لتمسين^٢ منك فارغة^٣ . فقال : أنفق^٤ ما يكون
التمعبُ إذا وعد كَذَّابٌ حريصاً .

اجتمع علماء العربِ والعجمِ على أنَّه لا يُدركُ
نعيمٌ إلا بيؤسٍ ، ولا راحةٌ إلا بتعبٍ .

العاداتُ قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئاً في سرِّه وخلواته
فضحه في علانيته وعند الملائكة .

قيل : المني تَخْلِقُ العقلَ ، وتُفْسِدُ الدينَ ،
وتُزْري بالقناعة .

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠ هـ .

قال قتيبةٌ لحُصَيْن : ما السرُّورُ ؟ قال : عقلٌ يُقيمُك ،
وعلمٌ يُزيِّنُك وولدٌ يَسُرُّك ، ومالٌ يَسَعُك ، وأمنٌ
يريحُك ، وعافيةٌ تجمعُ لك المِسرَّاتِ .

أسرَّ رجلٌ إلى صديقٍ له حديثاً فلما استقصاه قال
له : أفهيمتُ ؟ قال : بل نسيتُ .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسرِّ ؟ فقال : أجمدُ
المخبر وأحلفُ للمستخبر .

والعربُ تقول : من ارتاد لسره فقد أذاعه .

وقالوا : الأخُّ البارُّ مَغِيضُ الأسرارِ .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لا يكتبُ ، قال : تلك
الزَّمانَةُ الخَفِيَّةُ (١) .

قال بعضهم : قديمُ الحُرْمَةِ وحديثُ التَّوْبَةِ
يَمُحِقَانِ ما بينهما من الإساءةِ .

قالوا : ركوبُ الخيلِ عزٌّ ، وركوبُ البراذين (٢)
ذِلةٌ ، وركوبُ البغلِ مَهْرَمَةٌ ، وركوبُ الحميرِ ذُلٌّ .

(١) الزَّمانَةُ : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع بردون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسودُّن العبد : الصدقُ والأدبُ
والفقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكُمُه التجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيِّمُ الرجالِ
تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قريشٍ لشيخٍ : علِّمْنِي الحلمَ .
فقال : هو الدَّلُّ ، أفتصبرُ عليه ؟ .

ويقال : ماقلٌ سَفْهَاءُ قومٍ إلا ذُلُّوا .

وعزَّى رجلٌ الرشيدَ فقال : ياأمير المؤمنين ،
كان لك الأجرُ لابلِكَ وكان العزاءُ لك لاعنِكَ .

كان يقال : لك ابنُك ربحانُك سبعا ، وخادمُك
سبعا ، ثم عدوٌّ أو صديقٌ .

قيل لبعض الحكماء : ماالشيءُ الذي لايتَحُسَّنُ أن
يُقَال وإن كان حقًّا ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسهُ .

جلس بعضُ الزُّهَّادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ،
فمرَّ به رجلٌ يسمُّرُفه . فقال للتاجرِ : هذا فلان الزَّاهدُ

فأرخص ما تبعه منه . فغضب الزاهد وقام وقال :
إنما جئنا لنشري بدراهمنا لا بيمداهبنا .

قيل لبعضهم : ما الشيء الذي لا يستغنى عنه في
حال من الأحوال ؟ فقال : التوفيق .

قيل لبعض من يطالب الأعمال : ما تصنع ؟ قال :
أخدمُ الرجاء ، حتى ينزل القضاء .

قال بعضهم : أوسع ما يكون الكريم مغفرة ،
إذا ضاقت بالمذنب المندرة .

قال آخر : أمتع الجلساء الذي إذا عجبته عجب ،
وإذا فكته فكهته طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكته
لم يلمك .

قيل لبعضهم : متى ينحمد الغني ؟ قال : إذا
اتصل بكرم . قيل : فمتى تذم القبطنة ؟ قال :
إذا اقترنت بلثوم .

قال مالك بن دينار (١) : من طأب العلم لنفسه
فالقليل يكفي ، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ٨١٢٧ هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيئُكَ في حاجةٍ فإن شئتَ
قضيتها وكُنَّا جميعاً كريمين ، وإن شئتَ منعتهَا وكُنَّا
جميعاً لثيمين .

قال بعضُ النُّسَاكِ : قد أعياني أنْ أنزلَ على رجلٍ
يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئاً .

قيل : مثْلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ مثْلُ الصَّابُونِ
لِلثَّوْبِ يُنْقِئُهُ وَلَكِنْ يُخْلِقُهُ .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبُولِ ، والحسبُ إلى
الأدبِ ، والسُّرورُ إلى الأمنِ ، والقُربى إلى المودة ،
والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشرفُ إلى التواضعِ والنجدةُ
إلى الجِدَّةِ هـ

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ
مَحْبُوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من
مغبوطٍ بنعمةٍ هي دأؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونفعٍ في ضرٍّ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحسدُ خلقٌ دنيٌّ ، ومن دناءته
أنه يُوكَلِّلُ بِالْأَقْرَبِ فالأقربُ .

قال قتادة^(١) : أو كان أحدهم مكتفياً من العلم
لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام إذ قال : « هل
أتبعك على أن تعلم مني ما علمت رشداً »^(٢) .
قال دغفق^(٣) بن حنظلة : إن للعالم أربعاً :
آفة ونكد وإضاعة واستجاعة فأفقه النسيان ، ونكده
الكذب ، وإضاعته وضعه في غير موضعه ، واستجاعته
أنك لا تشيع منه .

قال بعضهم : عيادة النوكى الجلوس فوق القدر ،
والمجيء في غير وقت .

قال أكثم بن صيفي : « أحب أن أكتفى كليل
أمر الدنيا . قالوا : وإن أسمنت وأنبئت ؟ قال :
نعم . أكره عادة العجز . »

قال أبو عثمان : كتب شيخ من أهل الرّي على باب
داره : جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيراً ، فأما

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي
سنة ٨١٢ هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفق بن حنظلة الشيباني السدوسي ، نابة العرب .

أصدقائونا الخاصة فلا جزأهم الله خيرا ، فإننا لم نؤت قط إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهل البصرة : مالك لا ينمى مالك ؟ قال : لأنني اتخذتُ العيال قبل المال ، واتخذ النامسُ المالَ قبل العيال .

كان خالدُ بنُ صفوانَ يكره المزاح ويقول : يصيبُ أحدهم أخاهُ ويصكُّهُ بأشدَّ من الحديدِ ، وأصلبَ من الجندلِ ، ويفرغُ عليه أحراً من المِرْجَلِ ثم يقول إنَّما مازَحْتُهُ .

كان يقال : لا ينبغي الحاقلُ أن يشاورَ واحداً من خمسةٍ : القطَّانَ والغزَّالَ والمعلِّمَ وراعي الضأنِ ولا الرجلَ الكثيرَ المعاداة للنساءِ .

قال رجلٌ لابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : ما تركَ لك أبوك ؟ قال : تركَ لي مالا كثيراً . فقال : لا أعلمُك شيئاً هو خيرٌ لك مما تركَ أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضياعَ على حارمٍ ، والرقيقُ جَمالٌ وليس بمالٍ ، فعليك من المالِ بما يَعمُوكَ ولا تعمُوكَ .

وقيل لخريم الناعم (١) : ما النعمة ؟ فقال : الأمن ؛
فإنه ليس بالخائف عيش ، والغنى ؛ فإنه ليس لفقر
عيش . والصحة ، فإنه ليس لسقيم عيش قيل : ثم
ماذا ؟ قال : لا مزيد بعدها .

قيل : خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره .
أراد رجل الحج . فأتى شعبة بن الحجاج (٢)
فودّعه فقال له شعبة : أمّا إنك إن لم تَرَ الحِلْمَ ذلاً ،
والسفة أفقاً ستلِمَ حجّك .

روى عن بعض الأئمة أنه قال : الإنصافُ راحةٌ ،
والإلحاحُ قِحةٌ ، والشُّحُّ شناعةٌ ، والتَّواني إضاعةٌ ،
والصحةُ بضاعةٌ ، والحياةُ وِضاعةٌ ، والحرصُ مَقْقرةٌ ،
والدّناءةُ محقرةٌ ، والبُخلُ غلٌّ ، والفقرُ ذلٌّ ،
والسخاءُ قُرْبَةٌ ، واللّومُ غُرْبَةٌ ، والذّلةُ استيْكانةٌ ،
والعجزُ مَهانةٌ ، والأدبُ رِياسةٌ ، والحزمُ كِياسةٌ ،

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .
(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث
الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأساً في العربية
والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ١٦٠ هـ .

والعُجْبَةُ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجفةُ زللٌ ،
والإبطاءُ مكلٌّ .

ثلاثةُ أشياء لا ثباتَ لها : المالُ في يدٍ من يبدُرُ ،
وسحابةُ الصيفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشَّيْبِلِي (١) : ما الفرقُ بينَ رقٍّ العبوديةِ ورقٍّ
المحبةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أعتقَ صار حرّاً ،
وبين عبدٍ كلِّما أعتقَ ازدادَ رِقّاً ؟ .

قالوا : الزَّاهدُ في الدِّينارِ والدِّرهمِ أعزُّ من الدِّينارِ
والدِّرهمِ .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف
أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصَّلَاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ
أوسَّعُ له بخلافِ ما أوسَّعُ للفقيرِ .

سُئِلَ بعضهم : أيُّما أحمدُ في الصَّيِّ الحياءِ أم
الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنَّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ
يدلُّ على جبنٍ .

(١) الشَّيْبِلِي قيل اسمه دلف بن جندو وقيل : جعفر بن يونس ،
زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال تروفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربّ حَرَبٍ جُنَيْتَ بِلُظْفَةٍ ، وربّ وُدٍّ
عُرس بِلَحْظَةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشر بن الحارث (١) كثرة العيالِ
فقال له : فَرَّغَكَ فلم تشكره ، فعاقبك بالشغلِ .
كان يُقال : إذا تزوّج الرجلُ فقد ركبَ البحرَ ،
فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ الناسُ الذي لا يُفشي سرّه إلى صديقه
مخافةً أن يقعَ بينهما شيءٌ فيُفشيّه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا فلا يلوموا إلاّ أنفسهم :
الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمُتَأَمِّرُ على ربّ البيتِ في
بيته ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهله ، وراحي الفضلِ من
الثام ، والدّاخِلُ بين اثنين لم يُدْخلاه ، والمُستخفُّ
بالسلطانِ ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ
بحديثه على مَنْ لا يسمعه .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحَةُ ، وثمرَةُ التّواضعِ
المحبّةُ ، وثمرَةُ الصبرِ الظَّفَرُ .

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الحافي ، زاهد له
مناقب وُلِدَ سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٢٧ هـ .

قال بعضهم : نحن في دهر الإحسان فيه من الإنسان
زِلَّةٌ ، والجميلُ غريبٌ ، والخيرُ بِدعةٌ ، والشفقةُ
مَلَقٌ . والدعاءُ صِلَةٌ ، والثناءُ خِدَاعٌ ، والأدبُ
مَسْأَلَةٌ ، والعلمُ شَبَكَةٌ ، والدينُ تَلْبِيسٌ ، والإخلاصُ
رِياءٌ ، والحكمةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَدَارٌ ، والإطراقُ
ترهيبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والهدلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَزَمٌ
والإنفاقُ تبذيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهل بن هارون فجعل يُسِيسُهُ
كلاماً سخيلاً من صنوف الهزل ، فقال له : تنح عني ؛
فإنه لا شيء أَمِيلُ إلى ضده من العقل .
قيل لبعض العلماء : أيُّ عِلَقٍ (١) أنفَسُ ؟
فقال : عقلٌ صُرِفَ إليه حظ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرِّشَادَ ؛ وكَفَاكَ أدباً
لنفسك ما كرهتَ من غيرك . الجَزَعُ من أعوان الزَّمان .
الجودُ حارسُ الأعراض . العفوُ زكاةُ القلب . اللطافةُ
في الحاجةِ أجدى من الوسيلة . مِن أشرفِ أفعال الكريم
غَفْلَتُهُ عما يعلم .

(١) الملق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشَّرَفِ أَشدُّ من احتمالِ بَطَرِ
الغِنَى وذِلَّةِ الفقرِ مانعةٌ من الصَّبْرِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أبعَدُ النَّاسِ سَفَرًا ؟ قال :
من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عُبيد (١) : أعياني شيئان : درهمٌ
حلالٌ وأخٌ في الله . .

استشارةُ الأعداءِ من بابِ الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللهُ بعدَ هلاكِ أهلكه برأيه ،
وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هلكَ .

قال أكرمُ بنُ صيفي : الحرُّ لا يكونَ صريحَ بطنه
ولا قرَّجيه .

قيل : سِتُّ خِصَالٍ تُعَرِّفُ في الجاهلِ : الغَضَبُ
من غيرِ شيءٍ ، والكلامُ في غيرِ نفعٍ ، والعَطِيَّةُ في
غيرِ موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوه . وإفشاءُ
السِّرِّ ، والثَّقةُ بكلِّ أحدٍ .

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ٨١٣٩ هـ .

قال محمد بن واسع : إني لأغبط الرجل ليس له شيء
وهو راضٍ عن الله .

قالوا : سوء العادة كمين لا يؤمن .

التجني وافد القطيعة .

مينك من نتهاك ، وليس منك من أغراك .

يا عجباً من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد .

من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في عدوه
ما يسره .

تورث الضغائن كما تورث الأموال .

كم من عزيز أذله خسرته ، وعزيز أذله خلقه .

لا يصلح التائم لأحد ولا يستقيم إلا من فرق أو
حاجة ، فإذا استغنى أو ذهبت الهيئة عاد إلى جوهره .

قيل لبعضهم : ما أبقى الأشياء في أنفس الناس ؟

قال : أما في أنفس العلماء فالندامة على الذنوب ،
وأما في أنفس السفهاء فالخقد .

إذا انقضى ملك القوم جبنوا في آرائهم .

الضعيفُ المحترسُ من العدو القويُّ أقربُ إلى السَّلامةِ
من القويِّ المغترِّ بالعلمِ الضعيفِ .

الحزنُ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمُ قدرةٍ .
كلُّ ما يؤكلُ يَنْثُنُ ، وكلُّ ما يُوهَبُ يَأْرَجُ (١) .
لا يصعبُ على القويِّ حملُ ، ولا على اللّيبِ عملُ ،
ولا على المتواضعِ أحدُ .

الطرشُ في الكرامِ ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ،
والكَيْسُ في القصارِ والملاحَةُ في الحولِ ، والتَّبلُ
في الرِّبْعَةِ ، والدِّكَاةُ في الحُرْسِ ، والكِبَرُ في العُورِ ،
والبَهْتُ في العميانِ .

بالكُفَّةِ يُكْتَسَبُ الأصدقاءُ وبكلِّ شيءٍ يُمكنُ
اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النَّاسِ أكثرُهم كسباً من حرامٍ ؛ لأنَّه استدانَ
بالظلمِ ما لا بدَّ له من ردِّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيَّامَ
عُمُرِه ، ومنعَه في حياته من حقِّه ، وكان خازناً لغيره ،

(١) يَأْرَجُ : يفوح طيبه

واحتملَ الدَّيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَطُولَبَ بِهِ فِي حِينِ
فَقْرِهِ .

الْأَمُّ النَّاسُ مِنْ سَعَى بِنَاسٍ ضَعِيفٍ إِلَى سَاطَانٍ جَائِرٍ .
أَعْسَرُ الْحَيْلِ تَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ
الْعَاقِلِ الْمُمَيِّزِ .

الرَّيْبَةُ ذُلٌّ حَاضِرٌ ، وَالْغَيْبَةُ لَوْمٌ بَاطِنٌ .
الْقَلْبُ الْفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ السَّوَاءِ ، وَالْيَدُ الْفَارِغَةُ
تَنَازِعُ إِلَى الْإِثْمِ .

لَا يَصْرِفُ الْقَضَاءُ إِلَّا خَالِقُ الْقَضَاءِ .

لَا كَثِيرٌ مَعَ إِسْرَافٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ احْتِرَافٍ ،
وَلَا ذَنْبٌ مَعَ اعْتِرَافٍ .

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَقْدَرُ أَنْ يُحْفَظَ الْجَاهِلُ إِلَّا مِنْ
نَفْسِهِ .

الْمَتَعَبِدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَحِمَارِ الرَّحَى يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ .
الْمَحْرُومُ مِنْ طَالٍ نَصَبُهُ ، وَكَانَ لغيرِهِ مَكْسَبُهُ .
كَيْفَ يَحِبُّ الدُّنْيَا مِنْ تَغْرِهْ ، وَتَسْوِوْهْ أَكْثَرَ مِمَّا تَسْرُهُ .

مع العجلة الحِظَارُ ، وربما خَطِيء المخاطرُ
بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرجالِ البخلُ والجُبْنُ وهما خَيْرُ
أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الحِذلانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَةُ السِّمَاءِ أَحَدُ الحِصْبَيْنِ ، وكثرةُ المالِ عند
البِخْلَاءِ أَصْعَبُ الحِذْبَيْنِ .

من سوءِ الأدبِ مؤانسةُ من احتشمَكَ ، وكشفُ
خَلَّةٍ من سَتَرها عندَكَ ، والتزوعُ إلى مشورةٍ لم
تُدْعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ (١) : نِعَمَ القومُ السُّؤالُ ؛
يدقُّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجِّهون إلى الآخرةِ
شيئاً بشيءٍ ؟ .

* * *

(١) إبراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، نقله الطحاوي سنة ٢٩٢ هـ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخَرُ مِنَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاكَةِ .
وهو ما جاء لَلْفُظِ لَهُ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فإلینْ له الكلامُ ،
وإذا غضبَ اللّيمُ فخذْ له العصا .

وقال بعضهم : غَضِبَ العاقلُ في فعله ، وغَضِبَ
الجاهلُ في قَوْلِهِ .

قال بعضهم وقد رأى رجلاً يتكلمَ فَيَكْثُرُ :
أنصفْ أذنيكَ من فَمِكَ ؛ فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أَذنانِ
وَفَمٌ واحدٌ لتسمعَ أَكْثَرَ ممّا تقولُ .

قالوا : دَعِ المَعاذِرَ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا مَفْاجِيرٌ .

وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ (١) : دَعِ الاعتذارَ فَإِنَّهُ
يَخَالِطُهُ الكَذِبُ .

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٨٩٦ عن تسع وأربعين

سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحكمة : أشكرُ لمن أنعمَ عليك ،
وأنعمُ على من شكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحَمَقى ، واحفظْ
حِفْظَ الأكياسِ . يعني العليم .

قالوا : مُروا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ،
والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عودُ نفسك الصَّبرَ على جليسِ السوءِ ،
فإنَّه لا يكاد يُخطِئَكَ .

قال حاتمٌ لعديِّ ابنِهِ : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشرَّ
يتركُكَ إن تركته ، فاتركه .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كنوبٍ ،
فإنَّه يقرِّبُها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ،
ولا إلى أحقٍّ ؛ فإنَّه يريدُ أن ينزعَكَ فيضرَّكَ ؛ ولا إلى
رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنَّه يجعلُ حاجتَكَ
وقايةً لحاجته .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتُهُ من
رؤوسِ المكابيلِ والسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إِيَّاكَ وَصَدَرَ الْمَجْلِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ
صَاحِبُهُ ، فَإِنَّهُ مَجْلِسٌ قُلْعَةٌ (١) .

قالوا : احذروا صولةَ الكريمِ إِذَا جَاعَ ، واللثيمِ
إِذَا شَبِعَ .

قال بعضهم : سِرُّكَ دَمُكَ ؛ فَلَا تُجَرِّبْنَهُ فِي غَيْرِ
أَوْدَاجِكَ .

كان يقال ، إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ ؛ فَإِنَّهَا تُصَيِّرُكَ
إِلَى ذَلَّةٍ الْاِعْتِدَارِ .

قال بعضهم : إِذَا أُرْسِلْتَ لِتَأْتِيَ بِعَرِيَّاتٍ بِتَمَرٍ ،
فِيؤْكَلُ تَمْرُكَ . وَتَعْنَفُ عَلَى خِلَافِكَ .

قالوا : إِذَا وَقَعَ فِي يَدِكَ يَوْمُ السَّرُورِ فَلَا تُخْلِهِ
فَإِنَّكَ إِذَا وَقَعْتَ فِي يَدِ يَوْمِ الْغَمِّ لَمْ يُخْلِكَ .

قالوا : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِيَ رَجُلًا فَانْظُرْ مَنْ
عَدُوُّهُ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعَادِيَ رَجُلًا فَانْظُرْ مَنْ وَلِيُّهُ .

قيل : إِذَا قَلَبْتَ أَحَدًا مَهْمًا فَعَجَّلْ لَهُ مَنَفَعَةً ،
وَأَجْمَلْ لَهُ فِي الْعِدَّةِ ، وَابْسُطْ لَهُ فِي الْمُنِيَّةِ .

(١) قلعة : يتحول منه .

قال بعضهم : الانقباضُ من الناسِ مكسبةٌ للعداوة ،
والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السوء ، فكنْ بينَ المنقبضِ
والمسترسلِ ؛ فإن خيراً الأمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمرَكَ كَنَفَقَةٍ دُفِعَتْ إِلَيْكَ .
قَالَتْ لَا تَحِبُّ أَنْ يَلْذَهَبَ مَا تُنْفِقُ ضَيَاعاً ، فَلَا تُذْهَبْ
عمرَكَ ضَيَاعاً .

قيل : مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ فَاحْذَرْ
أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ .

لا تستعنْ في حاجتكِ بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لك .
لا يؤمنُ منك من شيرِ جاهلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن
أنحرفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .
لا ترفعْ نفسَكَ عن شيءٍ قربَكَ إلى رئيسِكَ .
كنْ في الحرصِ على تفقُّدِ عيبِكَ كعموك .
عليكَ بسوءِ الظنِّ فإنَّ أضرارَ فالخرمِ ، وإن
أخطأَ فالسلامةُ .

رضا الناسِ غايةٌ لا تُلْرَكُ ، فتحرَّ الخَيْرِ بجهدِكَ ،
ولا تكثرْه سَخَطَ مَنْ يرضيه الباطلُ .

إذا رأيت الرجلَ على باب القاضي من غير حاجةٍ
فاتهمهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال :
يا بني ، ساهلٌ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أَكْثَرَ ممَّا
تنالُهُ من غَرَضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِقٌ ، فلا تبدلْ رِقَّكَ
لمن لا يعرفُ حَقَّكَ .

وقال بعضهم : احذرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعَكَ
الشَّيْطَانُ فيمثلَ لكَ التَّوَانِي في صورةِ التَّوَكُّلِ ،
ويورثَكَ الهُوبَ بالإِمْحَالَةِ على القَدَرِ ، فإنَّ اللهَ أمرَنَا
بالتَّوَكُّلِ عندَ انْقِطَاعِ الحِيلِ ، وبالتَّسْلِيمِ للقضاءِ بعدَ
الإِعْذَارِ فقال : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلَا
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبي عليه السلام : « اِعْتَقِلْ وَتَوَكَّلْ » .

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكن عنايةك بحفظ ما اكتسبت كعنايتك
بأكتسابه ، ولا تصحب غنياً ؛ فإنك إن ساويته في
الإتفاق أضربك ، وإن تفضل عليك استدلك .

إذا سألت كريماً حاجة فدعه يتفكر ؛ فإنه
لا يفكر إلا في خير . وإذا سألت لثيماً حاجة فخافصه (١)
ولا تدعه يتفكر فيتغير . وفي ضد ذلك : إذا سألت
لثيماً حاجة فأجله حتى يروض نفسه .

العلو عدوان : عدو ظلمته ، وعدو ظلمتك .
فإن اضطررك الدهر إلى أحدهما فاستعن بالذي ظلمك ؛
فإن الآخر مَوْنورٌ .

لا تستصغرن أمرَ عدوك إذا حاربتهم ، لأنك إن
ظفرت به لم تُحمت ، وإن ظفرك لم يُعذر ، والضعيفُ
المحتسِرُّ من العلو القوي أقرب إلى السلامة من القوي
المغترِّ بالضعيف .

لا تصحب من يحتاج أن تكتصه ما يعرفه الله منك .
صنِ الاسترسال منك حتى تجد له مستحقاً ،
واجعل أنسأك آخر ما تبدله من ودك .

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطالبَ جهادَ المغالبِ ، ولا
تشكلي ائتكالَ المستسلمِ ؛ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ من السُّنةِ ،
والإجمالَ في الطالبِ من العِفَّةِ . وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ
رزقا ، ولا الحرصُ يجالبُ فضلا .

سمعَ بعضهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا
إنما تُسملي على حافِظِيكَ ، وتكتبُ إلى ربِّكَ ؛ فانظرْ
على مَنْ تُسملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضهم : أقيمِ الرغبةَ إليكَ مقامَ الحرمةِ بك ،
وتمنَّهمُ نفسَكَ عن التعظيمِ ، وتطولُ ولا تتَّطاولُ (١) .

قال آخرُ : عامِلُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَةِ ،
والأوساطَ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ والسَّفْلِ بالمهوانِ .
كنْ للعدوِّ المكاتيمَ أشدَّ حذرًا منك للعدوِّ المبارزِ .

قال سلمٌ بنُ قُتَيْبَةَ (٢) : لأهل بيته : لا تَمَازِحُوا

(١) التطولُ : التفضلُ ، والتطاولُ : الترفعُ على الناسِ ، والتطولُ
مدحٌ ، والتطاولُ مذمومٌ .

(٢) سلم بن قتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه
المنصور البصرة مات سنة ١٥٩ .

فبستخفَّ بكم المُوَقَّةُ . ولا تلتحلوا الأسواقَ فتدِقَ
أحلاقكم ولا ترَجَلُوا فيزُدَ ريتكم أكفأؤكم .

قال آخرُ : احفظْ شيئاً ممن تستحي أن تسأله عن
شيءٍ إن ضاع لك .

إذا كنتَ في مجلسٍ فلم تكنِ المحدثَ ولا المحدثَ
فقم .

قالوا : لا تُدْخِلْ في مشورتك بخيلاً فيقصرُ
بعقلك ، ولا جباناً فيُخَوِّفَكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الختمُ حتمٌ ، فإذا أردتَ أن
تختيمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختُمُ على عقلك .
كان يقال : إذا قال أحدكم : والله . فليُنظرْ
ما يضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكلابيُّ على معاويةَ
فقال : يا أميرَ المؤمنينَ جالسِ الألباءَ ، أعداءُ كانوا
أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياةَ بمُجالسةِ مَنْ
يُسْتَحْيَا منه .

كان يقال : إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه
من صديق .

قال العباس بن الحسن العلوي (١) : أعلم أن
رأيتك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم من أمورك ،
وأن مالك لا يغني الناس كآتهم ، فانحصص به أهل
الحق ، وأن كرامتك لا تطبق العامة ، فتوخ بها أهل
الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حوائجك
فأحسن قيسمتك بين عملك ودعائك .

وكان يقال : أحيوا المعروف - بلماتته .

وقال قيس بن عاصم (٢) : يابني اصحبوا من
يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديته لديكم .

وكان مالك بن دينار يقول : جاهدوا أهواءكم كما
تجاهلون أعداءكم .

إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم .

* * *

(١) العباس بن الحسين العلوي شاعر بي حاشم وأديبهم . حاش في
عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المثنوي أسلم سنة ٥٩ هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ،
وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفرًا فقال له بعضهم : إنَّ لكلَّ رفقةٍ
كاتباً يَشْرُكُهُمْ في فضلةِ الرّادِ ، ويَسْهَرُ دُونَهُمْ ، فإنَّ
قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقتِكَ فافعلْ ، وإيّاكَ وتأخيرَ
الصّلاةِ عن وقتِها فإنَّك مُصَلِّيها لا محالةً ، فصَلِّها وهي
تُقبَلُ منك .

قال ابنُ السّماك : إنَّ مِنَ النّاسِ ناساً غرَّهُم
السّترُ ، وفتنَّهم الثّناء . فلا يغلِبُنَّ عليكَ جهلُ
غيرِكَ بكَ عِلْمِكَ بنفسِكَ .

قيل : لا تثقنَّ كلَّ الثّقةِ بأخيكَ ، فإنَّ صرعةَ
الاسترسالِ لا تُستَقالُ .

من أمثال التّرك : اسكتْ تَربحْ ما عندكَ ، وشاورْ
تَربحْ ما عند غيركَ .

قيل : لا تكنْ مثلَ من تغلبهُ نفسُهُ على ما يظُنُّ
ولا يغلبُها على ما يَستيقنُ انتقمُ من الحرصِ بالقناعةِ كما
يُنْتَصَرُ من العدوِّ بالقصاصِ .

أوصى أبو الهذيل (١) أصحابه فقال : لا تدخلوا

(١) أبو الهذيل هو محمد بن الهذيل بن عبد الله ، مشهور بكنيته وهو
شيخ المعتزلة توفي سنة ٢٣٥ هـ .

في الشهادة فتصيروا أسراء الحكام ، ولا في القضاء ،
 فإن فرحة الولاية لا تنفي بترحة العزل ، ولا في رواية
 الحديث فيكذبكم الجهال والصبيان ، ولا في وصية
 فيطعن عليكم بالخيانة ، ولا في إمامة الصلاة فمن
 شاء صلى وراءكم ومن شاء لم يصل . وقال : لا تجالسوا
 من لا يوثق بدينه وأمانته ، ولا تبدأوا المخالفين بالسلام
 فإنهم إن لم يجيبوا تقاصرت إليكم نفوسكم ولحقتكم
 خجلة .

عود نفسك السماع ، وتخير لها من كل خلق
 أحسنه ، فإن الخير عادة ، والشر لاجاجة ، والصدود
 آية المقت ، والعالي آية البخل .

كن سَمَحاً ولا تكن مُبَدِّراً ، وكن مُقَدِّراً
 ولا تكن مُقَشَّراً .

إياك والمرئقي السهل إذا كان المنحدر وعراً .

احرس من ذكر العليم عند من لا يريد ،
 ومن ذكر القديم عند من لا قديم له ، فإن ذلك يحدث
 التعشير ، وبالمحرى أن تتخذ سلماً إلى الضغن عليك .

إذا زللتَ فارجعْ . وإذا نلستَ فأقلعْ ، وإذا
أسأتَ فاندَمْ . وإذا مَننتَ فاكثُمْ ، وإذا مَنعتَ
فأجملْ . ومن يُسلفِ المعروفَ يكنْ ربحهُ الحمدَ .

اطلبِ الرِّحمةَ بالرِّحمةِ .

اتَّقِ العِثَارَ بحسنِ الاعتبارِ .

لا تستأنسْ بمن لم تبُلْ خلائقهُ .

لا تأمنِ العدوَّ على حالِ .

لا تفرحِ بالرجاءِ فإنه غرورٌ ، ولا تتهجّلِ الغمَّ بالخوفِ
فإنَّه شكٌّ .

حاسبِ نفسَكَ تسَلِّمٌ وتَسَعَّدٌ .

ان يخلو أحدٌ من ذمٍّ ، فاجهدْ أن تخلو من ذمٍّ
الأخبارِ .

حاربْ عدوكَ ما حاربَكَ بشخصِهِ ، فإذا أخفى
شخصَهُ فاحرُسْ نفسكَ منه ، لأنَّ مَنْ يعلمُ أنه
لا ينجيهِ منكُ إلا الموتُ لا ينجيكَ منه إلاَّ مثلُ ذلكِ ،
والمستسلمُ للموتِ لا يبالي على ما أقدمَ .

احلرُ فلتاتِ المِزاحِ وصرعاتِ البَغْيِ .

لا تجاهدِ الطَّلَبَ جهادَ المُغالِبِ ، ولا تتكلَّ على
القَدَرِ اتكالَ المُستَسَلِمِ فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ سُنَّةٌ ،
ولاجمالِ الطلِبِ عِفَّةٌ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةَ رِزْقاً ،
ولا الحرصُ بجالبِ فضلا ، والرِزْقُ مقدُّورٌ والأجلُ
موقوفٌ ، وفي استعجالِ الحريصِ اكتسابُ المآثمِ .
لا تشبهنَّ رضاكَ بغضبِكَ ، فتكون ممَّن لا يضرُّ
غضبه ولا ينفعُ رضاه .

اغتنمِ العملَ مادامت نفسُكَ سليمةً ، واجعلْ كلَّ
ساعةٍ بشغلها لأخرتك غنيمةً .

لا تكوننَّ لغيرِ الله عبداً ما وجدتَ من العبوديةِ بدءاً .
احمِ نفسَكَ القنوطَ ، واتَّهمِ الرجاءَ .
لا تُغيِّرْ أخاكَ واحمدِ الذي عافاك .

انظر ما عندك فلا تَضَعْهُ إلا في حقِّه ، وما ليس عندك
فلا تأخُذْهُ إلا بحَقِّه .

احتملْ مِمَّنْ أدلَّ عليكَ ، واقبَّلْ مِمَّنْ اعتذرَ إليك .

لِيَكُنْ عَمَلُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَعْدَاكَ الْعَدْلَ ،
وفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْدِقَائِكَ الرِّضَا ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ خَصَمٌ
تَصْرِفُهُ بِالْحِجَّةِ ، وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ . وَالصَّدِيقُ لَيْسَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رِضَاةٌ وَحُكْمُهُ .

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْدَعَ النَّاسَ فَتَغَابَ عَلَيْهِمْ .
إِذَا صَافَاكَ عَدُوُّكَ رِيَاءً مِنْهُ فَتَلَقَّ مَصَافَاةَ إِيَّائِكَ
بِأَوْكَدِ مَوْدَةٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا أَلْفَ ذَلِكَ وَاعْتَادَهُ خَلَصَتْ
لَكَ مَوَدَّتُهُ .

فَكَبِّرْ قَبْلَ أَنْ تَعْزِمَ ، وَأَعْرِضْ قَبْلَ أَنْ تَصْرِمَ ،
وَتَدَبَّرْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ ، وَشَاوِرْ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخَرُ مِنْ الْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْآدَابِ وَهُوَ
مَا كَانَ فِي أَوَّاهٍ « مَتْنٌ »

مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ كَثُرَ عَدُوُّهُ .
مَنْ يَصْحَبُ الزَّمَانَ يَرِ الْهُوَانَ .
مَنْ لَمْ يَمْتَ لَمْ يَفُتْ .
مَنْ صَدَّقَ النَّاسَ كَرِهَهُ .
مَنْ يَطْلُ ذَيْلُهُ يَنْتَطِقُ بِهِ .
مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غُصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ نَوِ
غُصَّ بِغَيْرِهِ أَجَازَ بِهِ غُصَّتَهُ .
مَنْ أَكْرَأَسَقَطَ .
مَنْ اتَّبَعَ غِيَّ النَّاسِ كَانَ أَغْوَى .
مَنْ لَقِيَ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَاوَا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ .
مَنْ أَحَبَّ الذُّكْرَ فَلَيْسَتْ عَمَلِ الصَّبْرِ .

وَمَنْ شَحَّ عَلَى دِينِهِ فَلَيْسَتْ عَمَلُ الْخَوْفِ ، وَمَنْ ضَنَّ
بِعِرْضِهِ فَلَيْسَ عَنِ الْمِرَاءِ .
مَنْ صَفَا قَلْبُهُ صَفَا لِسَانُهُ .

مَنْ خَلَطَ خُلُطَ لَهُ .

مَنْ لَمْ يَضِنَّ بِالْخَلْقِ عَنْ أَهْلِهِ فَهُوَ عَيْنُ الْجَوَادِ .
وَقَالَ الصَّادِقُ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَيْقَظَ .
فِتْنَةً فَهُوَ أَكْلُهَا .

وَمَنْ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ
اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ
النَّارِ كَفَّ عَنْ الْمَحَارِمِ ، وَمَنْ زَهَّدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ
بِالْمَصَائِبِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرِ .
وَقَالُوا : مَنْ اسْتَغْنَى كَرُمَ عَنْ أَهْلِهِ .

مَنْ قَرَّبَ السَّقِيلَةَ وَاطَّرَحَ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ
اسْتَحَقَّ الْخَيْدَ لَانَ .

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر عند
الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨ هـ .

من انتقم انتصف ، ومن عفا تفصل ، ومن شفا
غِيظَه لم يُدْكَرْ في النَّاسِ فَضْلُهُ .

من كظم غيظه فقد حلّم ، ومن حلّم فقد
صبر ، ومن صبر فقد ظفّر .

من طلب الدنيا بعمل الآخرة خسرهما ، ومن
طلب الآخرة بعمل الدنيا ربحهما .

قال بعضهم : مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ أَرْبَعِ حُرْمَةٍ
اللَّهِ عَلَى النَّاسِ : حِينَ يَغْضَبُ وَحِينَ يَرْغَبُ ، وَحِينَ
يَرْهَبُ ، وَحِينَ يَشْتَهِي .

قال بكر بن عبد الله : مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ
وَاعِظٌ عَارِضُهُ سَاعَةَ الْغَفْلَةِ وَحِينَ الْحَمِيَّةِ .

من أمتل أحداً هابته ، ومن قصر عن شيء عابه .

قيل لحكيم : مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً ؟ قال : مَنْ لَمْ
يَتَّقْ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَتَّقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ أَثَرِهِ .

قيل لبعضهم : مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ ؟ قال : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْادِيهِ عِنْدِي قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قال : مَنْ
كَثُرَتْ أَيْادِي عِنْدَهُ .

كَانَ يُقَالُ : مَنْ طَالَ صِدْقُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ
مَا يَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ .

مَنْ طَلَبَ مَوْضِعًا لِسِرِّهِ فَقَدْ أَفْشَاهُ .

قِيلَ لِلْحَكِيمِ : مَنْ أَنْتَعَمَ النَّاسُ حَيْثَا ؟ فَقَالَ :
مَنْ كُفِّيَ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ آخِرَتِهِ .

وَقِيلَ : مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حَظُّهُ . وَمَا جَعَلَ
اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلًا وَافِرًا إِلَّا اِحْتَسَبَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ .
مَنْ قَالَ : لَا أَدْرِي . وَهُوَ يَتَعَلَّمُ أَفْضَلُ مِنْ
يَدْرِي وَهُوَ يَتَعَظَّمُ .

مَنْ انْتَحَلَ مِنَ الْعِلْمِ الْغَايَةَ لَمْ يَكُنْ بِلُجْهِهِ نَهَايَةً .
مَنْ يَدَّعِ الْعِلْمَ جُلَّتْهُ أَعْقُلُ مَنْ يَدَّعِيهِ كُلُّهُ .
مَنْ جَاعَ بَاعَ .

مَنْ أَحْسَنَ الْاسْتِمَاعَ اسْتَعْجَلَ الْإِنْتِفَاعَ .
مَنْ حَلَّمَ سَادَ . مَنْ اعْتَرَفَ بِالْخَرِيرَةِ فَقَدْ اسْتَحَقَّ
الْغَفِيرَةَ (١) .

(١) الْغَفِيرَةُ وَالْغَفْرَانُ يَمْنَى وَاحِدٌ .

من رَغِيبٍ عن الإخوانِ جَسُرَ على الزَّمانِ .
 من اتَّبَعَ هواهُ أَضَلَّهُ .
 من جَهِيلٍ النِّعَمَ عَرَفَ النُّقَمَ .
 من كانت له فِكْرَةٌ فَلَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةٌ .
 من انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ آمِنَ الْغُصَّةِ .
 من سَكَتَ فَسَلِمَ كَانَ كَمَنْ قَالَ فَتَغْنَمَ .
 مِنْ كَرِهَ الْإِطْحَاحَ لَمْ يَنْلِ النَّجَاحَ .
 مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .
 مِنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، حَجَبَ عَنِ الْعْيُونِ عَيْبَهُ .
 مِنْ كَثُرَ مَحْتَدُهُ حَسُنَ مَشْهُدُهُ .
 مِنْ خَبُثَتْ عُنُوفُهُ سَاءَ مَحْضَرُهُ .
 مِنْ خَانَ هَانَ .
 مِنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ وَلَاحَ .
 مِنْ اسْتَوَاطَ مَرْكَبَ الصَّبْرِ فَلَجَ (١) .
 مِنْ أَخَذَ فِي أُمُورِهِ بِالْإِحْتِيَاطِ سَلِمَ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ .
 مِنْ تَشَرَّ صَبْرُهُ طَوَى أَمْرَهُ .

(١) فلج : نفق .

من امتنَّ بمعروفه أفسدهُ .
 من قلَّ حياؤه كثرَ ذنبه .
 من لَانَ عوده كثرَت أغصانهُ .
 من حسنَ خلقه كثرَ إخوانه .
 من يُبْشِرْ بِبصيرتك من العمى أكملُ ممَّن يُصيحُ
 بصرك من القلدي .
 من غرَّه الشبابُ تقطعت به الأسبابُ .
 من ختمَ البيضاةَ أمينَ الإضاعة .
 من نظَرَ بعينِ الهوى حارَ ، ومن حكَمَ بعينِكمِ
 الهوى جار .
 من ساءَ خلقه عذَّبَ نفسه . من أحبَّك نهاك ،
 ومن أبغضك أغراك . . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ
 الاعتذارَ .
 من طال صرُّه ضاقَ صدره .
 من احتاجَ إليك ثقلَ عليك .
 من زرعَ شيئا حصدهُ ، ومن قدَّمَ خيرا وجدَّه .

من تنزّه عن المطامع لم يُعْتَبِدْ .
 من لم يحتمل بشاعة الدواء دامَ ألمه .
 من تعلّل بالمتى أفلس .
 من اغتاب خرقاً ، ومن استغفر رقعاً .
 من بخلّ عليك ببشريه لم يجِدْ عليك ببشريه .
 من كَفَّ عنك شرّه فاصنعْ به ما سرّه .
 من تشاغلَ بالسُّلطانِ لم يتفرّغْ إلى الإخوان .
 من استغنى برأيه فقد خاطرَ .
 من عرف الأيتامَ لم يُغْفِلِ الاستعدادَ لها . من أحبَّ
 مَنْ لا يعرفه فإِنما يُسَارِحُ نفسه .
 من حصّن شهوته صانَ قدره . من ضاقَ خلقه
 مله أهلُه .
 من تقدّم بحسنِ النيةِ بصيرةُ التّوفيقِ . من قاربَ
 الناسَ في عقولهم سَلِمَ من غوائلهم . من التحفَّ
 بالقناعة حاله العزّ .
 من كانت له إلى الناس حاجةٌ فقد خُذِلَ .

من عاج الشوق لم يستبعد الدار . من يزرع
الشوك لا يحصد به العنب .

من اطمأن قبل الاختيار ندم .
من وصلك وهو معدم (١) خير ممن جفاك وهو
مكثير .

من لم يفض على القلدي لم يرض أبداً .
من تقلبت به الأحوال علم جواهر الرجال .
من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الدين
والعبر .

من تأدب صغيراً انتفع كبيراً .
من عدل سفيها عرّض لاشتيم نفسه .
من زنى زني به .
من عتب على الدهر طالت معتبه .
من سأل فوق قدره استحق الحرمان .
من شتم حلماً رجع ذمياً .
من كفر الشعمة منيع الزيادة .

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

من لم يدارِ عيشته ماتَ قبلَ أجلِهِ .
 من لاحَى الرجالَ ذهبَ كرامتُهُ . من اتَّخَذَ
 التَّقْوَى صاحباً كانتْ له رِداءٌ من المَلِيَمَاتِ .
 من كتمَ الأطباءَ مرضَهُ فقد غَشَّ نفسه .
 من أَحَبَّ أن يصْرِمَ أخاهُ فأنَّ قُومَهُ ثم يَنْقَاضَهُ .
 مَنْ أَحَبَّكَ لشيءٍ زالَ حُبُّهُ بزوالِهِ .
 مَنْ قالَ في الناسِ ما يكرهونَ قالوا فيه ما لا يعلمون .
 من طلبَ ما عتَدَ السَّاطانُ باغْلِيظَةً لم يزدَدْ منه
 إلا بُعْداً .

من عاملَ الناسَ فلم يَظْلِمُهُمْ ، وحدثَهُمْ فلم
 يكذبَهُمْ ، ووعدَهُمْ فلم يُخَافُهُمْ ، فقد حَرُمَتْ غِيْبَتُهُ ،
 وَكَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ، وَوَجِبَتْ
 أُخُوَّتُهُ .

من استَحْيَا من غَيْرِهِ ولم يَسْتَحْيِ من نفسه فليسَ
 لنفسِهِ عِدهَ مَقْدَارٌ .

من أدَبَ وَلَدَهُ صَغِيراً سُرَّ بِهِ كَبِيراً .

من كَثُرَ خَيْرُهُ كَثُرَ زَائِرُهُ .
 من أطال الحديثَ عَرَّضَ نفسه للملالة وسوء الاستماع .
 من أظهرَ شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إليه فاحذر أن يَكْفُرَ نعمتكَ فيما أسديتَ إليه .
 من نحدثَ بحديثٍ قبل أن يتدبره لم يسلم من عيبه .
 من نظَرَ في العواقبِ لم يَشْفِ غيظَه .
 من زوجَ كريمته من سقيهِ فقد عَقَّها .
 من منعَ برةً قلَّ أنصارُهُ .
 من أطلقَ لسانه أهدرَ دمه .
 من تذكَّرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عليه لم يستعملْ قُدْرَتَه في ظلم عباده .
 من منعَ النَّاسَ ما يريدُ منهم مثله ظلمَ نفسه .
 من استقصى على النَّاسِ قلَّ صديقُه ، ومن أغضى على العوراء (١) سهَّلَ طريقه .

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغر عمله ،
ونظر في دنياه إلى من هو دونه ليستكثر ما أعطى فقد
وفق لحظته .

قال يحيى بن أكثم : من لم يرج إلا ما هو
مستوجب كان قمينا أن يدرك حاجته . من عرف
نمار الأعمال فهو جدير ألا يغرس ألا طيباً . من
صحب الحكماء ظفر بحسن الثناء .

من اغتر بالعدو الأريب خان نفسه .
من عديم ماله أنكره أهله ومعارفه . من جانب
هواه صح رأيه .

من عاقب بريثا فنفسه عاقب .
من عرّضت له بليّة رُحيم ، ومن جناها ذم .
من لم يجلس في شبيبته حيث يتهوى جلس في كبره
حيث لا يهوى .

من لم يركب المصاعب لم ينل الرغائب .
من كان أغلب حصاله عليه الإحسان اغتفرت
زكّته ، وأقيلت عشرته .

من ردَّ الكرامةَ نصبَ شركاً وثيقاً للعداوة .
 من بخلَ بدينه عَظُمَ ربحُه .
 من قاهرَ الحقَّ قُهرَ .
 من تركَ التَّوَقِّيَ فقدِ استسالمَ لِقضاءِ السُّوءِ .
 من لم تؤدِّ بهُ المواعظُ أدبتهُ الحوادثُ .
 من تعودَ الكفايةَ لم يعرفَ مقدارَ الراحةِ .
 من لم يعرفَ قدرَه أوشكَ أن يَبدلَ ، ومن لم يدبِّرْ
 ماله أوشكَ أن يَفْتَقِرَ .
 من رَقَّ وجهُه رَقَّ عِلمُه .
 من لم يتحرَّرْ بعقله من عقله هلكَ من قبيلِ عقله .
 من حُرِّمَ العقلَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في حياته ،
 ومن حُرِّمَ الجُودَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في سُلْطانه ،
 ومن حُرِّمَ الفهمَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في قَضائِهِ .
 من رَضِيَ عنه الجميعُ المختلفونَ استحقَّ اسمَ
 العقلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسة السلطان وآداب الرعيّة

قال بعض الحكماء : إن قلوب الرعيّة عزائنُ
واليها فما أودعه وجدّه فيها .

قالوا : صنفان متباينان إن صلح أحدهما صلح
الآخر : السلطان والرعيّة .

قال بعض الحكماء : إذا صحبت السلطان فلتكن
مداراتك له مداراة المرأة القبيحة لزوجها ؛ فإنّها
لا تدع التصنّع له في كل حال .

قال الأعمش : إذا رأيت العالم يأتي باب السلطان
فاعلم أنه ليس . قال بعض الحكماء : ليسغلق السلطان
باب الأُنس بينه وبين كفوّاته الذين تنفّذُ أمورهم
في ملكه ؛ فإن مؤانسته إياهم تبعث عليه بهم الجرأة وعلى
الرعيّة الغشم .

قالوا : صنفان لو صلحا صلح جميع الناس الفقهاء
والأمراء .

قيل : من دخل السلطان يحتاج أن يدخل أعمى
ويخرج أخرس .

قيل للعتابي : لم لا تقصدُ الأمير ؟ قال : لأني
أراه يُعطي واحداً لغير حسنة ولا يد ، ويقتلُ آخرَ
بلا سبب ولا ذنبٍ ولست أدري أيَّ الرجلين أكونُ
أنا ، ولست أرجو منه مقدار ما أُنَاطِرُ به .

قيل : العاقلُ من طلب السلامة من عمل السلطان ،
لأن عفاً جزى عليه العفافُ عداوةً الخاصة ، وإن بسطَ
حتى عليه البسطُ السنة العامة .

قال سعيد بن حميد : (١) مجلس السلطان كالحمائم ،
من فيه يريد الخروج ومن هو خارج يريد الدخول
فيه .

ابن المقفع : إقبال السلطان ذهب ، وإعراضه
مذلة .

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهالين ، كان
قصيح اللسان وعاش إلى أيام الواثق .

قالوا : ينبغي للمالك أن يتفتد أمر خاصته في كل يوم ، وأمر عامته في كل شهر ، وأمر سلطانه في كل ساعة .

قال بعضهم : إذا كنت حافظاً للسلطان في ولايتك ، حذر آمنة عند تقريره لك ، أميناً له إذا ائتمنتك ، تشكراً له ولا تكلفه الشكر لك ، تعاضاً وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنه يؤدبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرمتك ، وإلا فابعده منه كل البعد .

قال حكيم : محل الملك من رعيته محل الروح من البدن ، ومحل الرعيته منه محل البدن من الروح . فالروح تألم لألم كل عضو من أعضاء البدن ، وسائرته لا بألم لألم غيره ، وفي فساد الروح فساد جميع البدن ، وقد يتفسد بعض البدن وغيره من سائر البدن صحيح .

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما تخلق من قلب الملك ، يتصرف بشهواته ، ويتقلب ببلاداته ، إذا جدد جدد ، وإذا تطلق تطلق ، لا يحمل

المعاشرة ، ولا يسأمُ المسامرة ، وإذا انتشى تحفظ ،
وإذا صحا تيقظ ويكونُ كأنما لمسه ، ناشراً لبيته .
ويكونُ للمليك دون العبد ، لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنديمُ
يحضرُ دائماً .

كان مسروقُ بنُ الأجدع (١) ينهى عن عمل
السلطان ، فدعاه زيادٌ وولاه السلسلة ، فقبل له في ذلك ،
فقال : اجتمع عليّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا
ثلاثةً وكنتُ واحداً فغابوني .

قيل لبعض من يتصرفُ مع السلطان : لا
تصحبهم (٢) ؛ فإنَّ مشكلهم مثلُ قيدرٍ أسودٍ كلما
مسّه إنسانٌ سرَّده . فقال : إن كان خراجُ القديرِ أسوداً
فإنَّ دابخته لحمٌ سمين ، وطعامُ لذيذ .

كان يُقال : لا سلطانَ إلا برجال ، ولا رجالَ
إلا بمال ، ولا مالَ إلا بعمارة ، ولا عمارةَ إلا بعدلٍ
ومحسنٍ سياسةٍ

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات
سنة ٦٢ هـ .
(٢) أي السلاطين .

قال بعضُ الملوِك في خُليفة : بِئِنا نملكُ الأَجسادَ
لا السِّياتِ ، ونحكمُ بالعدلِ لا بالرضا ، ونقصُ عن
الأعمالِ لا عن السرائِرِ .

قيل : أَفضلُ ما عُوْشِرَ به الملوِك قِلَّةُ الخِلافِ
وتخفيفُ المؤنَّةِ .

قيل : لا يقدرُ على صُحبةِ السلطانِ إلاَّ مَنْ
يَسْتَقِيلُ لما حملوه ، ولا يُلحِفُ إذا سألهم ، ولا يغترُّ بهم
إذا رضوا عنه ، ولا يتغيرُّ لهم إذا سَخَطوا عليه ، ولا يطفئُ
إذا سألطوه ، ولا يبطرُ إذا أكرموه .

قال فيلسوفٌ : إذا قرَّبَكَ السلطانُ فكنْ منه على
حدِّ السَّنانِ ، وإن استرسلَ إليك فلا تَأْمَنُ انقلابه
عليك ، وارْفُقْ به رفقك بالصَّبيِّ ، وكلِّمْه بما يشتهي .

ودخلَ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيْرَةَ (١) على المنصورِ
فقال له : يا أَميرَ المؤمنين ، توسَّعْ توسُّعاً قُرْشياً ،
ولا تضيقْ ضيقاً حِجَازياً . وقال : يا أَميرَ المؤمنين ،

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقيين مروان بن محمد ، كان
جواداً كريماً ، وقتل سنة ١٣٢ هـ .

إِنَّ سُلْطَانَكُمْ حَدِيثٌ ، وَإِمَارَتُكُمْ جَدِيدَةٌ ، فَأَذِيقُوا
النَّاسَ حَلَاوَةَ عَدْلُهَا ، وَجَنُوبَهُمْ مَرَادَةَ جَوْرِهَا (١) ،
فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَخَضَّتْ (٢) لَكَ . ثُمَّ نَهَضَ
فَنَهَضَ مَعَهُ تِسْعُمَائَةٌ مِنْ قَيْسٍ ، فَأَتَاهُ (٣) الْمَنْصُورُ
بَصْرَةَ ثُمَّ قَالَ : لَا يَعْزُ مُلْكٌ فِيهِ مِثْلُ هَذَا .

قَالُوا : عَدْلُ السُّلْطَانِ أَتَنْفَعُ لِلرَّعِيَةِ مِنْ خِيَصْبِ
الزَّيْمَانِ .

كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَقُولُ : مَسَاءَلَةُ الْمُلُوكِ عَنْ
أَحْوَالِهِمْ مِنْ كَلَامِ النُّوْكَى (٤) ، فَإِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ :
كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَمِيرُ ؟ فَقُلْ : صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْكَرَامَةِ .
وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَقُولَ كَيْفَ يَجِدُ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ؟ فَقُلْ :
وَهَبَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ الْعَافِيَةَ وَنَحْنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَإِنَّ
الْمَسْأَلَةَ تَوْجِبُ الْجَوَابَ فَإِنْ لَمْ يَجِبْكَ اشْتَدَّ عَلَيْكَ
وَإِنْ أَجَابَكَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ .

(١) الجور : الظلم .

(٢) مخض الرأي : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : نصحت لك .

(٣) أتاه النظر : أتته إياه .

(٤) النوكى : الخفى .

قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو لتجوز أشب للشر ، والعدل أظفأ للجور . وفي العدل كفاية ، وإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ، فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرغبة والأمانة والنصيحة . وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه ، والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه ، والنسكيل بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلي منهم بأربع : بالغش والخللان والحيانة والنكدر .

قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان وهو دني الأصل أنه ثار الأشراف ، وأنه لانجاة له منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم .

إذا كان الملك ضعيفاً ، والوزير شرهاً ، والقاضي كذوباً ، فرقوا المملك شعاعاً (١) .

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنع الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنع رعيتهُ إلا بإزالةِ
ملكه .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملكٍ جدّه هزله ، وقهره
رأيه هواه ، وعبّرَ عن ضميره .

دخلَ أبو مُجَلِّزٍ (١) على قُتَيْبَةَ بخراسانَ وهو
يُضربُ رجلاً بالعصا فقال : أيّها الأميرُ ، إنّ اللهَ
جعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْرًا ، ووقتَ له وقتًا ، فالعصا للأنعامِ
والهوامِ والبهائمِ العظامِ ، والسُّوطُ للحدودِ (٢)
والتعزيرِ (٣) ، والدِّرَّةُ للأدبِ ، والسيفُ لقتالِ العدوِّ
والقِتَادِ (٤) .

قالوا : عمَلُ السلطانِ حديثٌ فكنْ حديثاً حسناً .

(١) أبو مجلزٍ لاحق بن حميد البصري أحد علماء الصرة ، وكان
يُنزل خراسان توفي سنة ٥١٠٧ هـ .

(٢) أي لمعاينة الذين يستحلون ما حرم الله كشراب الخمر أو غير
ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديباً لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القِتَاد : القصاص .

إذا ضيعت الملوك سنن أديانها فلتعلم أنها
تهدم أساس ملكها .

لا ينبغي للملك أن يكون سقيها ومنه يلتبس
الحيلم . ولا جائراً ومنه يلتبس العدل .

إذا لم يُثب (١) الملك على النصيحة غشته الرعب .

وفد على معاوية عبيد بن كعب الثميري
فسأله عن زياد وسياسته فقال : يستعمل على الجد
والأمانة دور الهوى . ويعاقب فلا يعدو بالذنب
قدره ويستمر ليستم بحديث الليل تدير النهار
قال : أحسن . إن الثقل على القلب مضرة بالرأي .
فكيف رأيه في حقوق الناس فيما عليه وله ؟ قال :
يأخذ ماله عفواً ويعطي ماعليه عفواً . قال : فكيف
عطاياه ؟ قال : يعطي حتى يقال جواد ، ويمنع حتى
يقال بخيل .

قالوا : انذرت للملوك داعية العز والتعزز عليهم
ذل الأبد .

(١) أثاب . كافاً .

كثرةُ أعوانِ السَّوءِ مَضَرَّةٌ للأعمالِ .

الدَّالةُ على الملوكِ تُعرَّضُ للسَّقْوطِ .

خيرُ الملوكِ من ملكٍ جهلَه بحِلْمِهِ ، وخرَقَه
برِفقِهِ ، وعَجَلَه بأنائِهِ ، وعُقُوبَتَه بعفوِهِ وعاجِلَه
بمراقبةِ آجِلِهِ : وأَمِنَ رَعِيَّتَه بعدِلَه ، وسدَّ ثُغُورِهِم
بهيبتِهِ ، وجَبَرَ فاقَتَهُم بِجُودِهِ . يَعْلَمُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ،
وَيَحْسُمُ الدَّاءَ مِنْ حَيْثُ اسْتَبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِهِ وَثَقُلِ النَّاسِ مَعَهُ كَالظِّلِّ
الذي تَأْوِي إِلَيْهِ السَّابِلَةُ .

شِدَّةُ الانْقِبَاضِ مِنَ السُّلْطَانِ تَوْرَثُ الشُّهْمَةَ ،
وسهولةُ الانْبِساطِ تَوْرَثُ الْمَلَالَةَ .

من سعادةِ جَدِّ (١) المرءِ ألاَّ يَكُونَ فِي الزَّمانِ
المُختَلَطِ مُدَبِّرًا لِلسُّلْطَانِ .

من سَكَراتِ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْضَى عَمَّنِ اسْتَوْجَبَ

(١) الجَدُّ : الحَفَدُ .

السُّخْطَ . ويسخطُ على من استوجبَ الرُّضَا من غير
سَبَبٍ معلومٍ .

بلغ بعض الملوك حُسْنُ سياسةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :
قد بلغتَ من حُسْنِ السِّيَاسَةِ مَبْلَغاً لم يبلغه مَلِكٌ
في زمانك ، فأفدني الذي بَلَغَكَهُ . فكتبَ إليه :
« لم أَهْزِلْ في أمرٍ ولا نَهِي ، ولا وعدٍ ولا وعيدٍ ،
واستكفيتُ أهلَ الكِفايةِ ، وأَثَبْتُ على الغِناءِ لا على
الهَوَى ، وأودعتُ القلوبَ هِيبةً لم يشُبُّها مَقْتُ (١) ،
ووداً لم يشُبُّه كَذِبٌ ، وعممتُ بالقُوتِ ومنعتُ
الْفُضُولَ (٢) » .

أمران جليلان لا يصلحُ أحدهما إلا بالتقرُّدِ به ،
ولا يصلحُ الآخرُ إلا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ،
فإن استقامَ المُلْكُ بالشركاءِ استقامَ الرَّأيُ بالتفرّدِ به .
لاشيءَ أملكُ للسلطانِ من صاحبٍ يُحسنُ القولَ
ولا يُحسنُ العملَ .

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

أَصْحَبَ السَّالْطَانَ بِأَعْمَالِ الْحَذَرِ ، وَرَفَضَ الدَّائَةَ ،
وَالْاجْتِهَادَ فِي النَّصِيحِ وَأَصْحَبَهُ بِثَلَاثٍ : بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ
وَالصَّاقِ .

أَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَافًا ، فَمَا جَاوَزَهُ كَانَ سَرَفًا ،
وَمَا قَصَرَ عَنْهُ كَانَ عَجْزًا . فَلَا تَبْلُغْ بِكَ نَصِيحَةَ السَّالْطَانِ
أَنْ تُعَادِيَ حَاشِيَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ
مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَقْضِ لِحَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَأَدْعِ
لِلسَّلَامَةِ إِلَيْكَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ أَوْلِيَّكَ جَهْدَكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ شَكَرْتَ نِعْمَتَهُ ، وَأَمْنْتَ حُجَّتَهُ ، وَفَلَلْتَ
عَدُوَّكَ عِنْدَهُ .

إِذَا جَارَيْتَ عِنْدَ السَّالْطَانِ كُفْمَتًا مِنْ أَكْفَائِكَ فَلَتَكُنْ
عِبَارَاتُكَ لِإِسَاءَةِ بِالْحُجَّةِ ، وَإِنْ عَضَّكَ (١) ، وَبِالرَّفْقِ
وَإِنْ خَرَّقَ بِكَ وَاحِدًا أَنْ يَسْتَلْجِكَ (٢) فَتَحْمَسَ ، فَإِنَّ
الغَضَبَ يُعْمِي عَنِ الْفُرْصَةِ ، وَيَقْطَعُ عَنِ الْحُجَّةِ ، وَيُظْهِرُ
عَلَيْكَ الْخِصَمَ .

احْتَرَسْ أَنْ يَعْرِفَكَ السَّالْطَانُ بِاثْنَيْنِ : بِكَثْرَةِ الْإِطْرَاءِ

(١) عَصَّ : كَذَّبَ وَادَّعَى عَلَيْهِ الْإِقْدَ .

(٢) يَسْتَلْجِكَ : يَهْدِي فِي خَصْرَمَتِكَ .

للناس عنده ، وبكثرة ذمتهم ؛ فيعد ذلك غلاماً منك فإنه
إذا رأى كثرة إطرائك للناس وذمتهم ضرراً ذلك صديقك
وإن كان حقاً ، وأمن عدوك كيدك وإن كان معوراً (١)
وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنه إن عرفتك به كنت لعدوك
أضراً ولصديقك أنفع .

لا تتورد على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ،
ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت
له دونك فإن السلطان تعرض له ثلاث : القدرة دون
الكرم ، والحمية دون النصفة ، والاعجاج دون الحظ .

سئل بعضهم : أي شيء أرفع بذكر الملوكة ؟ قال :
تدبيرهم أمر البلاد بعقل ، ومنعهم إيتاها بعز . قيل : فما
الذي على الملوكة لرعيتهن ، وما الذي على الرعيّة لملوكهن ؟
قال : على الملوكة لرعيتهن ما تأمن عليه أنفسهن ويرغدن
عليه عيشهن . وللملوكة على رعيتهن الشكر والنصيحة .

اعلم أن الملوكة محتاج إلى الوزير ، وأشجع الرجال
يحتاج إلى السلاح وأجود الخيل يحتاج إلى السوط ، وأحد
الشفار يحتاج إلى الميسن .

صلاح الدنيا بصلاح الملوكة . وصلاح الملوكة بصلاح

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل للطن وللضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ الملكُ إلا لأهله ولا تصلحُ الوزارةُ إلا لمستحقِّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحُهم للرعيَّةِ ، وأصدقُهم نيَّةً في النصيحة ، وأشدُّهم دَبًّا (١) عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطاعة ، وأخذُهم لحقوقِ الرعيَّةِ من نفسه وسلطانِه .
ليس شيءٌ للملوكِ أولى بالفرحِ والسرورِ به في ملكها من سيرةٍ حسنةٍ يسرونها ، وسنةٍ صالحةٍ يسجرونها ، وزيرٍ صالحٍ يؤيدون به .

الوزيرُ الحَيُّ لا يرى أنَّ صلاحه في نفسه كائنٌ صلاحاً حتى يتصل بصلاح الملكِ ورعيَّته . وتكون عنايةُ فيما عطفَ الملك على عامته ، وفيما استعطف قلوب العامة على الطاعة للملكه ، وفيما قوم أمر الملك والمملكة من تدبيره ، حتى يجمع إلى أخذ الحقِّ وتقديمه عموم الآمن والسَّلامة ، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه وإذا طرقت الحوادثُ ، ودهمت العظامُ ، كان للملك عُدَّةٌ وعَتَادَةٌ ، وللرعيَّةِ كفاً محتاطاً ، ومن ورأها ذاباً فاصراً ، يتعنيه من صلاحها ما لا يتعنيه من صلاح نفسه دونها .

* * *

(١). الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نَوَادِرُ لِلنِّسَاءِ الْمَوَاجِينَ وَالْجَوَارِي

استعرض رجلٌ جاريةً فقال : في يدكِ عمل ؟
قالت : لا ولكن في رجلي .

وأدخل على المنصور جارتين فأعجبتهما . . فقالت
التي دخلت أولاً : يا أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَنِي
على هذه بقوله : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » (١) فقالت
الأخرى : لا بل قَدْ فَضَّلَنِي بقوله : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ
لَكَ مِنَ الْأُولَى » (٢) ،

طلبتُ جاريةً محمود الوراق (٣) للمعتصم بسبعة
آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشترىته له بعد ذلك
من ميراثه بسبعمائة دينار ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوماً

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤ .

(٣) محمود الوراق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي
في حدود المائتين والثلاثين .

فَقَالَتْ : إِذَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يُنْتَظَرُ بِشَهْوَاتِهِ الْمَوَارِيثَ فَسَبْعُونَ
دِينَارًا فِي لَمَنِي كَثِيرٌ . فَكَيْفَ سَبْعَمِائَةٍ ؟

وطلب آخرُ من عشيقته خاتماً كان معها فقالت :
يا سيدي هذا ذهبٌ وأخافُ أن تذهب ، ولكن هذا العودُ
حتى تعودَ .

وقال بعضهم لآخرى : أرى شفتيكِ مُتَشَقِّقَةً ،
فَقَالَتْ : التَّيْنُ إِذَا احْمَلَوُا تَشَقَّقُ .

عُرِضْتُ عَلَى الْمَعْتَرِ (١) جَارِيَةً فَقَالَ لَهَا : مَا أَنْتِ
مِنْ شَرِّطِي قَالَتْ : وَلَكِنَّكَ مِنْ شَرِّطِي وَاللَّهِ . فَاشْتَرَاهَا
وَحَظَّيْتُ عَنْده .

غاب رجلٌ عن امرأته ، فبلغها أنه اشترى جارية ،
فأشترتُ غلامين ، فاتصل الخبرُ بزوجها ، فجاء مُبَادِرًا
وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرَّحَا إلى بَغْلَيْنِ
أَحْوَجُ مِنَ الْبَغْلِ إِلَى الرَّحَا . بَعِ الْجَارِيَةَ حَتَّى أَبِيعَ
الْغُلَامَيْنِ ففعل ذلك .

نَظَب ثُمَامَةُ الْعَوْفِيَّ امْرَأَةً فَسَأَلَتْ عَنْ حِرْفَتِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

(١) الْمَلِكُ : مَا يَمْلِكُ ، أَيْ يَمْضُغُ مِنْ صَمِغِ الصَّنُوبَرِ وَالْفَسَقِ وَنَحْوِهَا .

وسائلةٍ ما حيرفتني ؟ قلتُ : حيرفتني
مقارعةُ الأبطالِ في كلِّ مسأَلٍ

وضربي طلي الأبطالِ (١) بالسيفِ مُعْهِمًا
إذا زحف الصَّفَّانِ تحت الخسوفِ

فلَمَّا قرأت الشعرَ قالتُ للرسولِ : قل له : فديتُك
أنتَ أسدٌ فاطلبُ لنفسكَ لبؤةً ؛ فإني ظبيّةٌ أحتاجُ
إلى غزالٍ .

قال رجلٌ بخاريةٍ اعترضها - وكان دميمًا فكرهته
وأعرضتُ عنه : إنما أريدُكِ انْفِسي . قالت : فمن نفسك
أفردٌ .

وذكر بعضهم قالَ : مرّت بي امرأةٌ وأنا أصلي
في مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فانقيتُها
بيدي ، فوقعَتْ على فرجها فقالت : يا فتى ، ما أثبتَ
أشدُّ ممّا اتَّقَيْتُ .

دخلتُ عَزَّةٌ على عاتكةَ بنتِ يزيدَ فقالتُ : أخبريني
عن قولِ كُثَيْبٍ :

(١) الطلى : جمع طلية وهي العتق أو أصوله .

قَتَصَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْفَى غَرِيمَهُ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُغْنَى غَرِيمُهَا

ما هذا الدَّيْنُ الَّذِي كُنْتَ وَعَدْتَهُ ؟ قالت : كنتُ
وَعَدْتُهِ قُبْلَةً ، فلم أَفِ لَهُ بِهَا . فقالت : هَلَّا أَنْجَزْتَهَا لَهُ
وَعَلَى إِيْمَهِا .

وقال عَقِيلُ بْنُ بِلَالٍ : سمعتني أعرابيةٌ أَنشد :
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَّهَا غَيْرَ آثَمِ

بمَهْضُومَةٍ الْكَشْحَيْنِ رِيَّانَةَ الْقُنُوبِ (١)

فقالت لي : هَلَّا أَثَمْتَ أَخْزَاكَ اللَّهُ .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوَادِرُ الْقُصَاصِ .

قيل لأبي القُطوفِ وَكَانَ يُسَمِّي وَيُحَدِّثُ وَيَقْصُّ^١
وهو قاضي حرَّانَ . ماترى في السَّمَاعِ ؟ فقال : أما
على الخَسْفِ (١) فلا . وقيل له : ماتقولُ في نيلِ
العسل ؟ قال : لا تشربه . قيل : ولم ؟ أحرامٌ هو ؟
قال : بل هو نعمةٌ لا تقومُ بشكرِها .

وقيل ليطيرَ بال : ماتقولُ في الإبطِ يُمَسُّ ،
أيتوضأُ منه ؟ قال : يابنُ أخٍ ، كما يكونُ الإبطُ
يُغْتَسَلُ منه .

وكان أبو سنانٍ السَّدُوسِيُّ يقولُ : فلانٌ عندي
أكفَرُ من رامِثِرٍ مَزُ .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم مما فيه من تخليط .

والقصاص : مفردُها : قاص ، وهو من يجلس في مسجد للوعظ .

(١) السماع على المصنف : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريد مكّة فقال : لا تَبْكُوا ،
بأبي أنتم . فلانّي أريدُ أن أضحّي عندكم .

قال أبو عثمان : وكان عندنا قاصٌّ يقال له : أبو
موسى فأخذ يوماً في ذكرِ قِصَرِ أَيّامِ الدّنيا وطُولِ
أَيّامِ الآخرة ، وتصغيرِ شأنِ الدنيا وتعظيمِ شأنِ الآخرة ،
فقال : هذا الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
وعليه فضلُ سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال :
خمسٌ وعشرونُ سنةً ليلٌ هو نائمٌ فيها ، لا يعقلُ
قليلاً ولا كثيراً ، وخمسٌ سنين قائلةٌ (١) ، وعشرونُ
سنةً إمّا أن يكونَ صبيّاً ، وإمّا أن يكونَ معه سُكْرٌ
الشّبابِ وهو لا يعقلُ ، ولا بدّ من صُبْحَةٍ بالغداةِ ،
ونَحْسَةٍ بين المغربِ والعشاءِ ، ويناله فيها كالغشّي
الذي يصيبُ الإنسانَ مراراً في دهره ، فإذا حصلنا
ذلك فقد صَحَّ الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعيشْ شيئاً
وعليه فضلُ سنتين .

قرأ سفيويه القاصُّ : « ثُمَّ فِي سِيَّاسَةِ ذُرْعِهَا

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعون ذراعاً « فتقبل له : فإن الله يقول : « سَبِّحُونِ ذُرَاعاً (١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعاً فقال : نعم هذه عُمَدَاتُ ابْنِهَا (٢) ووصيف (٣) ، فأما أنتم فيكفيكم شريطٌ بدانيقٍ ونِصْفٌ .

سأل واحدٌ سيفويه عن حفظه القرآن فقال : أحفظه آيةً آيةً ، قل له : فما أولُ الدُّخَانِ ؟ قال : الحَاطِبُ الرُّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى جَبْرِيلَ ، وَاغْفِرْ لَأَمْنَا عَائِشَةَ ، وَعَافِنِي مِنْ وَجَعِ الْبَيْطُنِ .

كان أبو عقيلٍ القاصُّ يقول : الرَّعْدُ مَعَاكَ أَصْغَرُ مِنْ نَحْلَةٍ وَأَعْظَمُ مِنْ زُنْبُورٍ . فقالوا : لَعَلَّكَ

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعاها سبعون ذراعاً فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بنو الشرايين : قائد تمرد وطفى واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استولى أمراه المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ هـ .

تريدُ أصغرُ من زبور وأعظمُ من نوحه . فقال : لو
كان كذلك لم يكن بعجبٍ .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألة في الحيضِ
لم يعرفها فقال : ويلك . خرَّجْ هذه القاذوراتِ من المسجدِ
حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ
ومحسنةٍ ، واحشرني في جملة سيدي أبي عبد الله بنِ
حسنٍ ، ولا تغفرْ للرافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ الناسِ ، إنَّ الشيطانَ
إذا مسَّ الإنسانَ على الطعامِ والشرابِ لم يأكلْ معه .
وإذا لم يُسمَّ أكلَ معه ، فكأوا خبزَ الأرزِ والمالحِ
ولا تسموا ليأكلَ معكم ، ثم اشربوا وسموا ليموتَ عطشاً .
حاشاكَ بعضهم لحيته وقال : إنَّها نبتت على المعصية .

وكان بعضهم يحجُّ عن حمزة ويقول : استشهد
قبل أن حجَّ ، ويضحِّي عن أبي بكرٍ وعمرَ يقولُ
أخطأ السنَّة في تركِ الأضحية .

وقبَّد آخرُ إحدى عينيه وقال : النُّظَرُ بهما إسرَافٌ .
 وكان بعضُ القصَّاصِ يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ،
 فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان
 إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوقٍ ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقاً .
 قال بعضُ القصَّاصِ يوماً : يا قومُ ، هل علمتم أن
 الله قد ذكرَ الهَرِيسَةَ في القرآنِ لفضلها ؟ فقالوا : أين
 ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقْرَةَ (١) « واضْرِبُوهُ
 بِبَعْضِهَا (٢) » ، « وفارَ التَّنُّورَ (٣) » : « ولترَكَبْنِ
 طبقاً عَنْ طَبَقِ (٤) » .

سأل رجلٌ سيفَويهِ القاصَّ : ما الغِسلَينِ (٥) في
 كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ
 عنه شيخاً من فقهاء الحجازِ منذُ أكثرَ من ستين سنةً
 فقال : لا أدري .

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولا طعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأة^١ إلى واحد منهم فقالت : يا جعفر ،
مريم بنت عمران كانت نبيّة^٢ ؟ قال : لا يا فاعلة .
قالت له : فإيش كانت ؟ قال : كانت ملائكة .
كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : قزعمون أنّي
مُراه ، وكنتُ والله أُمسِ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ
وما أخبرتُ بذلك أحداً .

ومرّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يشايل سُكراً فقال
إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاص^٣ . فقال : ما أكثرَ من
يُشَبِّهني بذلك الرجلِ الصّالحِ !

قال قاص^٤ بالمدينة في قصّصه : ودّ إبليسُ أن لكلِّ
رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطْغى بها . فقال
رجل من القوم : اللهمّ أعطِ إبليسَ سُؤله فينا .

حكى عن شيخٍ منهم ببغداد كان يُعرف ببخشنِ
حمّامة أنّه كان يقول : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثة^٥ :
آدمُ لقوله : « لئنّي جاعلُك في الأرضِ خليفة » (١)

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ (١) »
وأبو بكر ، لقول الأمة : أَيَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ .
والأمانة ثلاثة : جبريلُ لِأَنَّهُ تَحْمِلُ عَنْ اللَّهِ ، ومحمدُ
لأنَّه بَلَغَ الْأَمَةَ ، ومعاويةُ لِأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ .

وبلغَ من عقلِهِ أَنَّهُ رَأَى عَقْرَبًا فِي دَارِهِ فَقَالَ لَهَا :
يَا مَشْثُومَةً ، أَخْرِجِي لِأَتَقْتُلَكَ أُمِّي .

وكان مولعاً بإطعامِ الكلابِ ويقول إذا أطعمهما :
هؤلاء أولى من الرافضة .

قال الأصمعي : اختصمت الطفاوةُ وبنو راسبٍ
في صبيٍّ يدعى كلٌّ واحدٍ من الفريقين إلى ابنِ عرباضٍ ،
فقال : الْحُكْمُ فِي هَذَا بَيْنَ . قالوا : وما هو ؟ قال :
يُلْقَى الصَّبِيُّ فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ طَفَا فَهُوَ طِفَاوِيٌّ ، وَإِنْ رَسَبَ
فَهُوَ رَاسِبِيٌّ .

كانت أمُّ عِيَّاشٍ تُحْسِنُ إِلَى سِفْوَِيهِ وَتَتَمَهَّدُهُ ،
فكان إذا اجتمع إليه النَّاسُ قال : يامعاشِرَ الْمُسْلِمِينَ
ادْعُوا اللَّهَ لَأَمْ عِيَّاشٍ ، فَإِنَّهَا صَدِيقَتِي . فبلغَ عِيَّاشُ

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعث إليه وقال : قد فضحتني بهذا القول فأمسك عنه .
فقال : سبحان الله ! لو أنثها معي في إزار واحد
ما كنت تخاف علي .

قال أبو العنبيس : سمعت قاصاً بالكوفة يقول في
قصصه : تحت رأس ولي الله في الجنة سبعون ألف
مخدة ، والمخدة سبعون ألف حجاب ، ما بين الحجاب
والحجاب سبعون ألف عام . قال : فقلت : فإن سقط
من فوق تلك الفرش كيف يعمل ؟ فقال : إلى النار
يا صفهان .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهل خوزياً (١) ،
ف قيل له : بل هو قرشي مخزومي ولكته كافر . فقال :
يتكلم أحدكم بما لا يعلم ، كل كافر خوري .

قال آخر في مجلسه : زعم قوم أني لا أحسن القرآن .
وهل في القرآن أشرف من : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .
وأنا أقرؤه مثل الماء ، وابتدأ وقرأ فلما بلغ قوله : « وَلَمْ

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديماً بأنهم
أسقط الناس نفساً .

يَكُنْ اهٗ « أرتج عليه فقال : من أراد أن يحضر ختمة
السورة فليحضر يوم الجمعة .

دفع واحد قطعة إلى قاص وقال : ادع لي ولآبوي
بالمغفرة ، فرفع القاص رأسه وقال : ثلاثة أنفس بغير اطم ؟
وارأخصاه !

قيل لبعضهم : في الحديث مريسة (١) فقال : هذه من
نلك الجمعة .

ومات عيسى بن حماد الطلحي وقد أوصى بأكثر
من ثلث ماله ، فأجاز ذلك ولده وامرأته ، فأتوا أبا
أسيد ليكتب بذلك كتابا ، فقال لهم : يا فتیان أمکم
قد بلغت مبلغ النساء أم لا .

ومرّ بقوم يصيدون السمك ، فقال : يا فتیان ،
مالح أو طري .

ودخل يوماً في الماء إلى كعبه فصاح : الغريق ،
الغريق . فقيل له : ما دعاك إلى ذاك ؟ فقال : أخذت
بالوثيقة .

(١) الدقيق المهرور جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أسرك أن الله أدخلك الجنة وأنت شاة ؟ قال : نعم بشرط ألا يذهبوا بي إلى التبتاس .

جاء رجل إلى واحد منهم فقال : ما تقول في شرب النبيذ ؟ قال : لا يجوز . قال : فإن كان الرجل قد أكل المالح ؟ قال : قد رجعت مسألتك إلى الطّب .

صلى سيفويه يقوم وسلم عن يمينه ولم يسلم عن يساره ، فقيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسان لا أكلّمه .

جاس أبو ضمضم ينسب قبائل العرب فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدم من أبوه لا فحمله استباح الجهل عنده بشيء من الأنساب على أن قال : آدم بن المضاء بن الخليج وأمه ضباعة بن قريزاة . فتضحك القوم وثاب إليه عقله فقال : إنما نسبت أختاً لآدم من أمه .

رأى بعض أهل نيسابور جنازة فقال : رب وربك الله لا إله إلا الله فسمعه آخر فقال : أخطأت . قل : اللهم ألبسنا العافية ، وتشاجرا فتحكما إلى قاض لهم فقال : لم يُصب واحد منكما . إذا رأيتم جنازة فقولوا : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته .

كان عبدُ الأعلى القاصُّ يتكلَّفُ لكلِّ شيءٍ اشتقاقاً
فقال : الكافرُ إنما سُمِّيَ كافراً لأنَّه اكتفى وفرَّ .
قيل له : بماذا اكتفى ومن أيِّ شيءٍ فرَّ ؟ قال : اكتفى
بالشَّيطانِ وفرَّ من الله . وقال : سُمِّيَ الزَّنديقُ زنديقاً
لأنَّه وَّزَنَ فدَقَّتْ . وسُمِّيَ الباغِمُ باغماً لأنَّه بلاءٌ وغمٌ .
وسُمِّيَ الدرهمُ درهماً لأنَّه داءٌ وهمٌ . وسُمِّيَ الدينارُ
ديناراً لأنَّه دينٌ ونار . وسُمِّيَ العُصفُورُ عصفوراً لأنَّه
عصا وفرَّ . وسُمِّيَ الطَّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنَّه طفا
وشال (١) . وسُمِّيَ نوحٌ نوحاً لأنَّه كان ينوحُ على قرمه .
وسُمِّيَ المسيحُ مسيحاً لأنَّه مسحَ الأرض .

جاء رجالٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ
رمضانٍ ساهياً ، فما عليَّ ؟ قال : تصومُ يوماً مكانه .
قال : فصمتُ . فأُتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ،
فسبقني يدي إرليه فأُكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال :
فَقَضَيْتُ يوماً مكانه ، وأُتيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفَيْشَل : نوع من الطعام أو الحرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعبون بالسن .

فسبقني يدي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا
تصومَ إلا ويدك مغلولةً إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عيَّاشٍ فأتاه سيفويهٍ معزياً فقال :
يا أبا محمد ، عَظَّمَ اللهُ مصيبتك . فتبسَّمَ ابنُ عيَّاشٍ
وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمد ، هل كان لأُمِّك
وئدٌ ؟ فقام ابنُ عيَّاشٍ عن مجلسه وضحك حتَّى استلقى
على قفاه .

* * *

الباب العاشر

تَوَادِرُ الْقَضَاةِ لِمَنْ نَقَدَّمْ إِلَيْهِمْ

اختصم رجلٌ وامرأه^١ إلى سوار ، فقال الزوجُ
لسوار : أصلح الله القاضي ، لو عرفتُها لبعثتُ في استيها .
فقال سوار : اغربُ ، عليك لعنةُ الله .

قال بعضهم : سمعتُ رجلاً جِيءَ به إلى التيمي^٢
القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يَسْجُرُونَك^٣
إِلَيَّ بِحَالٍ أَتَهُمُ وَاحِدٌ وَأَنَا سِتَّةٌ ، لا يجدون أحدا
يظلمونك إِلَّا غيري .

اختصمَ رجلان إلى قاضٍ ، فدنا أحدهما منه وقال
له سرّاً : قد وَجَّهْتُ للدَّارِ فراريجَ كَسْكَرية (١) ،
وحِمْطَةَ بلدِيَّةٍ كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ :
كانتُ لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا مِمَّا يُسَاوُ بِهِ .

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب
إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمد بن رباح القاضي : تقدم إلي قُشَمُ مع ابن أخيه ، فادَّعَى عليه خمسة آلاف دينار فقال قُشَمُ : نعم له عليّ ذلك من أيّ وجه . فقلتُ : قد أقررت له بالمال ، فإن شاء فسّر الوجه ، وإن شاء لم يفسّر . فقال ابن أخيه : أشهد أنّه بريء منها إن لم أثبتّها . فقلت : وأما أنت فقد أبرأته إلى أن تُثبِتَ ذلك . فما رأيتُ أضعفَ منهما في الحكم .

قال بعضُ القضاةِ الحنفيّ : قد عزمتُ على أن أخصيَّ عدلين للشهادة على النساء .

لما خرج المأمونُ إلى قَمِ الصُّلَحِ (١) لينقل بوران بنت الحسن ، إذا جماعةٌ على الشَّطِّ وفيهم رجلٌ ينادي بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ؛ نعم القاضي قاضي جبَل (٢) جزاه الله عنّا أفضل ما جزى أحداً من القضاة ؛ فهو العفيفُ النّظيفُ ، النّاصحُ الحبيبُ ، المأمونُ الغيبُ .

(١) قَمِ الصلح : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى

الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) جبلة بين النعمانية وواسط ، ويقاضى بها يضرب المثل .

وكان يحيى بن أكرم يعرف قاضي جبيل وهو ولاه^١
وأشار به . وإذا هو القاضي نفسه ، فقال : يا أمير المؤمنين :
إن هذا الذي يتادي ويشتي على القاضي هو القاضي نفسه .
فاستضحك المؤمن واستطرقه وأقره على القضاء .
وقد كان أهل جبيل رفعوا عليه وذكروا أنه
سفيه حديد يعرض رؤوس الخصوم فوق ع المأمون :
يشتق^(١) إن شاء الله .

جلس أبو ضمضم القاضي للحكم فلمح في
مجلسه رجلاً معه ألواح يعلق نوادره فرماه بالدواة
وشجّه ثم أمر به إلى الحبس . فقال كاتبه : ما أكتب
قصته في الديوان . قال : اكتب : استرق السمّ
فأتبعه شهاب ثاقب .

اختصم إلى أبي ضمضم رجلان فأقر أحدهما لصاحبه
بما ادّعاه عليه وقال : أعز الله القاضي . لئن كنتما
طلبته لأوفيه حقه لا أجده فإنه رجل شريب منهمك
في الشرب أبداً عند أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل مغيل

(١) يشتق : يؤخذ من الشق ، وهو الأرض .

أحتاج أن أكسب قوت عيالي ، ولا ينهيّا لي أن أتعطل
عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبس
صاحب الحق . وقال لغريمه : اذهب فاشتغل بطلب
معاشك ومكسبك ، فإذا حضرَكَ ما تردّه عليه فأحمله
إلى الحبس حتّى لا تحتاج أن تدور في طلبه . فبقي الرَّجلُ
في الحبس ثمانين يوماً وصاحبه يحمل إليه الشيء بعد
الشيء إلى أن بقي له عشرة دراهم فأرسل إلى القاضي
وقال : إن رأيت أن تفرج عني فلم يبق لي على غريمي
إلا عشرة دراهم فقال : لا والله لا تبرح حتّى تأخذ
حقك !

غاب رجلٌ في بعض أسفاره ، وطالت غيبته فأرجفَ
به وموته ، وأتى على ذلك مدّة . وبلغ قاضي البلد
جمالُ امرأته فخطبها وتزوجها فصار إليه أهل بيت
زوجها وبنو أعمامه وقالوا : أعزّ الله القاضي . لم يصح
عندنا موتُ هذا الرَّجل ونحن في شك منه ، فكيف
تنزّجُ بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخرون
بالنساء . والله ما يغيّب أحدكم إلا تزوّجت بامرأته .

تقدّم رجلان إلى قاضيٍ وادّعى أحدهما على صاحبه
 درهماً من ثمن ريتحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي :
 قل : والله الذي لا إله إلاّ هو . فقال الرجل : أصلحك
 الله ! ليست هذه يمين أصحاب الرّياحين . قال القاضي :
 وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمّهُ فاعلةٌ إن كان لهذا عليه
 شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُ في صدقك ، وغريم
 الدّرهم من عنده .

قال الأصمعيّ : نقيتُ قاضي سبّذان (١) فقلت :
 على من تقضي ؟ فقال على الضّعيف .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاج بن يوسف وكان
 طويلاً فقال يوماً : بلغني أن الطويل يكون فيه ثلاثُ
 خلل لا بدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : ينفرقُ من
 الكلاب ولا والله ما خلّق الله دابةً أنا لها أشدُّ قرعاً من
 الكلاب ، أو تكونُ في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتُ
 رجلي قرحةً قط أو يكونُ أحرق وأنتم أعلمُ بقاضيتكم .

(١) سبّذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عذابة النميري قضاء البحرين فالتأت أهلها عليه
فركب فرسه وأخذ رُمحه وقال : والله لا أقضي إلا
هكذا من خالفني طعنته برمحي .

كان بالبصرة قاضي ، فاحتكم إليه حائك في حمامة
فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائك : ما فعلت
أيها القاضي ؟ قال : تذهب إلى بيت صاحبها .

وتقدم إليه رجلان ومعهما امرأة فقال أحدهما :
أصاحك الله . هذه امرأتي تزوجتها على ستين درهماً
وهذا يدعي أنه يتزوجها على سبعين فقال القاضي :
عليّ بشمانين . فقالا : أصاحك الله جئناك لتقضي بيننا ،
لم نجعلك لتزادنا . قال القاضي : فأنتما في شري وبيع ،
قوما في لعنة الله .

تقدم إلى قاضي اثنان فادعى أحدهما على صاحبه
ثلاثة أرباع دينار . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له :
عليّ دينار غير ربع ، ففكر ساعة ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنَّما بينكما ثلثُ دينار ! قوما فاصطلحا
فأصلحُ خير .

واختصم إليه رجلان في ديكٍ ذبحته أحدهما فقال :
ارتفعوا إلى الأمير ، فإنَّنا لا نحكُم في الدماء .

وعزل يحيى بنُ أكَشَم قاضياً كان له على حمص
من أهلها فلمَّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من
جاستَ يا شيخ ؟ فقال : أبي . فظنَّ أنَّ أباهُ من أهلِ
العام . قال : فمن جاستَ أبوك : قال : مكحولاً (١)
قال : فمن جاستَ مكحول ؟ قال : سفيانَ الثوري .
قال : ما كان يقول أبوك في عذابِ القبر ؟ قال : كان
يكرهه .

تزوج بعضُ الحصيان في زمنِ شُرَيْسَجِ امرأة
فأنت بولد فتبرأ الحصِيُّ منه وترافعا إلى شُرَيْسَج . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمه أن يحمله على عاتقه فخرج على تلك
الصورة واستقبله خصيُّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك
فإنَّ شريحاً يريدُ أن يفرِّقَ أولادَ الزَّنى على الحصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

فتوادرُ لأصحابِ النساءِ والزَّناةِ والزَّواني

قال بعضهم لأعرابيٌّ : هل يَطْطَأُ أحدُكم عشيقتَه ؟
 فقال : بأبي أنت وأُمِّي ذاك طالبٌ ولدٍ ليس ذاك بعاشقٍ .
 سمعَ إسماعيلُ بنُ غزوانَ قولَ اللهِ تبارك وتعالى
 « قالتِ امرأةُ العزيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » ذاك ليَعْلَمَ
 أَنِّي لم أَخُتِنُه بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ » (١)
 فقال : لا واللهِ إِنِّ سمعتُ بِأَغْزَلِ مِّنَ الْفَاسِقَةِ .
 ولما سَمِعَ بِكَثْرَةِ مُرَاوِدَتِهَا لِيُوسُفَ واستَعصامِهِ باللهِ
 قال : أما والله لو بي محسنتٌ (٢) .

أشارَ ضيفٌ لقومٍ إلى بنتٍ لهم بِقُبْلَةٍ وهي خلفُ
 الحِباءِ ، فلما سمعَ الشيخُ قولَ الجاريةِ : إِنِّي إِذَا
 الطَّوِيلَةُ الْعُنُقُ قال : وَبَيْتَ اللهِ لَقَدْ أَشارَ إِلَيْهَا بِقُبْلَةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) محك : لج في المنازعة .

أتى نوفلُ بابن أخيه وقد أحبلَ جارِيَةً لغيره فقال :
يا عدوَّ الله ، هَلَا إِذَا ابْتَلَيْتَ بِالْفَاحِشَةِ عَزَلْتُ . قال :
بلغني أنَّ العزلَ مَكْرُوه . قال : أفما بلغك أنَّ الزَّنى
حرامٌ .

جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلة للصَّائِم ،
فقال : تُكْرَهُ لِلْحَدَثِ ، وَلَا بَأْسَ بِهَا لِلْمُسْنِ ، وفي
الليل لك فُسْحَةٌ . فقال : إنَّ زوجها يعودُ إلى منزله
إيلاً فقال : يابنَ أخٍ ، هذا يُكْرَهُ في سؤالٍ أيضاً .

أخذ رجلٌ مع زنجِيَّةٍ وكان قد أعطاهَا نصفَ درهم ،
فلَمَّا أَتَى به إلى الوالي أمرَ بتجريدِهِ وجعل يضربُهُ
ويقول : يا عدوَّ الله ، تزني بزنجِيَّةٍ ! فلَمَّا أَكْثَرَ
قال : أصلحك الله ، فبنصفِ درهمٍ إيشَ أجِدُ ،
ومن يعطيني ؟ فضحك وخلاه .

وجدَ شيخٌ مع زنجِيَّةٍ في ليلة الجمعة في مَسْجِدٍ ،
وقد نَوَّمَهَا على الجِنَازَةِ (١) ففيل له : قَبَّحَكَ اللهُ
يا شيخُ . فقال : إذا كنتَ أَشْتَهِي وأنا شيخٌ لا يَنْفَعُنِي

(١) الجنَازة - بكسر الجيم - السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابُكم ، قالوا : فزنجيَّةٌ : قال : من يزوجني منكم
بعربيَّةٍ ؟ قالوا : ففي المسجدِ ! قال : مَنْ يُفَرِّغُ لي
بيته منكم ساعةً ؟ قالوا : فعلى جنازةٍ ! قال : من يعطيني
سريره . قالوا : فليلةٌ جُمُعةٌ قال : إن شئتمْ جئتكم
ليلةَ السبتِ فضحكوا منه وخلَّوه .

وكان بعضهم في مجلسٍ شُرِبَ فيه مغنَّياتٌ فقامت
واحدةٌ منهن فكانت مليحةً ، فوضعتِ الطبلَ ووقعتْ
عليه ، فقال : يا اخوتي . ما كنتُ أحسبُ أنَّني أحبُّ يوماً
ما أن أكون طبلًا حتى الساعة !

كان بشيرازَ رجلٌ وله زوجةٌ فاسدةٌ ، فنزلَ به
ضيفٌ فأعطاهما دراهمَ وقال لها . اشتريني لنا رؤوساً
نثغدي بها ، فخرجت المرأةُ ولقيها حريفاً^(١) فأدخلها
إلى منزله وأحسنَ بهما الجيرانُ ، فرفعوهما إلى السلطانِ .
وضربتِ المرأةُ وأركبتُ توراً أيُطافَ بها في البلدِ
فلمَّا أبطأتُ على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك
الحالِ فقال لها : ما هذا ويَلْكَ ؟ قالت : لاشيء انصرف

(١) الحريف : المائل في الحركة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فلانتما بقي صفتان : صف العطارين وصف
الصيادلة ثم اشترى الرعوس وأجيئك .

قال ، بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السري بسر
من رأى فرأيت امرأتى تمشي فظنتها من البادية ،
فعرضت لها وقلت : إلى أين يقصد الغزال ؟ فقالت لي :
إلى منزلها يا قليل المعرفة بأصحابه .

كان فلان مفلساً فقال لامرأة : أنا أحبك . قالت :
وما الدليل على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزاً دقيق حتى
أعجنه بدسوع عيني . قالت : على أن تجيء بخبزنا إلينا .
قال : ياسيدتي ، فأنت تريدين خبازاً لا تريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيراز امرأة فلما كان في اليوم الخامس
من زفافها ولدت ابناً ، فقام الرجل وصار إلى السوق
واشترى لوحاً ودواة فقالوا له : ماهذا ؟ قال : من يؤلد
في خمسة أيام يذهب إلى الكتّاب في ثلاثة أيام .

* * *

الباب الأول

(٥) من الجزء الخامس من نشر الدر .

كَلَامُ زِيَادٍ وَوَلَدِهِ (١)

قال : إِنْ تَأَخَّرَ جَزَاءُ الْمُحَرَّرِ لَوْمْ ، وَتَعَجَّلَ عِقُوبَةُ الْمُسَيِّئِ دَنَاءَةً . وَالتَّيَبُّتُ فِي الْعُقُوبَةِ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى سَلَامَةٍ مِنْهَا ، وَتَأَخُّرُ الْإِحْسَانِ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى نَدَمٍ لَمْ يُسَكَّنْ صَاحِبُهُ أَنْ يَتَلَفَّاهُ .

وَقَالَ زِيَادٌ لَوْ أَنَّ لِي أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلِي بَعِيرٌ أَجْرَبُ لَقَمْتُ عَلَيْهِ قَامَ رَجُلٍ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ . وَلَوْ أَنَّ لِي عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَلِزْمِي حَقٌّ لَوْضَعْتُهَا فِيهِ .

وَقَالَ لِابْنِهِ : عَلَيْكَ بِالْحِمَابِ ، فَإِنَّمَا تَمَجَّرَاتِ الرُّعَاةُ عَلَى السِّبَاعِ بِكَثْرَةِ نَظَرِهَا إِلَيْهَا .

وَنَحَطَبَ فَقَالَ : الْأُمُورُ جَارِيَةٌ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ، وَالنَّاسُ مُتَصَرِّفُونَ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ ؛ وَهُمْ بَيْنَ مُتَسَخِّطٍ وَرَاضٍ ،

(١) وَلَدُ زِيَادٍ : هُوَ حَبِيبُ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ

٥٢٨ هـ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٦٧ هـ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أو
عقابٍ . ألا رُبَّ مسرورٍ بنا لا نسرُهُ ، ونخائفٍ ضدُّنا
لا نضرُهُ .

وكان في مجلسه الذي يَأْذَنُ فيه الناسُ أربعةُ أسطرٍ
في فواحيه ، أولُها : الشدةُ في غيرِ عُنْفٍ ، واللينُ في
غيرِ ضَعْفٍ . والثاني : المُحْسِنُ يُجَازَى بِإِحْسَانِهِ ،
والمسيءُ يُكَافَأُ بِإِسَاءَتِهِ . والثالثُ : العَطَيَاتُ وَالْأَرْزَاقُ
في إِبْطَانِهَا وَأَوْقَاتِهَا . والرابعُ : لا احتجابَ عن صاحبٍ
تَغْيِرُ وَلَا طَارِقَ لَيْلٍ .

قدمَ رجلٌ نَحْصُماً إلى زيادٍ في حَقِّ له عليه ،
فقال : إِنْ هَذَا يُدَلُّ بِحَاصَّةٍ ذَكَرَ أَنَّهَا لَكَ مِنْكَ . فقال
زيادٌ : صدَقَ . وسأخبرُكَ بما ينفعُكَ عَندي مِنْ مودته
إِنْ يَكُنِ الْحَقُّ لَكَ أَخَذْكَ بِهِ أَخَذاً عَنيفاً ، وَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ
لَكَ عَلَيْهِ أَقْضِي عَلَيْهِ ثُمَّ أَقْضِي عَنْهُ .

وقال : لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ ،
وَلَكِنِ الْعَاقِلُ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ أَلَّا يَقَعَ فِيهِ .

قالوا : قدم زياد^١ البصرة (١) والياً لمعاوية^٢ والفسق^٣
بالبصرة ظاهر^٤ فاش^٥ فخطب خطبة^٦ بترأه^٧ لم يحمد الله فيها .
ويقال : بل^٨ قال : الحمد لله على أفضاله ، ونسأله
المزيد من^٩ نعيمه ولم يكرمه . اللهم كما زدتنا نعماً
فألهمنا شكراً . أما بعد :

فإن الجاهلية الجهلاء ، والضلالة العمياء والغني^{١٠}
المؤفرة^{١١} لأهله على النار . ما فيه سفهاؤكم^{١٢} ، وبشتم^{١٣}
عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ،
ولا يتعمش^{١٤} منها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتاب
الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل
طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي^{١٥}
الذي لا يزول .

أتكونون كمن^{١٦} طرقت عينه الدنيا ، وسدّت مسامعته
الشهوات ، واختار^{١٧} الثانية على الباقية ولا تذكروا أنكم
أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا له :
من^{١٨} ترككم^{١٩} الضعيف^{٢٠} بقمهر^{٢١} ، ويؤخذ^{٢٢} ماله ،

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موافيه .

لم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن دَلَجِ الليلِ ،
 و غارةِ النهارِ ؟ قَرَّبْتُمْ القِرابَةَ ، و باعَدْتُمْ الدِّينَ .
 تعتدُّون بغيرِ العُدْرِ و تُغَضُّون على المُخْتَلِسِ . كلُّ
 امرئٍ منكم يذُبُّ عن سَفِيهِهِ صَنِيعَ مَنْ لا يخافُ
 عاقبةَ ، ولا يرجو مَعاداً . ما أنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ ، ولقد
 اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ ، فلم يزلْ بهم ما تروْنَ من قِيامِكُم
 دونهم ، حتى انتهكُوا حُرْمَ الإسلامِ ، ثم أَطْرَقُوا
 وراءكم كُنُوساً في مَكَائِسِ الرِّيبِ . حَرَّمَ عَلَيَّ
 الطَّعامُ و الشَّرابُ حتى أُسَوِّبَها بِالْأَرْضِ هَسماً و لِحِراقاً ،
 لِي رَأَيْتُ آخرَ هذا الأَمْرِ لا يصلحُ لِي لا بما صلحَ به
 أوَّلُهُ : لِي في غيرِ ضَعِيفٍ ، و شِدَّةٍ في غيرِ عَنُفٍ .
 و لِي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَخْذُنَّ الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى ، و المَقِيمَ بِالظَّاعِنِ ،
 و المَقْبِلَ بِالْمُنْجِبِ ، و الصَّحِيحَ مِنْكُمْ في نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ حَتَّى
 يَتَلَقَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فيقولُ : « انْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ
 سَعِيدٌ » (١) أو تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ .

(١) أصلُ المثل : أَنَّهُ كَانَ لِفُضَيْلِ بْنِ أَدِ بْنِ سَعْدٍ وَسَعِيدٌ ، فَخَرَجَا
 يَطْلُبَانِ إِيْلًا طِمَا ، فَرَجَعَ سَعْدٌ ، وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ فَكَانَ فُضَيْلٌ إِذَا رَأَى سَرَاداً
 تَحْتَ اللَّيْلِ قَالَ : سَعْدٌ أَمْ سَعِيدٌ .

إِنَّ كَذِبَةَ النِّهْرِ بِلِقَاءِ (١) مَشْهُورَةٌ ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ
 عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حُلَّ لَكُمْ مَعْصِيَتِي . مَنْ نَقَبَ عَلَيْهِ
 مِنْكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فَلِيَايَ وَدَلِجَ اللَّيْلِ ،
 فَلِإِنِّي لَا أَوْقَى بِمُدْلِجِ (٢) إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ وَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ
 فِي ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا يَأْتِي الْخَبِرُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .
 وَلِيَايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٣) ، فَلِإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ
 أَحْدَثْنَا لَكُمْ ذَنْبَ عَقُوبَةٍ ؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ،
 وَمَنْ أَحْرَقَ عَلَى قَوْمٍ أَحْرَقْنَاهُ وَمَنْ نَقَبَ عَلَى قَوْمٍ بَيْتًا
 نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيًّا كُفُّوا
 عَنِّي أَيْدِيَكُمْ ، وَأَلَسْتُكُمْ أَكُفَّ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي .
 وَلَا يَضْهَرُ مِنْ أَحَدِكُمْ خِلَافٌ مَا عَلَيْهِ عَامَّتْكُمْ إِلَّا ضَرِبْتُ
 عُنُقَهُ . وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ لِحَنٌ (٤) فَجَعَلْتُ
 ذَلِكَ دَبْرًا أَذُنِي ، وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَاذَ مِنْكُمْ

(١) بِلِقَاءِ : الْبَلَقُ : السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ . وَالْمَعْنَى : وَاضِحَةٌ وَظَاهِرَةٌ .

(٢) الْمُدْلِجُ : مَنْ أَدْلَجَ : سَارَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

(٣) الْمُرَادُ هَرِ التَّمَصُّبِ الْأَعْمَى لِلْقَبِيلَةِ .

(٤) الْإِحْنُ : جَمْعُ إِحْنَةٍ : الْحَقْدُ .

مُحْسِنًا فَلْيَزِدْهُ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيُرْتَدِعْ
عَنِ إِسَاءَتِهِ . إني لو علمتُ أن أحدكم قد قتلَهُ السُّلَّ
مَنْ يُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ عَنْهُ قَتْلًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا حَتَّى
يُبْشِرَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَلِذَا فَعَلَ لَمْ أَنَاظِرْهُ فَاسْتَأْنَفُوا
أُمُورَكُمْ . وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ . فَرُبُّ مُبِشِّرٍ
بِقُدُومِنَا سَيُّسَرٌ ، وَمَمْرُورٍ لِقُدُومِنَا سَيِّئٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَامِعًا ، وَعَنْكُمْ ذَادَةً ،
نَسُومُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنَلْزُودُ عَنْكُمْ
بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا . فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا
أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلَيْنَا . فَاسْتَوْجُوا
عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ لَنَا .

وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْهُ فَإِنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثٍ :
أَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ ، وَلَوْ أَنَا فِي طَارِقٍ
يَلْدَلِي ، وَلَا «أَبْسًا عَطَاءً» وَلَا رِزْقًا عَنْ إِيَابِهِ ، وَلَا
مُجْبِرًا (١) لَكُمْ بِمَثَلٍ ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالْإِصْلَاحِ لِأَعْمَلِكُمْ ،
فَلَا يَهْمُ سَاسَتُكُمْ الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ .

(١) يُقَالُ : جَمَعَ الْجَيْشُ أَيَّ حَبَسِهِ .

ومنى صلحوا تصالحوا ، ولا تشربوا قلوبكم
بنفسهم فيشتدّ لئلك غيظكم ، ويطول لئلك حزنكم ،
ولا تدركوا حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم
كان شراً لكم . أسألك الله أن يعينك كلاً على كل .

وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على
أذلاله (١) ، وأيستم الله إن لي فيكم لصراً كثيرة
فليتحدث كل امرئ أن يكون من صرعاي .

قال : فقام عبد الله بن الأهمس ، فقال : أشهد
أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال
له : كذبت . ذاك نبي الله داود صلي الله عليه وسلم .
فقام إليه الأحنف بن قيس ، فقال : إنما الثناء
بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لا نشني حتى
نبتلي ، ولا نحمد حتى نعطي .

فقال زياد : صدقت .

قال : فقام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأنا
الله — جل وعز — بغير ما قلت . قال الله تبارك وتعالى :

(١) على أذلاله : أي على وجهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (١) » وأنت تزعّم أنك
تأخذُ الصحيحَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمُتقِبِلَ
بالمُتدِيرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : يا عجلانُ ، إنني وليتُك هذا
البابَ ، وعزلتُك عن أربعةٍ : عزلتُك عن هذا الناديِ
إذا دُعِيَ للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ
الليلِ ، فشرٌّ ما جاء به . ولو جاء بخير ما كنتَ من حاجبه .
وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ (٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ
تدبيرَ سنةٍ فأدخله عليٌّ وإن كنتُ في ليحافي . وعن هذا
الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التشخينُ فسدَ .
وقال يُعجبُني من الرجلِ إذا سيمَ خُطّةَ الضميرِ أن
يقولَ : لا يملءُ فيه وإذا أتى ناديَ قومٍ علِمَ أين ينبغي
لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا ركبَ دابةً حملها على
ما يُحب ، ولم يتبعها إلى ما يكره .

(١) سورة النجم من ٣٧ - ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكان حارثةُ بنُ بدر (١) الغُدَّانيُّ قد غلبَ عليَّ
 زيادٌ - وكان الشرابُ قد غلبَ عليه (٢) - فتبيل لزيادٍ :
 إن ههنا قد غلبَ عليك وهو مُستهترٌّ بالشرابِ فقال زيادُ :
 كيف باطَّراح رجلٌ هو يُسايِرُنِي ؟ قد دخلتُ عليه
 العراقَ ، فلم يصكَّ ركابي ركاباه ومارا كبني قطُّ
 فمستَّ رُكبتِي ركبتهُ ولا تقدمني فنظرتُ إلى قفاه ،
 ولا تأخَّرَ عني فلويتُ عُنقي إليه ، ولا أخذَ عليَّ الشمسَ
 في شتاءٍ قطُّ ، ولا الرِّوْحَ في صيفٍ قطُّ ، ولا سألتُهُ عن
 علمٍ إلا ظننتُهُ لم يُحسنَ غيره .

فلما مات زيادٌ جفاهُ عبيدُ الله ، فقال له حارثةُ :
 أيها الأميرُ . ما ههنا الجفاهُ . مع معرفتك بالحال عند أبي
 المغيرة ؟ فقال له عبيدُ الله : إن أبا المغيرة كان قد برع
 برُوعاً لا يلحقه معه عيبٌ وأنا حدثٌ ، وإنما أنسبُ
 إلى مَنْ تغلبَ عليَّ ، وأنت رجلٌ تُديمُ الشرابَ ، فمتي

(١) حارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان
 زياد مكرماً له قابلاً لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير .
 (٢) أي على حارثة بن بدر .

قَرَّبْتُكَ ، فظهرت رائحةُ الشرابِ منك لم آمنُ أن
يُظنَّ بي . فدعِ النبيلةَ ، وكُنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ
خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لا أدعُه لمن يهلكُ ضرِّي ونفسي .
أفأدعُه للحالِ عندك ؟ قال : فاحترُ من عملي ما شئت .
قال : تؤلِّيني رامهرمز (١) فإنها أرضٌ عذِيَّةٌ (٢)
ومسُرِّقٌ (٣) وإنَّ بها شراباً وُصِفَ لي عنه . فولاه إياه .
وفيهِ قيل :

أحارِ بنُ بدرٍ قدْ وَلَّيتَ ولايةً
فكُنْ جُرْذاً فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ (٤)

. . .

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٢) أرض عذية : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .

(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .

(٤) قالل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشيع بها حارثة

ابن بدر . وحرار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحجاج (١)

خطب فقال : أيُّها الناسُ . مَنْ أَعْيَاه دَاوُّهُ
فَعَنِّي دَوَاوُّهُ ، وَمَنْ اسْتَبْطَأَ أَجْلَهُ ، فَعَلِيَ أَنْ أَصْجَلَهُ .
وَمَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ وَضَعْتُ عَنْهُ ثِقْلَهُ ، وَمَنْ اسْتَطَالَ
مَاضِي عَمْرِهِ قَصَّصْتُ عَلَيْهِ بَاقِيَتَهُ .

إِنَّ لِلشَّيْطَانِ طَيْفًا (٢) ، وَلِلسُّلْطَانِ سَيْفًا ، فَمَنْ
سَقَمَتْ سَرِيرَتُهُ صَحَّتْ عَقُوبَتُهُ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ذَنْبُهُ
رَفَعَهُ صَلْبُهُ ، وَمَنْ لَمْ تَسَعَهُ الْعَافِيَةُ (٣) لَمْ تَضِقْ عَنْهُ

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثَّقَفي . ولي الحجاز سنين ،
ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد
الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٨٩ هـ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : لمس من الشيطان ، وقهرهم : طيف
من الشيطان كقهرهم : لمس من الشيطان .
(٣) العافية : السلامة .

الهلكة . ومن سبقته بادرة^(١) فمعه سبق بدنه
بسفك دمه .

إني أنذر ثم لا أنظر^(٢) ، وأحذر ثم لا أعذر ،
وأوعد ثم لا أغفر إنما أفسدكم ترقيق^(٣) ولا تكفم .
ومن استرنحى لبيبه^(٤) ساء أدبه .

وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : والله ما بقي
من الدنيا إلا مثل ماضى ، وهو أشبه به من الماء بالماء .
والله ما أحب أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

وقال على المنبر يوماً : والله لألحونكم^(٥) لحو
العصا ، ولأعصينكم عصب السلمة ، ولأضربنكم

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب
أو غيره ، والمراد بسبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاماً منه .

(٢) لظرو : تأني عليه ، وأنظرو : أخره .

(٣) التريق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد :
الضعف في الأمر .

(٤) اللبب : ما يشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرجل
والسرج يمنعهما من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : فشرها .

ضربت غرائب الإبل (١) . يا أهل العراق ، يا أهل
 الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق . إني سمعتُ
 لكم تكبيراً ليس بالتكبير الذي يُراد به الله في الترغيب ،
 ولكنه التكبير الذي يُراد به التهيب . وقد عرفنا أنها
 عجاوبةٌ تحتها قصفٌ . أي بني اللكبة (٢) ، وعبيدُ
 العصا ، وأبناء الإماء . إنما مثلي ومثلكم ما قال ابنُ
 بَرّاقة الحمداني (٣) :

وكنّت إذا قومٌ غزوني غزوتهم
 فهل أنا في ذا يالَ همدانَ ظالمٌ ؟

متى نجمع القلبَ الدكيّ وصارماً
 وأنفأ حميماً ، تعتنبك المظالمُ

أما والله لا تفرغُ عصاً عصاً إلا جعلتها كأمسِ
 الدّاهب .

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك
 أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها ضربة من غيرها ، ضربت وطردت
 حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم بالثوم .

(٣) هو عمرو بن بَرّاقة بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رُبُّمَا سمعتُ الحجاجَ يذكرُ
ما صنعَ به أهلُ العراقِ ، وما صنعَ بهم ، فيقعُ في نفسي
أنهم يظلمونه لبيانه ، وحسنِ تخلصه للحجاجِ .
وخطبَ الحجاجُ مرةً فقال : اللهم أرني الغني غنياً
فأجتنبه ، وأرني الهندي هدىً فأتبعه ، ولا تكلني إلى
نفسي فأضلَّ ضللاً بعيداً .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : غدوتُ إلى الجمعة ، فجلستُ
قريباً من المنبرِ ، فصعدَ الحجاجُ ثم قال : امرؤُ زورٌ
عمله (١) ، و امرؤُ محاسبُ نفسه ، امرؤُ فكثرَ فيما
يقرؤه غداً في صحيفته ، ويراه في ميزانه . امرؤُ كانَ عند
قلبه زاجرٌ ، وعندَ همه أمرٌ ، آخذٌ بعنانِ قلبه كما يأخذُ
الرجلُ بخطامِ جَمَاسِهِ ، فإنَّ قادهُ إلى طاعةِ الله تَبِعَهُ ،
وإنَّ قادهُ إلى معصيةِ الله كَفَّه .

وكان يقول : إنا والله ما خُلِقنا للفناء ، وإنما خُلِقنا
للبقاء ، ولكنَّ نُنتقلُ من دارٍ إلى دارٍ .

(١) زور عمله : حسه .

وخطب يوما فقال : إن الله أمرنا بطلب الآخرة ،
وكفانا مؤونة الدنيا ، فليتنا كفيها مؤونة الآخرة ،
وأمرنا بطلب النجاة .

فقال الحسن : ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك (١) فرساً وبغلة وكتب إليه :
وجهت إلى أمير المؤمنين فرساً سهلاً الخد ، حسن
القد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف . وبغلة
هواها زمامها وسوطها .

وكان يقول : العفو عن المقر لا عن المصّر .

وقال : الكوفة امرأة حسناء عاقل (٢) ، والبصرة
عجوز درداء (٣) ، قد أوتيت من كل شيء .

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ،
من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمل معاوية على المدينة سنة ١٦ سنة ،
وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦٥ .

(٢) العاقل : الخالية من الزينة .

(٣) العجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدرج ، والأدود : رجل

ليس في فيه سن .

وقال له بعضُ ولاةِ الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فابْعَلْ .

قال : أستهديك بَغْلَةً على شَرَطِي . قال : وما شَرَطُكَ ؟ قال : بَغْلَةٌ قَصِيرٌ شَعْرُهَا ، طَوِيلٌ عَيْنَانُهَا ، دُمُشَاهَا أَمَامَتُهَا ، وَسُوطُهَا لِحَامُهَا ، تَسْتَبِينُ فِيهَا الْعَلَقَةُ ، وَلَا تَهْزِلُهَا الرُّكْبَةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يُلْذِبُ الإِعياءَ ؟ فقال بعضهم : التَّمَرُّ . وقال آخر : التَّمَرُّحُ وقال آخر : النُّومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجةِ التي أُعْيَا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتَيْبَةَ : لَا تَهْجُنْ بِلَاءَ أَحَدٍ مِنْ جُنْدِكَ وَإِنْ قُلَّ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ يَرْغَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي حُسْنِ الْبَلَاءِ . وَأَعْطِ الَّذِي يَأْتِيكَ بِمَا تَكْرَهُ صَادِقًا مِثْلَ الَّذِي يَأْتِيكَ بِمَا تَحِبُّ كَاذِبًا ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ غُرُوكَ وَلَمْ يَأْتُوكَ بِالْأَمْرِ عَلَى وَجْهِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْكَذُوبِ رَأْيٌ ، وَلَا فِي حُسُودٍ ، حِيلَةٌ .

وقال لكتابه : لَا تَجْعَلَنَّ مَالِي عِنْدَ مَنْ لَا اسْتَطِيعَ أَخْذَهُ مِنْهُ . قال : وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْأَمِيرُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ ؟ قال : الْمُفْلِسُ .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك لـإليه يأمره أن يكتب
 لـإليه بسيرته . فكتب لـإليه : إني قد أيقظت رأيي ، وأُنتُ
 هواي ، فأدثيتُ السيّد المطاع في قومه ، وولّيتُ الحرب
 الحازم في أمره ، وقلّدتُ الخراج الموفّر لأمانته ،
 وقسمتُ لكلّ خصمٍ من نفسي قسماً أعطيه حظّاً من
 نظاري ، ولطيف عنائي ، وصرفتُ السيف إلى النّطف (١)
 المسّيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فخاف المُريب
 صوة العقاب ، وتمسّك المُحسن بحظّه من الثواب .
 وقال : لأطلبنّ الدّنيا طاب من لا يموت أبداً
 ولأُنْفِقَنَّها كمن لا يعبر ألباً .

قال بعضهم : رأيتُ الحجاج وعنبة بن سعيد
 واقمّتين على دجلة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبة ،
 إذا كنت في بلد يضعفُ سلطانه ، فأخرجْ عنه ؛ فإن
 ضعف السلطان أضرتْ على الرعية من جُوده .
 وكان يقول : خيرُ المعروف ما نعتت به عثرات
 الكرام .

(١) التطف : العيب . يقال : هم أهل الريب والتطف : التلطف بالعيب .

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيُّها الأميرُ . فقال :
((فلا عُدُوَانِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصْلَحَ اللهُ الأميرُ ، جَوَّ
جَنَانٍ فِي الْحَيِّ ، فَأَخَذْتُ بِمُحْرِيرَتِهِ ، وَأَسْقَطَ عَطَائِي .
فقال : أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

جَانِيكَ مَنْ يَتَجَنَّى عَلَيْكَ وَقَدْ
تُعَدِّي الصَّحَّاحُ مَبَارِكُ الْخُرْبِ
وَلِرُبِّ مَا تُخَوِّدُ بِذَنْبٍ صَدِيقِيهِ
وَتَتَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الدَّنْبِ

فقال الرجلُ : كُتِبَ اللهُ أَوَّلِي مَا اتَّبَعُ . قال اللهُ تعالى :
((مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
عِنْدَهُ)) (٢) . فقال الحجاجُ : صدقت . وأمرَ بِرَدِّ عَطَائِهِ .

وقيلَ له — وقد احتضر — : أَلَا تَتُوبُ ؟ فقال :
إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا فَلَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةُ التَّوْبَةِ ، وَإِنْ كُنْتُ
مُحْسِنًا فَلَيْسَتْ سَاعَةُ الْفَرَجِ .

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا ... »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قَالَ مَعَاذَ اللهِ » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأَنفُسَ فانها أَسْأَلُ
 شيءٌ إِذَا أُعْطِيَ ، وأَعْصَى شيءٌ إِذَا سُئِلَتْ . فرحم
 الله أَمْرًا جَمَلَ لِنَفْسِهِ خَطَامًا وزَمَامًا ، فَقَادَهَا بِخَطَامِهَا
 إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَعَطَفَهَا بِزَمَامِهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ؛ فَلِئِذَا رَأَيْتَ
 الصَّابِرَ عَنْ مُحَارَمَةِ أَيْسَرٍ مِنَ الصَّابِرِ عَلَى عَذَابِهِ .

وكان يقول : إِنْ أَمْرًا أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ
 لَمْ يَذْكُرْ رَبَّهُ ، وَلَمْ يَسْتَغْفِرْ مِنْ ذَنْبِهِ ، أَوْ يَفْكَرْ فِي مَعَادِهِ .
 بلحْدِيرٍ أَنْ تَطُولَ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

كان الْحِجَاجُ إِذَا اسْتَغْرَبَ صَبِيحًا وَاتَى بَيْنَ
 الِاسْتِغْفَارِ . وكان إِذَا صَعِدَ الْمَنْبَرُ تَلَفَّعَ بِمِطْرَفِهِ (١) ، ثُمَّ
 تَكَاسَّمَ رَوِيدًا فَلَا يَكَادُ يُسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَتَزَيَّدُ فِي الْكَلَامِ
 حَتَّى يُشْخَرَجَ يَدُهُ مِنْ مِطْرَفِهِ يَزْجُرُ الزُّجُورَةَ فَيَقْرَعُ بِهَا
 أَقْصَى مَنْ فِي الْمَسْجِدِ . وَكَانَ يُطْعِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى
 أَلْفِ مَائِدَةٍ ، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ ثَرِيدٌ وَجَنْبٌ مِنْ شِوَاءٍ ،
 وَسَمَكَةٌ طَرِيَّةٌ . وَيَطَافُ بِهِ فِي مِحْفَافَةٍ (٢) عَلَى تِلْكَ

(١) وَالْمِطْرَفُ : رِداءٌ مِنْ خَزٍّ مَرِيعٍ ، ذُرٌّ أَعْلَامٍ ، وَالْمِطْرَفُ مِنْ
 الثِّيَابِ : مَا جُمِعَ فِي طَرَفِهِ عِلْمَانُ .

(٢) الْمِحْفَافَةُ بِالْكَسْرِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ كَالْهُودُجِ إِلَّا أَنَّهَا
 لَا تَقْبَبُ كَالْهُودُجِ .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة . ثم
يقول : يا أهل الشام . كَسِّرُوا الخُبْزَ (١) لثلاثيُمِئَةٍ
عليكم .

وكان له ساقيان : أحدهما يسقي الماء والعسل ،
والآخر يسقي اللبن .

يُروى عن محمد بن المنتشر الهمداني ، قال : دفع
إليّ الحجاج « أَرَادَ مُرَدِّ بن الهزبل » وأمرني أن أستخرج
منه ، وأغليظ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمدُ .
إن لك شرفاً وديناً . وإني لا أعطي على التمسير شيئاً ،
فاستأدني (٢) ، وارفُقْ بي . قال : ففعلت : قال : فأدّي
إليّ في أسبوع خمسمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ،
فأغضبته ، وانتزعته من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولّى
له العذاب ، فلدق يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المنتشر : قلّني لأمرٌ يوماً في السوق
إذا صاح بي : يا محمدُ . فالتفتُ فإذا به معروضاً على

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) امتأداه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْتُوقَ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ فَخِيفْتُ الْحِجَاجُ إِنْ أَتَيْتُهُ ، وَتَذَمَّتْ (١) مِنْهُ . فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي : إِنْكَ وَلَيْتَ مِنِّْي مَا وَلِيَ هَؤُلَاءِ . فَفَرَّقْتُ بِي فَأَحْسَنْتَ إِلَيَّ ، وَلَئِنْ صَنَعُوا بِي مَا تَرَى ، وَلَمْ أُعْطِهِمْ شَيْئًا . وَهَـ هَـا خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ عِنْدَ فُلَانٍ . فَخَذُّهَا . فَمَهِيَ لَكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ : مَا كُنْتُ لَأَخْذَ مِنْكَ عَلَى مَعْرُوفٍ أَجْرًا ، وَلَا لَأَرْزَأَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ شَيْئًا .

قَالَ : فَأَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَاسْمَعْ أَحَدَثُكَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ دِينِكَ عَنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ أَمْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي وَقْتِهِ ، وَجَعَلَ الْمَالَ فِي سَمَحَاتِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ ، وَإِذَا سَخِطَ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ ، وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ بَخِلَاتِهِمْ ، وَامْطَرَهُمُ الْمَطَرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ .

قَالَ : فَانْصَرَفْتُ ، فَمَا وَضَعْتُ ثَوْبِي حَتَّى أَتَانِي رَسُولُ الْحِجَاجِ بِأَمْرِي بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ . فَأَلْفَيْتُهُ جَالِسًا عَلَى فَرْشِهِ . وَالسَّيْفُ مُسْتَضِي فِي يَدِهِ . فَقَالَ لِي : اُدْنُ .

(١) تَذَمَّتْ مِنْهُ : أَيِ اسْتَحْيَيْتْ مِنْهُ ، وَاسْتَكْفَتْ .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئاً . ثم صاح
الثالثة : اُدْنُ . لا أبالك ! ! فقلت : ما بي إلى الدُّنُوِّ من
حاجة . وفي يد الأمير ما أرى . فأضحك الله سنّةً ،
وأغمدَ عني سيفه . فقال لي : اجلس . ما كان من حديث
المغيث ؟

فقلت له : أيُّها الأميرُ . والله ما غشيتُك منذ
استنصحتني ، ولا كذبتُك منذ استخبرتني ، ولا خنتُك
منذ ائتمنتني . ثم حدّثته الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعرضَ
عني بوجهه ، وأومأ إليَّ بيده . وقال : لا تُسمِّه .
ثم قال : إنَّ للمغيثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

■ ■ ■

الباب الثالث

كَلَامُ الْأَحْنَفِ (١)

رَأَى مَعَ رَجُلٍ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : تَحِبُّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
أَمَّا إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ حَتَّى تَفَارِقَهُ .

قَالَ : مَا عَرَضْتُ إِلَّا نِصَافَ عَلَى رَجُلٍ فَقَبِلَهُ إِلَّا حَيْثُ ،
وَلَا أَبَاهُ إِلَّا طَمَعْتُ فِيهِ .

وَقَالَ : لَا أَذَى تَحْكُكَ فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَيْسَرٍ رَدَدْتُ عَنْهَا كُفُورًا .

وَقِيلَ لَهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الدَّلِيلُ فِي نَفْسِهِ ،
الْأَحْمَقُ فِي مَالِهِ ، الْمَعْنِيُّ بِأَمْرِ قَوْمِهِ ، النَّاضِرُ لِلْعَامَّةِ .

وَقَالَ : رَبُّ رَجُلٍ لَا تَمْلُ فَوَائِدَهُ وَإِنْ غَابَ ،
وَأَخَّرَ لَا يَسْلَمُ جَلِيسُهُ وَإِنْ احْتَشَرَسَ .

وَقَالَ : كُلُّ مَلِكٍ غَدَّارٌ وَكُلُّ دَابَّةٍ شَرُودٌ وَكُلُّ
امْرَأَةٍ خَنَزُوفٌ .

(١) الْأَحْنَفُ : هُوَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي

الْحِلْمِ حَقٌّ قِيلَ : « أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أُرضي بها سُلطاني .
ولا أَسْخَطُ بِهَا رَبِّيَ فما وجدتها .

وقيل له : ما الحلمُ ؟ قال : الرِّضاءُ بالمدل .

وقيل لرجل : ليت طولَ حِلْمنا عنك لا يدعُو
جهلَ غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار
والنَّارَ .

وقال : وإياك والكسلَ والضجرَ ، فإنك إن كسلتَ
لم تُؤدِّ حقاً ، وإن ضَجِرتَ لم تُصرْ على حقٍّ .

وذكرَ رجلاً فقال : لا يحقرَ ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً .

وقال : الشريفُ منَ عدَّتْ سقَطاته .

وقيل له : ما اللُّؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف (١) .

قيل : فما الجودُ ؟ قال : الاحتيالُ للمعروف .

وسمعَ رجلاً يقول : ما بُتُّ البارحة من وَّجَعِ ضرسٍ .

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلکثر في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثرُ ! ! فوالله
لقد ذهبتُ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .
وقال : لستُ بحليم ولكني أتحام .

وقال يومَ قُتل مُصْعَبٌ : افظروا إلى المُصْعَبِ ،
على أي دابة يخرجُ ؟ فإن خرج على برذون (١) فهو
يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الحرب .
قال : فخرج على برذونٍ يجرُ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استميلُوا النساء بحسنِ الأخلاق
وفُحْشِ النِّكَاح .

وقال : وجدتُ الحلمَ أنصرَ لي من الرجال .
وقال له رجلٌ : بِمَ سُدَّتْ ؟ قال : بِتَرْكي من
أمرِك مالا يتعنيني ، كما عتاكَ من أمري مالا يعينك .
وقال : من حقّ الصديق أن تُحتملَ له ثلاثٌ :
ظلمُ الغضب . وظلمُ الدالة ، وظلمُ الهفوة .
خطب معاويةُ مره ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ » (١) فَعَلَامَ تَلُومُونِي
إِذَا قَصَرْتُ فِي أُعْطِيَاكُمْ ؟

فَقَالَ الْأَحْنَفُ : فَجَعَلْتَهُ أَنْتَ فِي خَزَائِنِكَ ، وَحُلَّتْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَلَمْ تُنْزَلْهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ .

وَقَالَ : مَا نَازَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَخَذْتُ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ
ثَلَاثَةٍ : إِنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ . وَإِنْ كَانَ دُونِي
أَكْرَمْتُ نَفْسِي عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِثْلِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ .

وَقَامَ بِصَفَيْنِ ، فَاشْتَدَّ ، فَخِيلَ لَهُ : أَيْنَ الْحِلْمُ
يَا أَبَا بَحْرٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ عِنْدَ عَقْرِ الْحَيِّ (٢) .

وَقَالَ : لَا تَشَاوِرِ الْجَائِعَ حَتَّى يَشْبَعَ ، وَلَا الْعَطْشَانَ
حَتَّى يَرَوِيَ ، وَلَا الْأَسِيرَ حَتَّى يُطْلَقَ ، وَلَا الْمُضِلَّ
حَتَّى يَجِدَ ، وَلَا الرَّاغِبَ حَتَّى يَنْجَحَ .

وَأَتَى مَصْعَبَ بْنَ الزَّيْبِرِ (٣) يَكْلِمُهُ فِي قَوْمِ حَبْسِهِمْ ، فَقَالَ :
أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ كَانُوا حُبَسُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ
وَإِنْ كَانُوا حُبَسُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْعُهُمْ ، فَخَلَّاهُمْ .

(١) سُورَةُ الْحَجَرِ : ٢١ .

(٢) يَقْصِدُ بِقَوْلِهِ : مَقَرَّ الْحَيِّ وَقْتُ السَّلَامِ لَا وَقْتُ الْحَرْبِ حَيْثُ يَكُونُ

مَقِيمًا بِحَيْهِ وَبِلَدِهِ .

(٣) مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ ، وَأَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ وَأُمُّهُمَا

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وقال : السُّودَدُ ، مع السَّوَادِ . يريد أن السيّدُ مَنْ
أَتَتْهُ السِّيَادَةُ فِي حَدَاتِهِ وَسَوَادَ رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ .

وجلس على باب زياد ، فمرّت به ساقيةٌ ، فوضعت
قربتها ، وقالت : يا شيخُ . احفظْ قربتي حتى أعود ،
ومضتْ ، وأتاهُ الْآذَنُ (١) فقال : انهضْ . قال : لا ،
فإن معي وديعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلاً وألحَّ عليه فقال له : يا بنَ أُمِّي .
هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليومَ تَحْدُو بِجَمَلٍ تَعَالِ (٢) .
وقال : كُنَّا نَخْتَلِفُ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ (٣) فِي
الْحِلْمِ ، كَمَا يُخْتَلَفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ فِي الْفَقْهِ .

(١) الْآذَنُ : الْحَاجِبُ .

(٢) جَمَلٌ ثَغَالُ بَفَتْحِ الثَّاءِ وَالْثَغَالُ مِنَ الْإِبِلِ الْبَطِيءُ الثَقِيلُ الَّذِي لَا يَكْدُ
يَنْبَعَثُ .

(٣) قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مَنْ تَعَلَّمْتَ الْحِلْمَ ؟ ! قَالَ مِنْ قَيْسِ بْنِ
عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ ، رَأَيْتُهُ قَاعِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، مُحْتَبِيًا بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ يَحْدُثُ
قَوْمَهُ ، حَتَّى أَتَى بِرَجُلٍ مَكْتُوفٍ وَرَجُلٍ مَقْتُولٍ . فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ
قَتَلَ ابْنَكَ ، فَوَ اللَّهِ مَا حَلَّ حَبْوَتَهُ ، وَلَا قَطَعَ كَلَامُهُ ، تَمَّ التَّنْفِثُ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ
فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَثَمْتُ بِرَبِّكَ وَرَمَيْتُ نَفْسَكَ بِسَهْمِكَ ، وَقَتَلْتُ
ابْنَ عَمِّكَ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِ لَهُ آخَرٍ : يَا بَنِي قَوْمِ فَوَارِ أَخَاكَ ، وَحَلَّ كِتَافُ ابْنِ
عَمِّكَ ، وَدَقَّ إِلَى أُمِّهِ مِائَةُ دِقَّةٍ أَبْنَاهَا فَرَّهَا غَرِيبَةً .

وشتيه رجلٌ ، فسكت عنه ، فأعاد ، فسكت ،
فقال الرجلُ : والهامه . ما يمنعه أن يردَّ عليَّ إلا هَوائي
عليه .

وقال الأحنفُ : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ،
ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعته مخافة ما هو أشدُّ منه .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسع له ، فإن لم يجد موضعاً
تحركَ ليريه أنه يوسع له .

وقال : ماجلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنه
لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلسٌ
قاعة^(١) .

وقال : خيرُ الإخوان من إذا استغثتَ عنه لم يزدك
في المودة ، وإن احتجتَ إليه لم ينقصك منها ، وإن
كُوثرَ عَصْدُكَ ، وإن احتجتَ إلى معونته رَفَدَكَ .
وقال : العتابُ مفتاحُ الثَّقالي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

(١) مجلس قلمة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزال العربُ بخير ما لبستِ العمائمَ ،
وتقلدتِ السيوف ولم تعدَّ الحلمَ ذُلًّا ولا التواهبَ بينها
ضبعة .

قوله : لبستِ العمائمَ ؛ يريد ما حافظتُ على زيِّها .
وقال : ما شأمتُ أحدًا منذُ كنتُ رجلًا ، ولا زحمتُ
رُكبتاي رُكبتيه ، وإذا لم أصل مُجتديَّ حتى يفتحَ جبينه ،
كما تنتج الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلتُه .
وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأُبينُ ذلك
في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلغني عنك الثقةُ فقال : إن الثقةَ لا يبلغُ .
وعُدَّت على الأحنفِ سقطةٌ ؛ وهو أن عمرو بن
الآهم (٢) دسَّ إليه رجلًا ليسفَّههُ . فقال : يا أبا
بحر : من كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوسطهم .

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السن .

(٢) هو عمرو بن سنان الأهم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالآهم
لأن ثنيته همت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ،
ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه
السلام هو والزبير بن بدر وأسلم . وقد توفي عمرو سنة ٥٧ هـ .

لم يسدّهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانية ، ففطن
الأحنف أنه من قبيل عمرو . فقال : ما كان مال أبيك ؟
قال : كانت له صرمة^(١) يمنح منها ، ويقري^(٢) ولم
يكن أهتم سلاّحاً .

وسمع رجلاً يقول : التعلّم في الصغر ، كالنقش
على الحجر . فقال الأحنف : الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه
أشغل قلباً .

ولم قدم على عمر في وفد أهل البصرة وأهل
الكوفة فقضى حوائجهم قال الأحنف : إن أهل هذه
الأمصار نزلوا على مثل حداقة البعير ، من العيون العذاب
تأتيهم فواكههم لم تتغير . ولما نزلنا بأرض سبخة
نشاة^(٣) ، طرف لها بالهالة ، وطرف بالبحر الأجاج^(٤)

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القطعة من الإبل ما بين العشرة
إلى الأربعين .

(٢) قري الضيف يقريه قري بالكسر والقصر ، والفتح رائد :
أضافه ، كاتراء .

(٣) أرض سبخة نشاة : لا يحف ثراها ، ولا ينبت مرعاه ،
والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سبخة نشاة » : البصرة . أي
نزارة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يَا تَيْنَا مَا يَأْتِينَا فِي مِثْلِ مَسْرِيءِ النِّعَامَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَرَفَعْ
نَحْسِيئَنَا (١) بِعَطَاءِ تَفْضُّلُنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ فَهَلْكَ .

قِيلَ : لِمَا أَجْمَعَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ جَمْعَ الْخُطْبَاءِ
فَتَكَلَّمُوا - وَالْأَحْنَفُ سَاكِتٌ - . فَقَالَ : يَا أَبَا بَحْرٍ ،
مَا مَنَعَكَ مِنَ الْكَلَامِ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَعْلَمُنَا بِبِرِّكَ لَيْلِيهِ
وَنَهَارِهِ وَسِرِّهِ ، وَعَلَانِيَتِهِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخُلَاقَةَ
خَيْرٌ لَهُ فَاستَخْلَفَهُ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا شَرٌّ لَهُ فَلَا تُؤَلِّهِ
الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَذْهَبُ إِلَى الْآخِرَةِ ؛ فَلَمَّا لَكَ مَا طَابَ ،
وَعَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْمَرْوَةُ كُلُّهَا إِصْلَاحُ الْمَالِ ،
وَبَذْلُهُ لِلْحَقُوقِ .

* * *

(٢) تَرَفَعَ نَحْسِيئَنَا : رَفَعَتْ مِنْ نَحْسِيئِهِ ؛ إِذَا طَلَعَتْ بِهِ أَمْرًا يَكُونُ
فِيهِ رَفْعُهُ .

الباب الرابع

كلامُ المهلبِ وولده (١)

قيل للمهلب : ما النبل ؟ قال : أن يخرج الرجلُ
من منزله وحده ، ويعود في جماعة .
وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيء
كما تضيقُ عند السر .

خطب يزيدُ بنُ المهلب بواسط (٢) فقال : إنني
قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مسلمةٌ وقد جاء العباسُ ،
وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف :
سبعةٌ منها معي ، واثنان عليّ . وأما مسلمةٌ فجرادةٌ

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري . نشأ في
دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه
عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ،
وكسر شركتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٨٣ هـ وأما
أولاده فهم : المغيرة ، يزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ،
ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراء ، وأما العباس ففسطوس (١) بن فسطوس ،
أثاكم في برابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلب : عحيث لمن يشتري المالك
بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعرّوفه .

وقال يزيد بن المهلب لابنه مخلد - حين ولّاه
جرجان : استظرف كاتيك - واستعقل حاجبتك .

قال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلاً مُستلثماً (٤)
في الحرب إلا كان عندي رجلين ، ولا رأيت حاسرين (٥)
إلا كانا عندي واحداً .

(١) فسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث
كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي قطلق في مصر على النوبيين أو
البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي
لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، فسط ،
يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة
جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبة : هم جيل من الناس بين بلاد البفار والقسطنطينية .

(٤) رجلاً مستلثماً : أي لا بأس الأثمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مفقر له ، ولا درع ، أولاً جثة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق :
إن السلاح فضيلة . أما تراهم ينادون عند الصَّريخ :
السَّلاح السلاح ، ولا ينادون : الرِّجال ، الرجال .

فيل يزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : منزلي
دار الإمارة أو الحبس .

أغاظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقليل له : جهل
عليك وتحلمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مساوئيه ، وكرهت
أن أبهته بما ليس فيه .

قال يزيد بن المهلب : ما رأيتُ عاقلاً ينوبه أمرٌ
إلا كان مقولُه على تحييه (١) .

وقيل له : إنك لتُلقي نفسك في المهالك . قال : إني
لستُ آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتية من بغضه ، ثم تمثل :
تأخَّرتُ أستبقي الحياة فلم أجِدْ
لنَفْسِي حياةً مثل أن أتقدِّمَ (٢)

(١) ليده : اللحي : مثبت الحياة . والمراد : بدا على وجهه ما يريد
أن يقرله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظفّر بالأزارقة (١) :

الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلاً بنعمه ، وقضى ألا ينقطع المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من عباده ثم إنا وعدونا كنا على حالين مختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون فينا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم . فلم يزل الله يكثرنا ويمحقهم ، وينصرنا ويخذلهم ، على اشتداد شوكتهم ؛ فقد كان علناً أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ، وفؤم به الرضيع ، فافتتحت منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدنت السواد ، من السواد حتى تعارفت الوجوه . فلم نزل كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتاب أجله .

((فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبيه : يا بني ؛ إذا غدا عليكم الرجل ، ولاح مسلماً ، فكفى بذلك تقاضياً .

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .

(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خيراً ؟ قال : ما بُعد فيه
مدى الطرف ، وكثرت فيه فائدة الجليس .
قال المهلب : العيش كله في الجليس الممتع .

وكتب إليه الحجاج : أما بعد . فلأنك تراخى عن
الحرب حتى يأتاك رُسلي . فيرجعوا بعددك ، وذلك
أنك تُمسك حتى تبرا الجراح ، وتنسى القتل ،
ويجُمُّ الناس ، ثم تلقاهم فتحمل منهم مثل ما يحملون
منك من وحشة القتل ، وألم الجراح . ولو كنت تلقاهم
بذلك الجهد لكان الداء قد حُسم . والقرن قد قُصم .
ولعمري ما أنت والقوم سواء ، لأن من وراءك
رجالاً ، وأمامك أموالاً . وليس للقوم إلا ما معهم ،
ولا يدرك الوجيف (١) بالدبيب ولا الظفر بالتعذيب .

فكتب المهلب إليه : أما بعد . فأنني لم أعطِ رسلك
على قول الحق أجراً ، ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى
تلقين . ذكرت أنني أجُمُّ القوم ، ولا بد من راحة
يستريح فيها الغالب ، ويحتال فيها المغاوب ،

(١) الوجيف : ضرب من سحر الإبل والجمال ، وأوجف دابة إذا حيا .

وذكرت أن في الجحام ما يُنسى القتلى ، ويُبْرىءُ
الجراح . وهيئات أن يُنسى ما بيننا وبينهم ، تأتي ذلك
قتلى لم تُجَنَّ ، وقروح لم تُتَقَرَف (١) . ونحن والقوم
على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ،
وإن ملأوا وقفوا ، وإن يشؤوا انصرفوا ، وعلينا أن
نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحترز إذا وقفوا ، ونطلب إذا
هربوا ؛ فإن تركتني والرأي كان القيرن (٢) مفصوما ،
والداء — بإذن الله — محسوماً ، وإن أعجبتني لم أطعك ،
ولم أعصِر ، وجعلت وجهي إلى بابك وأنا أعوذ بالله من
سخط الله عز وجل ومقت الناس !

* * *

(١) تقرئت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوما : القرن من معانيه السيف أو النصل ،
والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

الباب الخامس

كلام أبي منسليم (١)

قيل له : ما كان سببُ خروجِ الدولة عن بني أمية ؟
فقال : ذلك لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنتوا
أعداءهم تألفاً لهم ، فلم يصبر العدوُّ بالدنو صديقاً
وصار الصديقُ بالبعد عدوًّا .

وقيل له في حديثه : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام
كأنك مُوكلٌ برعي الكواكب ، أو مُتوقعٌ للوحي من
السماء . فقال : والله ما هو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ،
وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمةٌ بعيدةٌ ونفسٌ
تتوقُّ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمَّج والرُّعاع ،
وحالٌ مُتناهية من الاتضاع ، وإني لأرى بعضَ هذا
مصيبةً لا تُجبرُ بسهر ، ولا تُستلَفَى بأرقٍ .

قيل له : فما الذي يُبْردُ عليك ، ويشفي أججاج
صدرك ؟ قال : الظفرُ بالملك .

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس المخرجين عن بني
أمية ، والثائرين على حكمهم ، والمبشرين بقيام دولة بني العباس سنة ١٣٣هـ
قتله أبو العباس السفاح خوفاً منه سنة ١٣٦هـ .

قيل له : فاطلبُ . قال : إذ المُلْكُ لا يطلب إلا
 برُكوبِ الأهوال . قيل : فأركبِ الأهوال : قال :
 هيهات . العقلُ مانعٌ من ركوبِ الأهوال . قيل فمِمَّا
 تصنع وأنت تسبلي حسرةً وتنبوب كمداً ؟ قال : سأجعلُ
 من عقلي بعضه جهلاً ، وأحاول به خطراً ، لأنالَ
 بالجهل مالا يُنال إلا به . وأدبُر بالعقل مالا يحفظ
 إلا بقوته ، وأعيش عيشاً يُبين مكان حياتي فيه من مكان
 سوتي عليه ، فإنَّ الخمولَ أخو العدم والشهرة أبو الكون .
 قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مُسلم
 وآتسني ، ثم سألني ، فقال : أيُّ الأعراض أدنى ؟
 فقلت : عِرْضٌ بخيل . قال : كلاً . رُبُّ بُخْلٍ لم يتكلم
 عِرْضاً . قلت : فأيهما أصلح الله الأمير ؟ قال : عرضٌ لم
 يرتع فيه حربٌ ولادمٌ .

قال أبو زيد : سمعت رؤبة (١) يقول : ما رأيت أروى
 لأشعارنا من أبي مُسلم من رجل يرتضخ لكُتةً . قال أبو زيد :
 وإذا قال رؤبة لرجل يرتضخ لكُتة فهو من أفصح الناس .

(١) رؤبة بن العجاج المصري الشامي الحمدي . كان هو وأخوه من
 الملوّنين في الرجز ، وكان عارفاً باللغة ، وحشيها وغريبها . والرؤية :
 جريرة اللبن ، والرؤية باهمة : القطعة من الخشب يشب بها الإناء ،
 توفي سنة ٨١٤ هـ .

الباب السادس

كلامُ جَمَاعَةٍ مِنِ الْأُمَرَاءِ

تخطب يوسفُ بنُ عُسر (١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ الله . فكم من مُؤمِّلٍ أُملاً لا يبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً يأكلُهُ ، ومانعٍ ماسوفٍ يترُكه ، ولعله من باطلٍ جمعةٌ ، ومن حقٍّ منعه . أصابه حراماً وورثه عدواً ، واحتمل لإصرُهُ (٢) ، وباءَ بوزرِهِ ، ووردَ على رَبِّهِ أسفاً لاهفاً خسر الدنيا والآخرة « ذلك هوَ الخسرانُ المبین » (٣) .

صَعِدَ وَرَدُ بنُ حاتمِ المنبرِ ، فلما رآهم قد فتَحُوا أسماعَهُمْ ، وشَتَّقُوا أَبْصَارَهُمْ نحوه قال : فَكُتُّوا رؤوسُكم ، وَغُضُّوا أَبْصَارُكم ، فإنَّ أوَّلَ مركبٍ صعبٍ ، وإذا يسَّرَ اللهُ فَتَحَ قُفْلَ نَيْسَرٍ .

-
- (١) هو يوسف بن عسر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وهو ابن عم الحجاج .
- (٢) لإصر : العهد الثقيل . وأصل الإصر : الثقل والشدة ؛ لأنها أثقل الأيمان وأضيقها فخرج
- (٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسف بن عمر يقول : كان الحجاج الدثخان
وأنا اللهب ؟

قام خالد (١) بن عبد الله على المنبر بواسط
خطيباً . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسوا في المكارم ،
وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمد بالجد ، ولا تكتسبوا
بالمطل ذمّاً ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تُعجلوه ، ومهما
يكن لأحدكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله
أحسن لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلموا أن حوائج
الناس إليكم نعمٌ من الله عليكم ، فلا تملأوا النعم
فتتحول نقماً . واعلموا أن أفضلَ المال ما أكسبَ أجراً ،
وورثَ ذكراً ، ولو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه
حسناً جميلاً يسرُّ الناظرين ويفوقُ العالمين . ولو رأيتم
البخل رجلاً رأيتموه مشوهاً قبيحاً تنفر عنه القلوبُ
وتغضي عنه الأبصارُ . أيُّها الناسُ : إن أجودَ الناس من
أعطى من لا يرجوه ، وأعظمَ الناس عفواً من عفا عن
قدرة ، وأوصلَ الناس من وصل من قطعه ومن لم

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاء
الريد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ هـ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك .

يطبُ حرثُهُ لم يَنْزُكْ نَبْتُهُ . والأصولُ عن مغارسها تَنْمُو ،
وبأصولها تَسْمُو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

أراد رجلٌ أن يمدحَ رجلاً عند خالد بن عبد الله ،
فقال : والله لقد دخلتُ إليه فرأيتُه أهدى الناس داراً
ومرشأً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذمتهُ من حيثُ أردت
مدحهُ هذا والله سألُ من لم تدعُ فيه شهوتهُ للمعروف
فضلاً .

حدث بعضهم قال : لما وليَ أبو بكر بنُ عبد الله
المدينة و طال مُكُنتُهُ عليها كان يبلُغُهُ عن قوم من أهلها
تَنالُ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإسماعفٌ من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات
ووجوه الناس في يوم الجمعة أن يقربُوا من المنبر ، فلما
فرغ من خطبة الجمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ
قولاً ، فمن وعاهُ وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا
يَعُدْ مَنْ ذمّاً مهذا قصرتم عنه من تفصيله فان تعجزوا
عن تفصيله ، فارعوه أبصاركم ، وأوعوه أسماعكم ،
وأشعروه قلوبكم . فالوعظةُ حياةٌ والمؤمنون

إِخْوَةٌ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١) فَأَتُوا الْهَدْيَ تَهْتَؤُوا . وَاجْتَنِبُوا الْغِيَّ تَرشُدُوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)» (٢) . وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَمَرَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيَهَا لَكُمْ . وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفِرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ «(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)» (٣) جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَتَّبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبَ سَخَطَهُ ، فَإِنَّمَا نَحْمَدُ بِهِ وَلَهُ .

إِنَّ اللَّهَ يَعْثُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِينَ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ .

(١) يُقْتَبَسُ مِنَ الْآيَةِ ٩ مِنْ سُورَةِ النُّحْلِ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ » .

(٢) سُورَةُ النُّورِ : ٣١ . وَارُفِدَا : « رَقْلٌ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... » .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ورراء دون الخاق ، اختصهم به . وانتخبهم له ،
فصلت قوه ، ونصروه . وعزروه (١) . ووقروه ، فلم
يتقدموا إلا بأمره ، ولم يُحْجِجُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ، وكانوا
أعوانه بعهد . وخافاءه من بعده . فوصفهم فأحسن
صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم . فقال وقوله الحق :
«(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحَمَاءُ
بينهم تراهم رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ
لِيُخِيطَ بِهِمُ الْكَافِرَ وَعِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)» (٢) .

فمن غاظوه فقد كفر ، وخاب ، وفجر ، وخسر ،
وقال عز وجل : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم وأموالهم يبتغون فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

(١) عزروه : نصروه وقروه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان همّ المفاحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" (((١)

فمن خالف شريعة الله عليه لم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في الشيء ، ولا ستم له في الإسلام في أي كثيرة من القرآن . فسرقت مائة من الدين وفارقوا المسلمين ، وجعلوهم عيسى (٢) وتشعبوا أحزاباً أشابات (٣) ، وأوشابا ، فخالقوا كتاب الله فيهم ، وثناءه عليهم ، وأذوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . «(أقمن كان على بيئة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم)» (٤) .

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عيسى : العضة - كلمة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة - بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب :

ما خالطه الحرام .

(٤) سورة عمه : ١٤ .

وقال قتيبة : إن الحريص يستعجل الذلة قبل
إدراك البُغية .

أهدى عبيد الله بن السدي إلى عبد الله بن طاهر
لما ولي مصر ، مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف
دينار ، ووجه بذلك ليلاً . فردّه ، وبعث إليه :
لو قبلت هديتك ليلاً لقبلتها نهاراً وما ((آتاني الله خير
 مما أتاكم بل أنتم يهديتكم تفرحون)) (١) .

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صف لي عبد الله
ابنك . قال : إن مدحته هجته ، وإن هجوته ظلمته .
ولد الناس ابناً ، وولدت ابناً يحسن ما أحسن ولا أحسن
ما يحسن .

وليّ عبد الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ،
فكتب إليه : إن ها هنا قوماً من العرب قد تنعصبوا ،
وثأشبوا (٢) ، وأظن أمرهم سير تقي إلى ما هو أغلظ منه .

(١) سورة النمل ٣٦ . وأرهما « فما آتاني .. » .

(٢) تأشبوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعِثْتُ لِلْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ
وَالْحَوَادِثِ الظَّاهِرَةِ لَا لِلْكَهَانَةِ وَالتَّظَنِّي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجَبِي
مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِفْلَاتِ عَبَّاسٍ بنِ عمرو مِنَ الْقَرْمَطِيِّ ،
وَهُلْكَ أَصْحَابِهِ ، وَوُقُوعِ الصَّغَارِ ، وَإِفْلَاتِ أَصْحَابِهِ .
وَوَلَايَةِ ابْنِي الْجَسْرَيْنِ وَأَنَا مَتَعَطِّلٌ .

وقال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ طاهر لولده : عِفُّوا
تَشْرُفُوا ، وَاعْشَقُوا تَمَظَّرُوا

وقال عبيدُ الله بن عبد الله في عِلته : لم يبق علي من
بِأَسْرِ الزَّمَانِ إِلَّا الْعَلَةُ وَالْحَلَّةُ (١) وَأَشَدُّهُمَا عَلِيٌّ أَهْوَنُهُمَا
عَلَى النَّاسِ . وَلَئِنْ أَلَمَ جَسْمِي بِالْأَوْجَاعِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَلَمِ
قَلْبِي لِلْحَقِّ الْمُضَاعِ .

جَرَى ذَكَرُ رَجُلٍ فِي مَجَاسِ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ (٢) ،

(٣) التَّظَنِّي : إِعْمَالُ الظَّنِّ ، وَهُوَ أَتَاهُمُ الْإِنْسَانُ بِلَا دَلِيلٍ ، وَالْكَهَانَةُ
الْقَضَاءُ بِالْغَيْبِ .

(١) الْحَلَّةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ ، وَالْخِصَاصَةُ .

(٢) سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : هُوَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْبَاهِلِيِّ الْخُرَسَانِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :
وَلِيَ الْبَصْرَةَ لِيَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُبَيْرَةَ فِي أَيَّامِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ وَلِيَهَا
فِي أَيَّامِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَكَانَ مِنَ الْمُوثُوقِ بِهِمْ فِي الدَّوْلَتَيْنِ (الْأُمَوِيَّةِ
وَالْعَبَّاسِيَّةِ) وَكَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الْأُمَرَاءِ ، عَادِلًا حَسَنَ سِيرَتِهِ ، وَمَاتَ بِالرِّيِّ .

فقال منه بعضهم ، فأقبل سَلَمٌ فقال : يا هذا ؛ أوجشتنا
من نفسك ، وأياستنا من مودَّتِكَ ، ودَلَّتْنا على عورتِكَ .
قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ،
وكنْتُ به خاصّاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدراعاً ، فأكثرَ
تقليبها ، ومزاولة صاحبها . فقلت له : أصاح الله الأَميرَ .
فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحك ! ! إني لست
أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المؤمن طاهر بن الحُسين : أشرُّ عليّ إنسان
يكفيني أمرَ مصرَ والشَّامِ . فقال له طاهرٌ : قد أصبته .
قال : من هو ؟ قام . عبدُ الله ابني ، وخادمُك ،
وعبدُك . قال : كيف شجاعته ؟ قال : معه ما هو خيرٌ
من ذلك . قال له المؤمن : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من
ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التترُّه وخُلُفُ النفسِ .

مرضَ عبدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ
إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزَى العِلَّةَ خيراً غيري ، فإنني جزيتها
الخير . وشكرتُ نعمتها على . إذ كانت إلى رؤيتك
مؤدية .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسأله عن استقلالِ ابنه
عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين —
ابني . وإن مدحتهُ ذمتهُ وإن ذمتهُ ظلمتهُ . ولنعم الخلفُ
هو لأمرِ المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرّظتهُ في
حياتك حتى أوصيتهُنا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمرِ ثائرُ (١) مولاه لأنه لا
يُخْلِيكَ من رؤيةِ محبةٍ في علوه .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبدِ الله بنِ يزيد
القسري : ما يُعدُّ السُّوددُ فيكم ؟ فقلتُ : أما في
الجاهلية فالرياسةُ ، وأما في الإسلام فالولايةُ ، وخيرُ من
هذا وذاك التقوى .

(١) الثائر : من لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول
عمر الإنسان يسبب له التشفي من خصومه لما يتزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقت .

كان أبي يقول : لم يُدرك الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ،
ولا يُدركُ الأخيرُ إلا بما أدرك به الأولُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بحنمه ،
وساد مالكُ بنُ ميسمٍ بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتَيْبَةُ
بدهائه ، وساد المهلبُ بجميع هذه الحلال .

فقال لي : صدقت . كان أبي يقول : خيرُ الناسِ
لِلناسِ خيرُهُم لِنَفْسِهِ . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه
من السرقة ثلثاً يُقطع ، ومن القتل ثلثاً يُقَاد ، ومن
الرّثي ثلثاً يُحد ، فسَلِمَ الناسُ منه بإبقائه على نفسه .

قيل : وكان عبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالدٍ مِن عقلاء
الرّجال .

وقال له عبدُ الملك يومًا : ما مالُك ؟ فقال : شيطان
لا عَيْلَةَ (١) عليّ معهما : الرّضا عن الله عزّ وجل ،
والغنى عن الناس .

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته ؟ بقدر
ماليك ؟

فقال : لم يعد أن يكون قليلاً فيحقيري ، أو
كثيراً فيحسدني .

وقيل أنصرب بن سيار (١) : إن فلاناً لا يكتب .
فقال : تلك الزمانة الخفية (٢) .

وقال : أولاً أن عمر بن هبيرة كان بدويّاً ما ضبط
أعمال العراق ، وهو لا يكتب .

اعتذر رجلٌ إلى مسلم بن قتيبة من أمرٍ بلغه عنه ،
فَعذَرَهُ ثم قال له : يا هذا : لا يحملنك الخروج من أمر
تخلصت منه على الدُّخول في أمرٍ لعلك لا تتخلص منه .

وقال مسلم بن قتيبة : الشباب الصّحة ، والسُّلطانُ
الغنى ، والمروءةُ الصبرُ على الرجال .

وقال خالد بن عبد الله القسري : يُحمدُ الجودُ

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام
أمر خراسان .

(٢) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر
الذي لا يبرء منه .

مَتَّامُ يَسْبِقُهُ مَسْأَلَةٌ وَمَالٌ يَتَّبِعُهُ مَنْ ، وَلَمْ يُزَّرْ بِهِ
قُصُورٌ ، وَوَافَقَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ .

قال الرشيد لسعيد بن سالم : يا سعيد ، مَنْ بَيْتُ
قيس في الجاهلية ؟ قال : يا أمير المؤمنين . بنو فزارة .
قال : فَمَنْ بَيْتُهُمْ في الإسلام ؟

قال : يا أمير المؤمنين : الشريف من شَرَفْتُمُوهُ .
قال : صدقت : أَذُتْ وَقَوْمُكَ .

قال بعضهم : رَأَيْتُ نَصْرَ بْنَ سَيَّارَ (١) عَلَى الْمَنْبَرِ
بِسَرِّ خُصٍّ (٢) . وَقَدْ حَسَرَ ذِرَاعِيهِ — وَكَانَ أَشْعَرَ طَوِيلَ
السَّاعِدَيْنِ — وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ
مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ أَنْشَعَمَ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً فَكَفَرُوا
نِعْمَتَهُ ، فَلَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ .

(١) نصر بن سيار : أحد ولاة مروان بن محمد آخر خلفاء بني
أمية وكان نصر والياً على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم
الخراساني يدعو لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره
في رسالة طويلة .

(٢) سرخص : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، وسمرقند .

اللهم إنَّكَ تعلمُ أنِّي أحسنتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا
نعمني .

اللهمَّ افعل بهم . ودعنا عليهم .

قال : فام يَحُلْ الحولُ وعلى الأرض منهم عين
تطرف (١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كأنهم قد ركبَ الحيلَ
كان أبو هَييرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان
مُسْتَعْرِب وكل نبطي مُسْتَعْرِب .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردةَ بالبصرة ، فعرف
أَتهم قد استحسنوا كلامه . فقال : لا يمنعكم أقيح
ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

• • •

(١) كناية عن فتالهم .

الباب السابع

فُضُولُ الكِتَابِ والوزراء وتوقيعات ولكت
من كلامهم ونواديرهم

أمر المأمون أحمد بن يوسف (١) أن يكتب في
الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد في شهر رمضان . قال :
فأخذت القسطاس لأكتب ، فاستعجم عليّ ، ففكرت
طويلاً ، ثم غشيتني نعشة ففعل لي : أكتب : فإن
في كثرة المصابيح إضاءة للمتجهدين ، وأنساً
للسابلة (٢) ، وفقياً لمكامن الرّيب ، وتزيتها لبيوت الله
عن وحشة الظلم .

أهدى سعيد بن حميد إلى المأمون في يوم

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن بليم ،
كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن
أبي عامر .

(٢) السابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوالجهم .
والجمع السوابل .

مِهْرَجَانِ خِوَانِ جَزْعِ (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب يقدر ،
وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين
خِوَانِ جَزْعِ ميلاً في ميل . فاستحسن ذلك وقبله .

وقع جعفر بن يحيى (٢) في رُقعةٍ مُتَحَرِّمٍ به :
هَذَا فَتَى لَهُ حَرَمَةُ الْأَمَلِ ، فامتنع به بالعمل ، فإن كان
كافياً فالسلطانُ له دوقنا ، وإن لم يكن كافياً . فنحنُ له
دونَ السلطانِ .

كتبَ أحمدُ بنُ يوسفَ إلى إسحاق الموصلي (٣) -
وقد زاره إبراهيمُ بنُ المهدي : عتدي مَن أنا عندَه ،
وحجَّتْنا عليك إعلامُنا إياك ذلك . قد آذَنَّاكَ .

(١) خِوَانِ جَزْعِ : يقصد مائة مطلية باللون الأصفر ، أو مائة
ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن
برمك ، وزير هارون الرشيد . وما قتله الرشيد رثاء الشعراء بقصائد
كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية
للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمد بن يوسف .

أكثر من يلجأ إلى الحياة مَنْ عجز عن المبادأة
والإصحار (١) ؛ وأكثر مَنْ يروم المنازعة مَنْ قَصَرَ
عن لطيف الخدع ، وحققي الاستدراج . والقصد
مؤد إلى الرشاد .

تأخر إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن إبراهيم
ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذر لك في التأخر عني ؛
فلما لم أخلو من حاليين : سخط أمير المؤمنين علي
فهو لا يكره أن يضرني ، أو رضاه عني فهو لا يكره
أن يسرنني .

أمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب
عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتاب واثق بمن كتبت
إليه ، معني بمن كتبت له ، ولن يضيع بين الثقة
والعناية موصله .

كتب أحمد بن يوسف إلى صديق له : كتبت إليك
في الظاهر تفاؤلاً بأن يظهر لك الله على مَنْ ناوأك ،
ويجعلك ظهراً لمن وآلاك .

(٢) الأصحار : أصحر : دخل الصحراء .

كتب بعضهم إلى رئيس : تحتمُ كُتُبُكَ لآئِهَا
مَطَايَا الرِّ . ولا أختتمها لآئِهَا حَوَامِلُ الشُّكْرِ .

وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى عَامِلٍ لَهُ : وَأَنْصِفْ مِنْ
وَلَيْتَ أَمْرَهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ وَلِيَّ أَمْرِكَ .

وَقَعَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ فِي قِصَّةٍ مُتْظَلِمٍ : اكْفِنِي
أَمْرَ هَذَا . وَإِلَّا كَفَيْتَهُ أَمْرَكَ .

استشهد ابنُ الفُرَاتِ (١) فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى ، قَلَمَ بِشَهْدِهِ لَهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ لَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ :
لَا تَلُمْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ بِشَهَادَةِ زُورٍ ،
فَإِنَّهُ لَا اتِّفَاقَ عَلَى نِفَاقٍ . وَلَا وِفَاةَ لِدَيِّ مَيْسِرٍ (٢)
وَإِخْلَاقٍ . وَأَحْزَرَ بِمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ فِي مَسَرَّتِكَ إِذَا رَضِي ،
أَنْ يَتَعَدَّى إِلَى الْبَاطِلِ فِي مَسَاقَاتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَالسَّلَامُ .

وَقَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ (٣) فِي ظَهْرِ رُقْعَةٍ : إِذَا

(١) ابنُ الفُرَاتِ : هُوَ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْفُرَاتِ ،
أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَزِيرٌ مِنْ بَيْتِ فَضْلِ وَرِيَاةٍ ، وَوِزَارَةٌ .

(٢) الْمَيْنُ : الْكُذْبُ .

(٣) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُصَيْنٍ ، وَكَانَ صَوْلَ رَجُلًا
مِنَ الْأَتْرَافِ فَفَتَحَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِلَدِهِ ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ .

كان للمحسن من الحق ما يقنعه ، وللمسيء من
الشكال ما يقنعه ، بذلّ المحسن الحق رغبةً وانقاد
المسيء له رهبةً .

كتب القاسمُ بنُ عبيدِ الله الكرميُّ إلى بعض
الوزراء : ولي غيماً جددَ اللهُ من هذه النعمة للوزير
من بلوغ النهاية ، ما انتزعته من كتابِ الله تعالى
في قوله : « (اليومَ أكملتُ لكم دينكمُ) وأتممت
عليكم نعمتي » (١) . وقد علم أن دين الله بعد
نزول هذه الآية لم يزل نامياً عالياً على كل دين ، وأنه
إنما ضرب بجرانه وقهر الأمم شرقاً وغرباً بعد كماله .

وقع ذو الرياستين (٢) إلى طاهر بن الحسين :
يا نصفَ إنسان . والله لئن أمرت لأفذن ، ولئن
أفذت لأبر من ، ولئن أبرمت لأبلغن .

فأجابهُ : أنا — أعزك الله — كالأمّة السوداء ،

(١) سورة المائدة : ٣ . وأوطأ : « حرمت عليكم الميتة .. » .

(٢) ذو الرياستين : لقب لقب به المؤمن الفضل بن سهل . ومعنى
ذلك رئاسة الحرب ورئاسة التدبير . وعقد به المؤمن على ستان ذي شعبتين .

إن حمل عايتها دمدمت (١) وإن رُقِّه عنها أشرت (٢) :
وإن عوقبت فباستحقاق ، وإن عُفي عنها فبإحسان .

كتب إبراهيم بن العباس إلى أهل حيمص :
أمّا بعدُ فإن أمير المؤمنين يرث من حقّ الله عليه
استعمال ثلاث يُقدّمُ بعضهنّ على بعض : الأولى
تقديمُ تنبيهٍ وتوجيه ، ثم ما يستظهرُ به من تحذيرٍ وتخويف .
ثمّ التي لا ينفعُ لحسَم الداء غيرها .

أناةً فإنّ لِم تُغنِ أعقبَ بعدها
وعيداً فإنّ لِم تُجندِ أغنتَ عزائمهُ
ويقالُ : إنّ هذا أوّلُ كتاب صدرَ عن خليفة
من بني العباس وفيه شيعرٌ .

وقيل : إنّ إبراهيم بن العباس لم يتعمّد أن يقول
شعراً ، ولكنّه لما رآه موزوناً تركه .

(٢) دمدمت : هلكت .

(٣) الأثر : البطر وكفر النعمة .

وَقَعَ جَوْهَرٌ (١) مَوْلَى الْفَاطِمِيِّينَ لَمَّا افْتَتَحَ مِصْرَ
فِي قِصَّةِ رَفَعِهَا إِلَيْهِ أَهْلِهَا : سُوءُ الْاحْتِرَامِ أَوْقَعَ بِكُمْ
حُلُولَ الْإِنْتِقَامِ . وَكَفَرُ الْإِنْعَامِ أَخَرَّكُمْ مِنْ حِفْظِ
الدِّمَامِ : فَالْوَجِبُ فِيكُمْ تَرْكُ الْإِيجَابِ ، وَاللَّازِمُ
لَكُمْ مِلَازِمَةُ الْاجْتِنَابِ ؛ لِأَنَّكُمْ بَدَأْتُمْ فَأَسَأْتُمْ ، وَعَدْتُمْ
فَتَعَدَيْتُمْ . فَابْتَدَأْتُمْ مَكْلُومَ ، وَعَوَّدْتُمْ مَذْمُومَ ،
وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ تَقْتَضِي إِلَّا الدَّمَ لَكُمْ ، وَالْإِعْرَاضُ
عَنْكُمْ لِيَرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - رَأْيَهُ فِيكُمْ .

كُتِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ إِلَى الْمُوصِلِيِّ : مَا أَدْرِي كَيْفَ
أَصْنَعُ ؟ أَغَيِّبُ فَأَشْتَاقُ ، وَأُتَقَيَّ فَلَا أَشْتَفِي . ثُمَّ سَبَّحَ حَدِيثَ
لِي اللَّقَاءِ نَوْعاً مِنَ الْحُرْقَةِ ، لِلْوَعَةِ الْفِرْقَةِ .

كُتِبَ آخِرُ : مِنَ الْعَجَبِ إِذْ كَانَ مُعْتَشِي (٢) ،
وَحَثُّ مُشَيِّقٍ ، وَاسْتِبْطَاءُ دَابِيرٍ إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ
لَا يَدَّعِ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ .

(١) هُوَ جَوْهَرُ الصَّقْلِيِّ الْقَائِدُ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَعزُ ثَلَاثِينَ إِلَهُ الْفَاطِمِيِّينَ
لِفَتْحِ مِصْرَ ، فَفَتْحَهَا ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ ، وَالْجَامِعَ الْأَزْهَرَ ، وَبَعْضَ الْقُصُورِ .
وَقَدْ تَوَفَّى بِالْقَاهِرَةِ .

(٢) الْمُعْتَشِي : الْمَهْمُومُ .

كتب بعضهم إلى ابن الزيات (١) : إن مما يطمعني
في بقائنا عليك ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها
بحقك ، واستدّمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن
الأجناس أن تقاوم ، والشيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن
إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ركن في مغرسه ،
وضرب بعرقه ، وسمق بفرعه ، وتمكن للإقامة ،
وثبت ثبات الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢) : رأيتني فيما أتعاطى من
مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أني حيث
أنتهى من القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ،
فانصرفت عن الشناء عليك إلى الدُّعاء لك ، ووكلت
الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

(١) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن
حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان
الإشيلي . صاحب كتاب فائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة
فضله وسعة مادته وود ثروته سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراکش .

كتب الحسن (١) بن وهب إلى صديق له يدعوهُ :

افتتحت الكتاب - جعلني الله فداك - والآلات
معدة* ، والأوتار ناطقة* ، والكأس محشوة* ، والجلو*
صاف ، وحواشي الدهر رقاق* ، ومخايل السرور لائحة* ؛
ونسأل الله إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق ،
وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمل السرور ، وكمال
بهاء المجلس . فلا تحترم* (٢) ما به يتنظم سروري وبهاء
مجلسي .

كاتب : قد أهديت لك مودتي رغبة* ، ورضيت
منك بقبولها مثوبة* ، وأنت بالقبول قاضٍ لحق* ، ومالك*
أرق* .

كاتب* : كان لي أملان : أحدهما لك* ، والآخر
بك* ، أما الأملُ لكَ فقد بلغته ، وأما الأملُ بكَ فأرجو
أن يحققه الله ويوشيكه* .

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مرسَل فصيح أديب .

(٢) انخرمهم الدهر وتخرمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد :

لا تحرمني طبعك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرفُ
بتصرفك ، وينصرفُ بمنتصرفك .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعداً ، ولغدَراته
متحرّفاً (١) ، فهل زاد على أنْ صدقَكَ عن نفسه ،
وأثاكَ بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ
أنه ليسَ لما وقعَ مرَدٌّ ولا لما ذهبَ مُرتجعٌ ؟

تهنئة بآئنة : ربّ مكروهٍ أعقبَ مَسْرَةً ، ومحبةٍ
أعقبَ مَعْرَةً ، وخالقٍ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ
الخيرِ .

آخر : إنه ليتربّصُ بكِ الدوائرَ ، ويتمنّى لكِ
الغوائلَ (٢) ، ولا يؤمّلُ صلاحاً إلا بفسادِ حالِك ، ولا رفعةً
إلا بسقوطِ قدرِك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قيناعَ القنّاعةِ ،

(١) أي صادا لغدرات الزمان . يقال : محرو و حارقه بسوء : جازاه .

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني - مع الظمأ عن دنيّ الموارد - نافرٌ ، ومع الفاقةِ
بغنيّ النفس مكائر .

فصل : من تهتة بلاملاك : وكيف يرقاع لهجومِ
غُرْبَةٍ ، أو يجاور توحُّش ثُقَلَة مَنْ لم يقطعه اتصاله بي
عنك ، ولا باعده انتقاله إليّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعدِ
بألفاظك ، مرموقٌ بالمرآعة من ألاحظك ، غير نازح
عما أليفه من عواطفِ الولادة ، ورأفةِ التربية ،
وانبساط الأنسة ، والله يُسعدُها بمن سارتُ إليه كما
سرَّ بها من وفدتُ عليه ، ويُريني من المحبَّة فيها مثلَ
ما أُرانيه من المحبة بها ، وكيف يُوصي الناظرُ بنوره ،
أم كيف يُحضّرُ القاب على حفظِ سروره .

وُجد في كتاب الجعفر بن يحيى أربعة أسطرٍ بالذهب :
الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخیلُ مذمومٌ ،
والحسودُ مغنومٌ .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّي بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان
على صلة طيبة به .

أَيُّوبَ : وَاللَّهِ إِنِّي لأَبْذُلُ ، وَإِنِّي لأَقْدِرُ وَإِنِّي لأَخْتَارُ ،
وَإِنِّي لأَسْتَشِيرُ ، وَإِنِّي لأَحِبُّ مَعَ طَيْبِ الْخَبْرِ ، وَحَسَنِ
الْمَنْظَرِ ، وَإِنِّي لأَعْشَقُ الْبَهَاءَ كَمَا تَتَعْشَقُ الْمَرْأَةُ الْحُسْنَاءَ ،
وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ لأَدْخُلُ دَارَكَ فَأَحْقِرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي دَارِي .
فَمَا الْعِلَّةُ ؟ قَالَ : أَوْ مَا تَعْلَمُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ لِأَنِّي
أَقْدَمُ غَنَى مِنْكَ .

كَانَ نَقَشُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ (١) : مَنْ
نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ (٢) : سَأَلْتُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ
حَاجَةً . فَقَالَ : أَشَوْقُكَ الْيَوْمَ بِالْوَعْدِ ، وَأَحْبَبُكَ غَدًا
بِالْإِنْجَازِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ : الْمَوَاعِيدُ
شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكِرَامِ ، يَصِيدُونَ بِهَا مُحَامِدَ الْأَحْرَارِ
وَلَوْ كَانَ الْمُعْطِيُّ لَا يَتَعَدُّ ، لَارْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ الْإِنْجَازِ
الْوَعْدِ ، وَنَقَصَ فَضْلُ صِدْقِ الْمَقَالِ .

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْجَرَّاحِ ، وَلَدَ عَامَ ٥٢٤٣ هـ ،
وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ لِلْخَلِيفَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَقَدْ اشتهر بِأَدَبِهِ . وَمَاتَ سَنَةَ ٥٢٩٦ هـ .
(٢) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَرِيحِ النُّوَانِي . وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ
شُعَرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ .

ووقع الفضل^١ إلى تميم بن مخزومة : الأمور بتمامها ،
والأعمال بخواتيمها ، والصنائع باستدامتها ، وإلى الغاية
ما يجري الجواد^٢ ، فهناك كشفت الحبرة قناع الشك ،
فحميد السابق ، ودم الساقط .

كان يحيى بن خالد : يقول لست ترى أحداً تكبر^٣
في إمارة إلا وقد دلّ على أن الذي نال فوق قدره ،
ولست ترى أحداً تواضع في الإمارة إلا وهو في نفسه
أكبر مما نال من سلطانه .

احتاج يحيى في الحبس إلى شيء فقيل له : لو كتبت
إلى صديقك فلان فقال : دعوه يسكن صديقاً .

وحضر الفضل^١ بن الربيع جنازة ابن حمدون بعد
لكبة البرامكة (١) ، فذكروهم ، وأطراهم ، وقرظهم ،

(١) البرامكة : إحدى الأسر الفارسية التي شطت في الدولة العباسية ،
وكان لها من أدبها ، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحرف الوزارة
لخلفاء العباسيين أول الأمر . الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم ،
فوشوا بهم إل هارون الرشيد فبطش بهم بطشه الكبري وسجنهم ، وقتل
بعضهم ، وصادر أموالهم . .

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ،
ثم أنشد متمثلاً .

عتبتُ على سَلَمٍ فلمّا فقدتُه
وجرتُ أقواماً بكيتُ على سَلَمٍ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السخّاءِ حسنَ
الظنِّ بالله ، وجملةَ البخلِ سوءَ الظنِّ بالله ، قال
الله تعالى : « (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) » (١) . وقال :
« (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) » (٢) . احتيج أن
يُكتبَ على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدُولُ ،
فلما عرّضتُ النسخةَ على عبيد الله بنِ سليمان (٣) ،
وكان ابنُ ثوابةٍ قد كتبها كما يكتبُ في الصّكّاءِ (٤)
« في صحّةِ عقله ، وجوازِ أمره له وعليه » فضرَبَ عليه
عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوز أن يُقالَ للخليفةِ ،
وكتبَ : « في سلامةٍ من جسّمه ، وأصالةٍ من رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .

(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .

(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل

العباسي .

(٤) الصّكّاء : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسيّ معرب .

قال الحسن بن سهل : لا يكسد رئيسُ صِناعةٍ إلاَّ
في شرِّ زمانٍ ، وأخسَّ سلطانٍ .

اعتلَّ ذو الرِّياستين بخمرَ أسانٍ مدةً طويلةً ثم أبَلَ
واستقلَّ (١) وجلس للناس فدخلوا إليه وهنؤوه بالعافية ،
فأنصتَ لهم حتى تنقَضَت كلامُهم ، ثم اندفع فقال :
إنَّ في العِللِ نِعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلُوها ، منها
تمحيصُ للذنبِ ، وتعرِيضُ لثوابِ الصَّبْرِ ، وإيقاظُ مِينِ
الفِئلةِ ، وإذكاءُ بالنعمةِ في حالِ الصِّحةِ ، واستدعاءُ
للتوبةِ ، وحضُّ على الصدقةِ ، وفي قضاءِ اللهِ وقدره
بعد الحيارُ ، فانصرفَ الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيره .

كتبَ ابنُ الفراتِ عليُّ بنُ محمدٍ ، ومحمدُ بنُ داودَ ،
ومحمدُ بنُ عبدون رُقعةً إلى العباسِ بنِ الحسنِ الوذيريِّ
يستزيدون فيها ، فوقَّعَ بخطِّ عليٍّ ظهريها « ما حالكمُ »
حالُ مُستزيدٍ ، ولا فوقَ ما أنا عليه لكم مِينِ مزيدٍ ،
فإن تكن الاستزادةُ من مالٍ فهو موفورٌ عليكم ،
وإن تكن من رأيٍ فالأعمالُ لكم ، ولي اسمها ،

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليّ عبثها ، وثقل تدبيرها وأقولُ لعليّ بن محمد من بينكم : ما يطيقُ نفسه تدلُّلاً واعتداداً أمينٌ يؤسّرُ كانت هذه الاستزادة أم من بطرِ النعمة ، ودلالِ الشُّرفة ، ولي في أمرِ جماعتكم نظراً ينكشفُ عن قريبٍ ، حسبي ، وحسبكم الله ونعم الحسيب .

عتب أحمد بن خالد على أحمد بن هشام في أمر كان بينهما فاعتذر إليه ، فقال ابن خالد : لا أقبلُ لك عذراً حتّى آتي إليك . فقال : والله لئن فعلت لاستعديتُ عليك إلا ظلمتك ، ولا أطمعني فيك إلا بغيتك .

قال الفضل بن يحيى لبعض المتحرّمين (١) به : أعتارُ إليك بصالح النية ، وأحتجُّ عليك بغالب القضاء .
وكتب إلى عامل له : بشس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد .

وقال لرجل استبطأ عنده الرشيد - وكان من أهل بيته - : إنّما شغلّ عنك أمير المؤمنين حقوق أهل الطاعة دونك ، ولو قد فرغ فيهم إليك لم يؤثّر من دونك عليك . فقام أبوه يحيى ، فقبل رأسه .

(١) المحرم . الممتنع ، من تحرم بمعنى تمنع ونحى .

كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :
لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه يرى بين نعمة
مقصورة عليه أو زيادة مُنتظرة . فقال : عبد الله
الكاتبه (١) : كيف ترى مسمع هاتين الكلمتين ؟ فقال :
كأنهما قُرطان بينهما وجهٌ حسنٌ .

وقّع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب علي بن عيسى :
حبّ الله إليك الوفاء - يا أخى - فقد أبغضته ، وبغض
إليك الغد . فقد أحببته . إلى نظرت في الأشياء لأجد فيها
ما يُشبهك . فلما لم أجد رجعت إليك فشبهتك بك .
واقعد بلغ مر حسن ظنك بالأيام أن أمرت السلامة مع
البغي ، وليس هذا من عاداتها .

قال يحيى بن خالد : ذلّ العزل يضحك من
تبيه الولاية .

وقال الفضل بن مروان : إن الكاتب مثل الدُّولاب
إذا تعطل تكسر .

قال المأمون لأحمد بن يوسف : إن أصحاب

(١) هو محمد بن رباح .

الصدقاتِ تظلموا مِنك ، فقال : يا أمير المؤمنين واللّٰه ما رضي أصحابُ الصدقاتِ عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم حتى أنزل اللّٰه فيهم : « (ومنهم من يلمزك في الصدقاتِ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) » (١) فكيف يرضون عني ؟ فاستضحك المؤمنون ، وقال له : تأمل أحوالهم ، وأحسن النظر في أمرهم .

وكيَّ الرشيدُ عاملاً خراج طسماسيج (٢) السّواد ، فقال لجعفر ويحيى : أوصياه . فقال جعفر : وفرّ واعمر . وقال يحيى : أنصف وانتصف . وقال الرشيد : يا هذا : أحسن واعدل . ففضل الناسُ كلامَ الرشيد . فقيل لهما : لم نقص كلامكما عن كلامه ؟ فقال جعفر : لا يعتدُّ هذا نقصانا إلا من لا يعرف ما لنا وما علينا . إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به ، وأمير المؤمنين بما له أن يأمر به ؟

(٢) سورة العنكبوت : ٥٨ .

(١) الطاسيج : جمع طسوج - كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد - وكان من صنّاعه - :
إني سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ :
قتلني اللهُ إن لم أقتلك ، فاحتلُّ لنفسك . فقال :
اسكُتْ يا أخي ، إذا جاء الإديارُ كان العطبُ في الحيلة (١) .

أمرَ يحيى كاتبين من كتّابه أن يكتبَا كتاباً في
معنى واحد ، فكتبَا ، واختصّر أحدهما ، وأطال الآخرُ ،
فلما قرأ كتاب المختصر ، قال : ما أجدُ موضعَ مزيدٍ .
ثم قرأ كتاب المطيل ، فقال : ما أجدُ موضعَ نقصانٍ ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله ، فلما أبرم (٢) قال :
ما رأيتُ عذراً أشبه باستينان (٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضهم لابن الزيات : أنا أمتٌ إليك بحيوارٍ
لك ، وأرغبُ في عطفك . فقال : أمّا الحيوارُ فنسبٌ
بين الحيطانِ ، وأمّا العطفُ والركةُ فهما للصبيان والنساء .

(١) المراد : إذا كان الخط غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة
لنزع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .

(٢) أبرم : برم بالأمر : إذا شئته فهو برم : فاجر .

(٣) سننت السنة واستننتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ،
وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

ونظره رجل فصالحه على مال . فقال له : عجّل به .
 فقال الرجل . . . أظلم وتعجيل ؟ قال : فصلح وتأجيل ؟
 قيل ليعحي بن خاله : غير حاجيتك . قال : فمن
 يعرف إخواني القدماء ؟

قال عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر : أتاني كتابُ
 المعتز (١) ، وكتابُ أحمد بن إسرائيل (٢) . مع رسول ،
 ومعه رأس بُغا وفي الكُتُب أن أنصبّه على الجانيين ،
 فلم أفعل وكتبتُ إلى أحمد بن إسرائيل : قل أوجب
 الله على نَصيح أمير المؤمنين من جهات : منها ما تقتضيه
 الديانة ، وتوجيه الإمامة ، ومنها اصطناع آباءه
 لخلاصهم من أسلافي ، ومنها اختصاصه ليّ يأيّ بحميل رأيه ،
 ومع هذا فلم أكُن لأؤخّر عنك رأياً مع ، أنا عليه
 من المناصحة والشكر . وإنّ الكُتُب وردت عليّ بنصب
 رأس بُغا في الجانيين ، وقد أخبرتُ ذلك حتّى يعود

(١) لما كانت الفتنة بين استعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر
 ابن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .
 (٢) بقا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إِلَى الْأَمْرِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ « وَبِغَا » فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ
 لَمْ تُتَّهَمُوا فِيهِ ، وَأَخَافُ أَنْ تَتَّبِعَكُمُ الْآثَرَاكُ عِنْدَ أَوَّلِ
 شَغَبَةٍ بِهِ ، وَيَطَالِبُوكُم بِدَمِيهِ . وَيَجْأُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً
 إِلَى إِضَاعِ سُوءٍ ، وَكَانَ الصَّوَابُ عِنْدِي أَنْ يَغْسِلَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . وَيُدْفَنَهُ وَيُظْهِرَ حُرّاً ،
 وَيَقُولَ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَصَابَ صَغِيرٌ مِنْكُمْ وَلَا كَبِيرٌ ،
 وَقَدْ غَسَّيَ أَمْرٌ بَغَا وَلَوْ وَصَلَ إِلَيَّ لَزِدْتُ فِي مَرْبَتِهِ ،
 وَمَا يُشَبِّهُ هَذَا .

فوردَ عليّ كتابُ أحمدَ بنِ إسرائيلَ يشكُرُ ما كان
 مِنِّي ويخالفُ أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَاجْتَهَدَ فِيهِ فَمَا
 أَمَكْنَهُ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ ، وَلَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ . وَفِي آخِرِ
 كِتَابِهِ : وَاعْلَامُ أَنَّهُ قَدْ مَحَدَّثَ بِعَدَاكَ وَهُوَ مِمَّا لَا نَعْرِفُهُ
 نَحْنُ . وَلَا أَنْتَ . رَأْيٌ لِلْحُرِّمِ وَالْحَدِّمِ يُبَيِّنُ وَيُعْمَلُ
 عَلَيْهِ ، وَهَذَا فَتْحٌ لِلْخَطَا وَإِخْلَاقٌ لِلصَّوَابِ فَانْصَبِ الرَّأْسَ
 قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْفِيزْهُ إِلَى خِرَاسَانَ .

كُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ
 اشْتَطَّ فِيمَا يَطْلُبُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَقَّعَ جَعْفَرٌ : هَذَا رَجُلٌ

منقطع عن السلطان ، وبين ذؤبان (١) العرب ، بحيث العدد والعدة ، والقلوب القاسية ، والأنوف الحمية . فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به علوه فإن نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها (٢) .

وأكثر الناس شكية عامل فوق إليه في قصتهم يا هذا قد كثرت شاكوك ، وقل حامدوك ، فإمّا عدلت وإمّا اعتزلت .

وكان يقول : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكُونُ كَتَبُكُمْ كُلُّهَا تَوَقِّعَاتٍ فافْعَلُوا .

كتب الفضل بن سهل في كتاب جواب ساع : ونحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، فاتقوا الساعي فإنه أو كان في سعائته صادقاً لكان في صدقيه لئيماً ؛ إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستتر العورة .

* * *

(١) ذؤبان العرب : لصرهم وصاليتهم .

(٢) لا يستظهر عليها : الملقى : يتعاون في دفعها بجميع نفقاتها من القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إل وقوع الكارثة .

الباب الثامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقضاة

قال شريح^(١) : إننا لا نعيبُ الشهودَ ، ولا ناقنَ
الخصومَ ، ولم نسلطْ على أشعاركم وأبشاركم ، إنما
نقتضي بينكم ؛ فمن سألتم لقضائنا فيها ، ومن لا ،
أمرنا به إلى السّجن .

كتب الفضلُ بن الربيع إلى عبد الله بن سوار^(٢) يسأله
أن يشتري له ضميعة . فكتب إليه : إن القضاء لا يُدَنَسُ بالوكالة .

قال الزُّهرى^(٣) : ثلاثٌ إذا كُنَّ في القاضي فليسَ
بمأخوذٍ : إذا كره اللّوائِمَ ، وأحبَّ المحامدَ ، وكرهَ
العزْلَ .

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة
لعمر رضي الله عنه ، فمن بعده خمسا وسبعين سنة ، ولم يتعلل فيها إلا
ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار البجلي ، استشهد سنة ٤٦٠ هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرى ، أبو مصعب .

قال أيوب : إِنْ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرْجُو دَعْوَتَهُ ،
وَلَا أُجِيزُ شَهَادَتَهُ .

وقال سوار (١) : مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي أَفْضَلَ
مِنْ عَطَاءِ السُّلَمِيِّ ، وَلَوْ شَهِدَ عِنْدِي عَلَى فُلَانٍ مَا أَجَزْتُ
شَهَادَتَهُ يَلْهَبُ إِلَيَّ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْحَازِمِ .

وكان أبو هريرة (٢) لَا يُجَوِّزُ شَهَادَةَ أَصْحَابِ
الْحَمِيرِ .

وسئل قتادة عن شهادة الصيرفي . فقال : لَا تَجُوزُ
شَهَادَتُهُ .

وليّ عبيد الله بن أبي بكرة (٣) قضاء للبصرة فجعل
يُحَايِي النَّاسَ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَمَا خَيْرُ رَجُلٍ
لَا يَقْطَعُ لِأَخِيهِ مِنْ دِينِهِ ؟
قال شريح : الْحَدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاهي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبْرُمةَ لرجلٍ : أَتَشْرَبُ النِّبِيْدَ ؟ قال :
أَشْرَبُ الرُّطَابَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ .

فقال : وَاللَّهِ مَا شَرِبْتَهُ شَرْبَ الْفَيْسِيَّانِ ، وَلَا تَرَكْتَهُ
تَرَكَ الْقُرْآنَ .

وقيلُ لَهُ : لِمَ تَرَكَتَ النِّبِيْدَ ؟ فقال لِمَنِ كَانَ حَلَالًا
فَحَظَّتْ تَرَكَتُ ، وَإِن كَانَ حَرَامًا فَبِالْحَزْمِ أَخَذْتُ .
وسُئِلَ شَرِيكَ عَنْ النِّبِيْدِ . فقال : قَدْ شَرِبَهُ قَوْمٌ
صَالِحُونَ يُقْتَدَى بِهِمْ . فقليلٌ : كَتَمُوا أَشْرَبُ ؟ قال :
مَالًا يَتَشَرَّبُكَ (١) .

لَمَّا وَلِيَ بِحْثِي بَنُو أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ اسْتَصْغَرُوا سَنَّهُ ،
فقال لَهُ رَجُلٌ كَمْ سَنُ الْقَاضِيِ أَعَزَّهُ اللَّهُ ؟ فقال : سِنُ
عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ (٢) حِينَ وُلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ، فَجَعَلَ جَوَابَهُ احْتِجَاجًا .

(١) المراد : مالا يذهب بوعيك وإدراكك .

(٢) عتاب بن أسيد : ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مكة
وهو ابن خمسة وعشرين سنة .

ساوَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُعْرَابِيًّا بِفَرَسٍ لَهُ فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى ثَمَنِ أَخَذَهَا مِنْهُ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ فِيهَا بِالْخِيَارِ ، إِنْ رَضِيَ أَمْسَكَ ، وَإِنْ كَرِهَ رَدَّ ، فَحَمَلَ عُمَرُ عَلَيْهَا رَجُلًا يُشَوِّرُهَا (١) فَوَقَعَتْ فِي بئرٍ فَتَكَسَّرَتْ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ ضَمَنْتَ فَرَسِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : كَلَّا ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَها . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَجَعَلَ بَيْنَهُمَا شُرَيْحًا ، فَقَصَصَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ ضَمَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَسَ الرَّجُلِ ، لِأَنَّكَ أَخَذْتَهَا عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ ، فَأَنْتَ لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى تَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عُمَرُ ، وَبَعَثَ شُرَيْحًا عَلَى قَضَاءِ الْكُوفَةِ .

سَأَلَ الشَّعْبِيُّ عَزْرَ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا . فَقِيلَ : لَا نَسْتَحْيِي ؟ قَالَ : وَلَمْ أَسْتَحْيِ مِمَّا لَمْ يَسْتَحْيِ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ حِينَ قَالَتْ : « (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) » (٢) ؟ كَانَ شُرَيْحٌ يَقُولُ : مَنْ سَأَلَ مُحَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند المرض على مشريها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرّقّ فلان قضايها المسئول . استعبدهُ بها ، وإنّ
ردّه عنها رجع حرّاً ، وهُما ذليلان : هذا بذلّ اللّوم ،
وذلك بذلّ الرّدّ

قال بكارُ بنُ محمد رأيتُ سَوَّارَ بنَ عبد الله - وأراد
أن يحكمَ فرفعَ رأسه إلى السّماء ، وقرقرقت عيناهُ
ثمّ حكم .

قيل للشعبيّ (١) : ما أحسنَ البراءةَ في الإمام !
فقال : توردُ ماءَ الحياءِ في وجهِ الحرِّ أحسنُ .

دخل شُرَيْحٌ على بعضِ الأمراء ، فقال الأميرُ :
يا جاريةُ : هاتي عوداً فجاءته بعُود يضربُ . فلما بصُرّ به
الأميرُ خَجَلُ ، وقال : نعيمَ هذا ، أخِذِ البارحةَ مع
إنسانٍ في الطّوف . اكسروه . ثم صبر قليلاً ، وقال :
يا جاريةُ . هاتي عوداً للبخور . فقال شُرَيْحٌ : أتخافُ
أن تغلظَ مرّةً ثانيةً ؟؟

(١) الشعبي : هو أبو عامر بن شراحيل اليمني الكوفي ، تابعي جليل
القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٨٢١ تقريباً بالكوفة ، وكان عالماً
باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساء الحسنِ بشهادة عند إياس بن معاوية ، فردّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحسن . فأنابه الحسنُ فقال : يا أبا وائلة ، لم ردّدت شهادة فلان ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن الله يقول «(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)» (١) وليس فلان مِمَّنْ أَرْضَى ، وشهد عند عبيد الله بن الحسن رجلٌ من بني نُهشلٍ على أمر ، فقال له : أتروي قول الأسود بن يعفر (٢) :

• نام الخليليُّ فما أحسنُ رُقادي •

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردّ شهادته . وقال : لو كان في هذا خيرٌ نروى شرفاً أهليه . جاء رجلٌ إلى شريح فكلمه بشيء ، وأخفاه .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخليلي وما أحسن رُقادي وأهم محتضر لدي وسادي
وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أمية ، ما قال لك ؟ قال :
يا بن أخي . أو ما رأيته أسره منك ؟

كان تشريح عند زياد - وهو مريض - فلما خرج
من عنده أرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولا وقال :
كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى . قال
مسروق : إنه صاحب غويص (١) ، فارجع إليه
وأسلته : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .
ومات ابن تشريح فلم يشعر بموته أحد ، ولم
تصرخ عليه صارخة ، ففعل له : يا أبا أمية ، كيف
أمسى ابنك ؟ قال : سكن علزه (٢) ورجاه أهله .
وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكى عن الشعبي أنه قال : شهدت شريحا ،
وجاءته امرأة تخصم زوجها ، فأرسلت عينيها ،

(١) أي كلام ملتبس لا يفهم .

(٢) علزه - الملز - بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة

تأخذ المريض .

فبكت . فقلتُ : يا أبا أمية ؛ ما أظنُّ هذه البائسةَ
إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ؛ إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم
عشاءً يبيكون)» (١) .

كان شُرَّيح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا
أمية ؟ قال : أصبحت ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَّيح حائِطٌ مائلٌ ، فقال له جارُّ له :
حائِطُكَ هذا مائلٌ . قالَ : لا تُفَارِقْني أو يُنْقَضْ .
قال : فنقضه من ساعته .. فقال الرجلُ : لا تعجلُ
يا أبا أمية ، فذاك إليك . قال : بعد أن أشهدتَ عليَّ ؟

قال الشعبيُّ : وجهني عبدُ الملك بن مروان إلى ملك
الروم ، فلمَّا قدِمْتُ عليه ودفعْتُ إليه كتابَ عبد الملك
جعل يسألُنِي عن أشياء فأخبرته بها ، فاقمتُ عنده
أياماً ، ثم كتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصرفتُ رفعته
إلى عبد الملك فجعل يقرؤه ، ويتغيَّر لونه ، ثم قال :

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف «(وجاءوا ...)» .

يا شعبي : علمت ما كتب الطاغية ؟ قلت : يا أمير المؤمنين . كانت الكتبُ مختومةً ولو لم تكن مختومةً ما قرأتها . وهي إليك . قال : إنه كتب : إن العجب من قوم يكونُ فيهم مثلٌ من أرسلت به إلى فيملكون غيره . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، ذاك لأنّه لم يرك . قال : فسرتي عنه ، ثم قال : حسدني عليك ، فأراد أن أقتلك .

قال الشعبي : قدمتُ على عبد الملك ، فسا رأيتُ أحسن حديثاً منه إذا حدثت ، ولا أحسن إنصافاً منه إذا حدثت ، ولا أعلم منه إذا خوليف ، وأخطأتُ عنده في أربع : حدثني يوماً بحديث ، فقلت : أعده عليّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمّا علمت أنه لا يُستعاد أمير المؤمنين ؟ وقلت له حين أذن لي عليه : أنا الشعبي يا أمير المؤمنين . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنتُ عنده رجلاً فقال : أمّا علمت أنه لا يُكشَى أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألتُه أن يُكتبَني حديثاً . فقال : إنّنا نُكتبُ ولا نُكتبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيّ - وكان نخرج عليه مع ابن

الأشعث - قال : يا شعبي ، ألم أرفع من قَدْرِكَ ،
وبلغت بك شرفَ العطاء ، وأوفدتك على أمير المؤمنين ،
ورضيتك جليساً لي ومحدثاً ؟ قال : بلى ، أصلح الله
الأمير . قال : فما أخرجك مع ابن الأشعث تقاتلني على
غير دين ولا دُنيا ؟ فأين كنت من هذه الفِتنَةِ ؟ فقال :
أصلح الله الأمير ، أوحشَ الجَنابُ ، وأحزنَ بنا
المنزلُ ، واستشعرنا الخوفَ ، واكتحلنا السهرَ ، وفقدنا
صالحَ الإخوان ، وشملتنا فتنَةٌ لم تكن فيها بركةٌ أتقياءَ ،
ولا فجرةٌ أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أَمِنَ الثَّقَلَ ثَقُلَ .

أَسْمَعَ رجلَ الشعبيِّ كلاماً ، وعدَّدَ فيه خِصالاً
قبيحةً - والشعبيُّ ساكتٌ - فلما فرغ الرجلُ من كلامه ،
قال : والله لأغيظنَّ مَنْ أمرك بهذا . إن كنتَ صادقاً ،
فغفرَ الله لي ، وإن كنتَ كاذباً فغفرَ الله لك .

قيل : يا أبا عامر : وَمَنْ أمره بهذا ؟ قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بالغَ في الحُصومةِ أثِمَ ،
ومن قصَّرَ خَصِمَ .

وقال : من لَزِمَ العَفَافَ هانت عليه مَوْجِدَةُ المُلُوكِ .
دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلَّمه ،
وحضر عبدُ الله بنُ شُبْرَمَةَ فأعانه ، وقال : أصلحك
اللهُ . إنَّ له شرفاً ، وبيتاً وقَدَمًا . فقل لابنِ شبرمة :
أتعرِّفه ؟ قال : لا . قالوا : فكيف أثبتَ عليه ؟
قال : قلتُ : إنَّ له شرفاً ، أي : أذُنَيْنِ وَمَنَكِبَيْنِ ،
وبيتاً يأوي إليه ، وقدمًا يطأُ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فُلانٍ ، وصنعتَ ، فقال :
اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا
وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللهمَّ اجعله بَرًّا تَقِيًّا ، واجعل
الِدَّتهُ في بَلَدِهِ .

قيل : بينا رَقَبَةُ بنُ مَصْقَلَةَ القَاضِي في حَلَقَةٍ إِذْ
مرَّ رجلٌ غليظُ العُنُقِ ، فقال له بعضُ جلسائه : يا أبا
عبدِ الله ، هذا الذي ترى مِن أَعْبِدِ الناسِ . فقال رَقَبَةُ :
لأرى لهذا عُنُقًا قَلَمًا وَقَدَمَتَهَا (١) العِبَادَةُ .

(١) وقلتها : من معاني وقده : سكنه ، وتركه عيلاً .. والمراد :
أن العبادَةَ لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه ما زالت بمنزلة وغير مستقرة .

قال : فعضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال
رجلٌ لرقبة : يا أبا عبد الله ، أخبرهُ بما قلت ؛ لا تكون
غيبَةً . قال : نعم . أخبرهُ حتى تكون نائمة .
وكان رقة يقول : أيُّ مجلسٍ المسجدُ لو كان عليك
فيه إذن !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوان (١) إلى بلال ، فقضى
لارجلٍ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :
« سحابةٌ صَيَّفَ عن قليلٍ تنقشعُ » .

فقال بلالٌ : أما إنها لا تنقشع حتى يصيبك منها
شؤبوب (٢) برْد . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُنِي ؟ فوالله ما جنيتُ
جنايةً . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصمَتٌ ،
وأقيادٌ ثقالٌ ، وقيِّمٌ يقال له : حفصٌ .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجلَ لجُوجاً مُمارياً ، معجباً
برأيه ، فقد تمت خسارته .

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء .

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرّة (١) صادقَ الظنِّ ،
 لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ
 العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطَرَفٍ خَزٍّ وأنبجاني (٢) ،
 فادّعى كلُّ واحد منهما المُطَرَفَ الخَزَّ أنه له ، وأنَّ
 الأنبجاني الآخر . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ
 كلِّ واحد منهما . ثم قال لأحدهما : سرح رأسك .
 فخرج في المشط غفرُ المطرف (٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ
 الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر . فدفع
 المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أُمّناء إياسٍ مالاً ، وخرجَ
 الرجلُ إلى مكة . فلما رجع طالبه بالمال فجحدّه ،
 فاتى إياساً فأخبره ، فقال إياسُ : عليمُ أنك أتيتني ؟
 قال : لا . قال : فنازعتك عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٢) هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني البجلي ، وكنيته أبو وائلة .
 يضرب بذلك المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب فقرأ : ثار زئيره .

والمطرف : الثوب والمعى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرف ، واكتسب أمرك ثم عد
إليّ بعد يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياس أمينه ذلك ،
فقال : قد حضر مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيرّه إليك
أتحصّنين منزلَكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعدّ موضعاً
للحال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له :
انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلب مالك . فإن أعطاك
فذلك ، وإن جحدك فقلْ له : إنني أخبرُ القاضي .
فأتى الرجلُ صاحبه ، فقال : مالي ، وإلاّ أتيتُ القاضي ،
وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله ، ورجعَ الرجلُ إلى
إياس فأخبره ، وجاء الأمينُ لموعده ، فزجره إياسُ
وقال : لقد بانَ يا خائن .

قال إياسُ لقوم من أهل مكّة : قدمنا بلادكم ،
فعرفنا خياركم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفتم ؟
قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرفُهم ، فلحق
كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الخبُّ (١) لا يخدعني ، ولا يخدع
ابنَ سيرين ، ويخدع الحسن ، ويخدعُ أبي .

(١) الخب : المخادع الغاش .

أَخَذَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ (١) إِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ فِي
ظِلَّةِ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ : إِنَّكَ خَارِجِيٌّ مُنَاقِقٌ ،
وَأَوْسَعُهُ شَتْمًا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : لِيَتَنَسَّى بِكَتْفَيْهِ . فَقَالَ :
أَكْتَفُلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَمَا أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْكَ بِي . قَالَ :
وَمَا عَلِمَ بِي وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ
الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : فَفِيمَ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟
فَضَحَكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَلِيَّ الْقُضَاءِ لِبَنِي أُمَيَّةٍ ، وَيَعْدُهُمُ
لِبَنِي الْعَبَّاسِ . وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى قُضَاءَ بَغْدَادَ .
وَقِيلَ : بَلْ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهَا مِنَ الْقُضَاةِ شَرِيكَ .

وَقَالَ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنَ الْأَسْوَدِ عِنْدَ ابْنِ لَيْلَى بِشَهَادَةٍ ، فَتَوَقَّفَ فِي شَهَادَتِهِ .
قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : فَنَظَرْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ
لَهُ : أَنَّى لَكَ بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ مِثْلُهُ ؟ ؟ فَقَالَ : هُوَ كَذَلِكَ ،
إِلَّا أَنَّ الَّذِي شَهِدَ بِهِ عَظِيمٌ ، وَالرَّجُلُ فَقِيرٌ . قَالَ : فَأَعْجَبَنِي
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ .

(١) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ أَيُّوبَ الثَّقَفِيُّ عَامِلُ الْحِجَاجِ .

وأخذ على ابن ليلي رجلٌ من جلسائه كلمةً ،
فقال له ابن أبي ليلي : أهد إلينا من هذا ما شئت .
وكان يقول : أحذركم الثقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلي ، فأرادَه على القضاء ،
فأبى ، فتوعده إن لم يفعل . فأبى أن يفعل ، ثم إنَّ غداء
المنصور حضر ، فأبى فيما أتى بصحفة فيها مثاقير رأس .
فقال لابن أبي ليلي : خذ أيها الرجل من هذا . قال ابن
أبي ليلي : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعته
في فمي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغه . فلما فرغ
الرجلُ جعلَ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ .
ألدري ما كنتَ تأكلُ ؟ قلتُ : لا - والله - يا أميرُ
المؤمنين . قال : هذا منخُ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكر
الطَّبرزد (٣) . وتلدري بكم تُقَوِّم هذه الصَّحفةُ علينا ؟

-
- (١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره ثقة مطلقه ، بل يأخذ
كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .
(٢) النِّينان : جمع (نون) وهو الخوت .
(٣) السكر الطَّبرزد : الطَّبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من
فواحيه بالقاس .

قلت : لا ، يا أمير المؤمنين . فقال : تقوّم بثلاث مائة
وبضعة عشر . أتدري : لِمَ أَلَحَسْتُهَا ؟ هذه صحيفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البركةَ بذلك .
فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسه إلى الربيع
فقال : لقد أكل الشيخُ عندنا أكلةً لا يفلحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيَّ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلى إلى
المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتَ
عليّ ، فرأيتُ أنه لا يسعُنِي خِلافُكَ . فوالله القضاء .
ثم قال للربيع : كيف رأيتَ حَدْسِي ؟

رَوَى عن العباس بن محمد (١) أنه قال : لما أَرَادَ
المتصورُ شريكَ بنَ عبد الله علىَ القضاءِ قالَ : أريدُ
أن تكلّمَ أميرَ المؤمنين ليُعَفِّيَنِي فقلتُ له : إِنَّ أبا جعفر
إذا عزمَ أمراً لم تُردَّ عَزَمَاتُهُ . قال : فلما قام ، وأقرَّه
على القضاءِ قلتُ له : إِنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ أَلِينُ عَرِيكَتِهِ
من الماضي . فقال : أما الآنَ فلا ، فلإني أخشى شِمَانَةَ
الآعداءِ .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعض أصحاب الحديث : سألتُ شريكاً عن النبيذ ، فقال لي : أمّا أنا فلا أتركه حتى يكون أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلمُ الناس بما لا يكون ، وأجهلهم بما يكون .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريك ، بلغني أنّك فاطمي . فقال : أحبُّ فاطمة ؟ أعثرَ الله من لا يحبُّ فاطمة . فقال المهديّ : آمين . فلما خرج شريك قال المهديّ لمن عنده : لعنه الله ، ما أظنُّه إلا عتاني . وقال له يوماً : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ علي ؟ فقال شريك : هات أمّا مثلَ فاطمة حتى تُساوِيَهُم في الشرف .

ولما دعاه المهديّ إلى القضاء قال له : لا أصلحُ لذلك . قال : ولمَ ذاك قال : لأتّي فسأء . قال : عليك بمضغ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ، الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالماً ، زاهداً ، عابداً ، ورعاً تقياً ، دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من المسلمين . توفي سنة ٥١٥ هـ .

اللُّبَّانُ (١) . قال : إِنِّي حَدِيدٌ . قال : قد فرضَ لك أميرُ
المؤمنين قالمُودَجَّةَ (٢) توقرك . قال : إِنِّي امرؤُ أقضي على
الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عليَّ ، وعلى والدي . قال : فاكفني
حاشيتك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية
المهدي . فجاءت لتتقدم الحُصمَ ، فقال : وراءك مع
خُصميك مِراراً . فأبَت . فقال : وراءك يالخناء (٣)
قالت : يا شيخُ ، أبت أحمقُ .

قال : قد أخبرتُ مولاك ، فأبى عملي . فجاءت
إلى المهدي تشكو إليه . فقال لها : الزمي بيتك ، ولا
تعرضي له .

(١) اللبان - بضم اللام : نبات من الفصيلة البشورية يفرز صمغاً
ويسمى الكندر .

(٢) القالمودج : والقالمودج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ،
وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) يالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . والخناء : التي لم تختن .
وقيل : اللخن : اللتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .
وقال : كيف أجيزُ شهادة قوم يزعمون أن الصلاة
ليست من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنَّ استعملَ خائناً
بصيراً بعمله أحبُّ إليَّ من أن استعمل مُضِيئاً لا يبصر
العملَ .

ودخل سوارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ
في حجره ، وعيناه تملان (١) — فقال : السلام عليكم .
يا أمير المؤمنين . فقال : يا سوارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !!
هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من
صالح عمي . قال سوارُ : فانتهزتها فُرصةً ، وطلبتُ
ثوابَ الله في عِظَتِهِ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك جديرٌ
بالبكاءِ ، حقيقٌ بطُولِ الحزنِ ما أقمتَ في الدنيا . وقد
استرعاكَ الله أمرُ المسلمين ، واستحفظكَ أموالهم ؛
يسألك عما عملت فيما استرعاكَ في اليوم الذي أعلمك في
كتابه ، فقال «(يومئذ يصدُرُ الناسُ أَشْتَاتاً لِيُروا

(١) عيناه تملان : هملت : فاضت وسالت .

أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره » (١) . فازداد بكاءً ،
وقال : ((يا ليتني مبت قبل هذا وكننتُ نفسياً منسياً)) (٢) .
ثم قال يا سوارُ لي في أعالي نفسي ، وأعاتبها منذ وابت
أمور المسلمين على حمل الدرة على عُنقي ، والمشى
في الأسواق على قدمي ، وأن أسدَّ بالجرش (٣) من الطعام
جوعتي وأواري بأخشن الثوب عورتني ، وأضع قدرَ
من أراد الدنيا ، وأرفع قدرَ من أراد الآخرة ، وسعى لها ،
فلم تطعني ، وعصتني ، ونفرتْ نفوراً شديداً .

قال سوارُ لا تجشّمها يا أمير المؤمنين صعب الأمور ،
ولا تحمّلها ما لا تطيق ، وألزمها أربع خصال تسامُ
لكَ دنياك وآخرتك : أقيم الحدودَ واحكُم بالعدل ،
واجبِ الأموالَ من وجوهها ، واقسمها على أهلها بالحق .
خاصمَ عبدُ الله بنُ عبدِ الأعلى الكريزيُّ (٤) مولى

(١) سورة الزلزلة : ٦ - ٨ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فأجابها المخاض ... » .

(٣) الجرش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .

(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ،

القرشي .

له في أرض إلى صوّار — وكان جدّه^١ أقطعها جدّه — فقال
سوارٌ : إني لأرغبُ بك عن هذا ، تُنازعُهُ في أرض
أقطعها جدّك جدّه ؟ فقال الكريزي : الشحيحُ أغدرُ من
الظالم . فنكس سوارٌ طويلاً ، ثم وقع رأسه ، فقال :
اللهم ارددْ على قریش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسفَ القاضي (١) ليلاً فسأله عن
مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إن
رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصُّبح . فقال :
عجلوها له . فقيل : إن الخازنَ في بيته ، والآبواب
مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيبي والدُّروب
مغلقة ، فحين دعيتُ بي ففتحت .

وقال له الرشيد : بلغني أنَّك لا ترى لبس السّواد (٢)
فقال : يا أمير المؤمنين . ولِمَ ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزُّ
عليّ منه . قال : ما هو ؟ قال : السّوادُ الذي في عيني .

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة
٨١١٣ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحباً للإمام أبي حنيفة ، وقد
أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ٨١٨٢ .

(٢) كان شعر العباسيين لبسهم المعائم السوداء ، تشبهاً بما فعله
النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسُئِلَ مرةً عن السَّوَادِ ، فَقَالَ : النُّورُ فِي السَّوَادِ .
يريد سواد العين .

وكان خالدُ بنُ طليقٍ الحِزْزَاعِيُّ قاضياً ، فاختصم
إليه اثنان ، فكان أحدهُما كلما أراد أن يتكلّم غمزّه
الشرطي ألاّ يتكلّم . فلما كثر ذلك عليه قال : أيُّها
القاضي ، أتقضي على غائبٍ ؟ فقال : لا . فقال : أنا
غائبٌ إذا لم أترك أن أتكلّم .

وكان خالدٌ تيّهاً صليفاً (١) ، وقال يوماً لمحمد بن
سليمان — مع محله وشرفه وثروته — نحن وأنتم في
الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عبيدُ بنُ ظبيان قاضي الرقّة ، فجاءه رجلٌ
واستعده اه على عيسى بنِ جعفر ، وكان الرشيدُ إذا ذاك
بالرقّة فكتب ابنُ ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال الله
بقاء الأمير وحفظه وأنتم نعمته عليه . أتاني رجلٌ فذكر
أنّ له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإني رأى الأمير —

(٢) الصلف : الصلف محاوراة القدر في الظرف والادعاء فوق
ذلك تكبر .

أعزّه الله — أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلاً
يُناظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع
كتابته إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُـلْ
هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه :
أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك . حضر رجل
يفال له فلانُ بنُ فلانٍ وذكر أن له عليك حقّاً ، فصرّ معه
إلى مجلس الحكم ، أو وكيـلـك إن شاء الله .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أباهُ يطالبه بدين
له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين .
فقال له أبو خازم : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلمه .
قال : فمُنّد كم دايـنـتـه بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا .
قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أهلك من وقت المداينة .
فحبس الابن ، وخلّى عن الأب .

وكان إسماعيلُ بنُ إسحاق (١) قاضياً للمعتمد بمدينة

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهمي ،
فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف ، .

السلام (١) . فدخل على الموقر ، فقال له : يا إسماعيلُ :
ما تقول في هذا النيد ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح
الإنسانُ وفي رأسه منه شيءٌ ، قال ماذا ؟ قال الموفق :
يقولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذريُّ (٢) إلى الحسن بن أبي الشوارب في
دين عليه ، فادّعى غريمهُ مائتي دينار . فذكر البلاذري
معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنظيرة . فقال له القاضي :
أقظيرهُ . فقال : لم أطالبه إلا وقد علمتُ الساعة نعمته .
فقال البلاذري : صدق أيها القاضي ، إني من الله إني
نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي
التي لا تعدلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النعم

(١) مدينة السلام . بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو
الحسن ، رَئيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتد على الله ،
في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها - وما يُقضى من هاتين الدين . فقال القاضي
لغيره : انصرف ، وروح إلي . فراح إلى القاضي ،
فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بن سعيد الأنصاري^(١) قاضياً للرشد ،
وكان خفيف الحال وكان له مجلس من السوق . فلما
ولي القضاء ، وارتفع شأنه لم يترك مجلسه في السوق .
فقليل له في ذلك ، فقال : من كانت له نفس واحدة لم
يغيره الإقتار ، ولا المال .

كان البرقي عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة
السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بن
أكرم . فقليل له : وآتيت البرقي القضاء وهو رجل من
أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمع قول الله تعالى : «(وما
أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم)» (٢) .

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ،
من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .
(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضهم : رأيتُ البرقيَّ يوماً وهو يقرأ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ منذ كذا وكذا سنةً !! تقولُ : هيا يا أبا العباس . وكان أبو العيناء (١) يقول : كان أحمدُ بنُ أبي دُواد إذا رأى صديقه مع عدوه قتل صديقه .

وقال أبو العيناء : ما رأيتُ مثل ابن أبي دُواد من رجلٍ قد مُكِّن في الدنيا ذلك التمكين ، كنتُ أراه في مجلس سقفه غير مُغرَّي ، جالساً على مِسح (٢) وأصحابه معه يَشْدَرْنَ (٣) القميصُ عليه فلا يبدله ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همّةٌ ولا لذةٌ من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جلدع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ، أكرهُ أن أحبسَه ، فأهتكه وأكرهُ أن أدعَه

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريراً وهو من اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالسا على مسح : المنسج بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يندرن القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ، أو تلتطخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دؤاد : الحبسُ - يا أمير المؤمنين - فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأفشين^(١) يحسدُ أبا دُلف^(٢) ، ويبغضه للعربية ، والشجاعةِ والحدود ، فاحتال عليه حتى شهد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السياف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد ، فركب مع من حضره من عدُو له . ودخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلماً . ثم التفت إلى العدوُل ، فقال : اشهدوا أنني أديتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يتقدم الأفشينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دؤاد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدَّيتُ عنك إلى الأفشين رسالةً لم تقلها لي ، لا أحتدُّ بعمل عملته خير منها ، وإنِّي لأرجو

(١) حيدر بن كاوس من أجل قواد المعتصم .

(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوب رأيه ،
وأمر بالإفراج عن أبي دلف .

وكان أحمد بن أبي دؤاد بعد ذلك يقرظُ أبا دلف
ويصفه للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ إن أبا
دلف حسنُ الغناء ، جيدُ الضربِ بالعود . فقال : يا
أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعلُ
هذا ١١ .

ثم أحبَّ المعتصمُ أن يسمعه ابنُ أبي دؤاد . فقال له
يوماً : يا قاسمُ ، غنّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك —
وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبةً وإجلالاً . قال : فاجلس
من وراء ستارة . ففعل وغنّى .

وأحضر ابنُ أبي دؤاد ، وأجلسه وقال : كيف
تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به ، ولكنني
أسمعُ حسناً ، فغمزُ غلاماً ، فهتَكَ الستارة ، فإذا هو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابنَ أبي دؤاد وثب قائماً ، وأقبل
على ابنِ أبي دؤاد ، فقال : إني أُجبرتُ على هذا .
فقال : يا ماجنُ . لولا دُرْبَتُكَ في الغناء ؛ من أين

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبك أجبرت على أن تُغني ،
مَنْ أجرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسن بن وهب : شكرتُ أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أخرجك
الله ، ولا إيماننا إلا أن نعرف ما لنا عند الأصدقاء ؛
وتخطئ بعض بني هاشم رقاب الناس عند ابن أبي
دواد ، فقال : يا بُني ، إن الأدب ميراث الأشراف ولست
أرى عندك من سلفك ميثاقا . فاستحسن كلامه
كل من حضر .

قال الواثق لأحمد بن أبي دواد في رجل حميل إليه
من بعض النواحي : قد عزمْتُ على ضرب عُنقه . فقال :
لا يحيل لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربه بالسياط .
قال : ظهروُ المسلم حمي (١) إلا من حد . قال له :
أنت أبدا تعترض علي . قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخافُ
عليك العامة . قال : وما عسى العامةُ تفعل ؟ قال :
أقول يا أمير المؤمنين ولا تغضب . قال : قل :
قال : إذا رأوك قد جُرْتُ في الحكم ؛ أخلوا بيدك

(١) الحس : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا
بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فأقاموك عن مجلسك . واجلسوا غيرك . قال : فأمسك
الواثق . ولم يحرّ جواباً (١) ، وزال المكروه عن
ذلك الرجل .

وقال ابن أبي دُواد : موت الأحرار أشدّ من ذهاب
الأموال .

وقال : الشجاعة شجاعة في القلب ، والبخل
شجاعة في الوجه .

قال رجل لابن شهرمة : ذهب العلم إلا غبّرات
في أوعية سوء (٢) .

* * *

(١) أنعم فلم يجد ما يجب به .

(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس
غير حسي الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناسَ صاحبُ العمامةِ
السوداءِ بين أخصاصِ (٢) البصرة ؛ إذا شاء تكلمَ ،
وإذا شاء سكت . يعني « الحسن » .

كتب إليه عُمَرُ بنُ عبد العزيز : أنْ أعني ببعض
أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَنْ كان
مِنْ أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، وَمَنْ كان
يريد الآخرةَ فلا حاجةَ له فيما قبلك ، ولكن عليك
بذوي الإحسان فإنهم إن لم يستحيوا استحيوا ، وإن لم
يستحيوا تكرموا .

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسر
البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكان
من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد
والعبادة . وهو شيخ وأصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكأنت وفاته
بالهيرة سنة ٥١٠ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المقرد خص ، وهو بيت من شجر أو
قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يَجْزَعُ
من دُلَّهَا ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله
حالٌ أخرى ، قد أَهَمَّتْهُ نفسه ، وعمل لما بعد الموت ؛
فالناسُ منه في عافية ، ونفسه منه في شُغْلٍ .

ذكروا أنه سمع رجلاً يقولُ : أَهْلَكَ اللَّهُ
الْجُبَّارَ فقال : إِذَنْ تَسْتَوْحِشُ (١) في الطُّرُقِ .

قال أعرابيٌّ للحسن : عَلَّمَنِي دِينًا وَسُوطًا (٢) ،
لا ذاهبًا شَطُومًا ، ولا هابطًا هَبوطًا .

فقال الحسنُ : لئن قُلْتَ ذلك ؛ لَإِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ
لَا وَسْطُهَا .

وقال له رجل : إِنِّي أَكْرَهَ الْمَوْتَ . قال : ذاك
أَفْكَ أَحَرَّتْ مَالِكَ وَأَوْ قَدَمْتَهُ لِسْرَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ .

وقال : اقْدَعُوا (٣) هذه النُّفُوسَ فَلَهَا طُلْعَةٌ ،
وَاعْصُوهَا فَلَا نَكْمٌ إِنْ أَطَعْتَهُمَا تَنْتَرِعَ بِكُمْ إِيَّيْ شَرِ
غَايَةٍ ، وَحَادِثُوهَا بِالذِّكْرِ فَلَهَا سَرِيعَةٌ الدُّثُورِ (٤) .

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنسُه لكثرة من يهلك بسبب المجورة .

(٢) الوسط : المتوسط ، والجمع وسط .

(٣) قدحه : منعه وكفه ، والمعنى امنعوا وحدوا من نوازعها .

(٤) الدثور : دثور القلوب : إخماء الذكر منها .

وقال الحسن : لا تزولُ قلمُ ابنِ آدمَ حتى يُسألَ
عَنْ ثلاثَ : شبابِهِ : فيمَ أبلاه ؟ وعصرِهِ : فيمَ أفناه ؟
وماله : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقَه ؟

ورأى رجلاً يَكِيدُ (١) بنفسه فقال : إن امرأً هذا
آخرهٌ بلخيرٌ أن يزهدَ في أوله ، وإن امرأً هذا أوله بلخيرٌ
أن يخافَ آخره .

وقال : بَعْ دُنياك بآخرتك تريحُهما جميعاً ، ولا تبعْ
آخرتك بدُنياك فتُخسرهُما جميعاً .

وقال : مَنْ أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطية .

وقال : مَنْ خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ ،
ومَنْ خافَ الناسَ أخافَهُ اللهُ من كلِّ شيءٍ .

وقال : ما أُعطيَ أحدٌ شيئاً من الدُّنيا إلَّا قيلَ لهُ :
نخله ومثله من الحرص .

قال الحسنُ : إن قوماً جعلُوا تواخُهمُ في ثيابهم ،
وكبرهمُ في صلورهم حتى لصاحبُ المدرعة في مدرعته
أشدُّ فرحاً من صاحبِ المُطرف (٢) بمطرفه .

(١) هو يكيد بنفسه كيداً : يجود بها .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسر ها : واحد المطارف ، وهي أودية

من خور مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال :
الحسن البصري لقوله : فضح الموت الدنيا . لو عقل أهل
الدنيا خربت الدنيا .

وقال : أهينوا الدنيا فوالله لأهنا ما تكون حين
تُهينونها .

وقال له رجل : ما تقول في الدنيا ؟ قال : محالها
حساب ، وحرامها عذاب . فقال له : ما رأيت أوجز
من كلامك . فقال الحسن : بل كلام عمر بن عبد العزيز
أوجز من كلامي . كتب إليه بعض عمّال حمص (١) :
أما بعد : فإنّ مدينة حمص قد تهافت ، واحتاجت إلى
إصلاح . فكتب إليه عمر : حصتها بالعدل ، ونق
طرقها من الجور . والسلام .

قال الحسن لفرقد (٢) : يا أبا يعقوب . بلغني أنّك
لا تأكل الفالوذج . قال : يا أبا سعيد . أخاف ألاّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .

(٢) فرقد : هو فرقد السخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُودِي شُكْرَهُ . قال : يا لُكْعُ ! ! وهل تُودِي شُكْرَ
الماءِ الباردِ

وسَمِعَ رجلاً يشكو علةً به إلى آخر . فقال : أَمَا
لِيَنَّكَ تَشْكُو مَنْ بِرَحْمَتِكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ .
وقيل له : مَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ قال : الذي يرى أَنَّهُ
خَيْرُهُمْ .

وقال : قد ذمَّ اللهُ الشُّقْلَ في القرآن بقوله « (فإذا
طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) » (١)
وقال : الدُّنْيَا كُلُّهَا غَمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور
فهو رَيْحٌ .

وقال : إِنْ اللهُ — جَلَّ ثَنَاهُ — لم يَأْمُرْ نَبِيَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِمَشَاوَرَةِ أَصْحَابِهِ لِحَاجَةِ مَنْهُ إِلَى آرَائِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ
أَنْ يُعَالِمَهُ مَا فِي الْمَشُورَةِ مِنْ الْبَرَكَةِ .
وَيُرَوِّي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ مِنْذُ دَهْرٍ نَدْعُو اللَّهَ فَنَقُولُ :
اللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا أَخْيَارَنَا فَأَعْظِمْ بِهَا مَصِيبَةً أَلَا يُسْتَجَابُ

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا
بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجيبَ لنا فيكون
هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يخرجُ من ذُلِّها ولا
يُتأفَس في عزها .

وقال : أربعٌ قواصمٌ للظهر : إِمَامٌ تُطِيعُهُ وَيُضِلُّكَ ،
وزَوْجَةٌ تَأْمَنُهَا وَتَحْزَنُكَ ، وجَارٌ لِيْنٌ عَالِمٌ خَيْرٌ أَسْتَرَهُ ، وإن
عَلِمَ شَرًّا نَشَرَهُ وَفَقْرٌ حَاضِرٌ لَا يَجِدُ صَاحِبُهُ عَنْهُ شَارِدًا (١) .

ووصفَ الأسواقَ ، فقال : الأسواقُ موائدُ الله
مَنْ أَتَاهَا أَصَابَ مِنْهَا .

وقال : من عمل بالعافية فيمَنَ دونه رُزقٌ بالعافية
مِمَّنْ قُوَّةٌ .

وقيل له : وكيف رأيت الولايةَ يا أبا سعيد ؟ قال
رَأَيْتُهُمْ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ (٢) آيَةً يَعْبَثُونَ . وَيَتَخَذُونَ
مِصَانِعَ لَعَلَّهُمْ يَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشُوا بَطَشُوا جَبَارِينَ (٣) .

(١) الشارد : النافر . والمواد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريح - بكسر الراء : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ - ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقول : ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر .

وقال : من وسع الله عليه في ذات يده فلم يخف أن يكون ذلك مكرأ من الله به فقد أمن مخوفاً ، ومن ضيق الله عليه في ذات يده فلم يرج أن يكون ذلك نظراً من الله له فقد ضيع مآ مولا .

وقال : إن من عظيم نعم الله على خلقه أن خلق لهم النار يحوشهم (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجل : كيف طلبك للدنيا ؟ قال شديد . قال : فهل أدركت منها ما تريد ؟ قال : لا . قال : فهذه التي تطلبها لم تترك منها ما تريد فكيف بالتي لا تطلبها ؟ وقال : ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وذكر يوماً الحجاج فقال : أنا أعيش أعيش (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحيلة .

(٢) أعيش : تصغير الأخص ، وقد يكون الأخص علة ، وهو الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .

والأعيش : تصغير الأعمش ، والأعمش ألا تزال العين تسيل الدمع ، ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُمَيْعَةٌ^(١) يَرْجُلُهَا فَأُخْرِجَ إِلَيْنَا لِمَامًا^(٢) قِصَارًا ،
والله ما عرق فيها عِثَانٌ^(٣) في سبيل الله . فقال : بايعوني .
فبايعناه^(٤) ثم رقى هذه الأعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ،
وتنظرُ إليه بالتعظيم ، يَأْمُرُنَا بالمعروف ويحْتَنِبُهُ^(٥) ، وينهاينا
عن المنكر ويرتْكِبُهُ .

وسُئِلَ عن قوله تعالى : « (إِنْ) الَّذِينَ يَشْتَرُونَ^(٦)
بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ^(٧) ثَمَنًا قَلِيلًا » (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟
قال : الدنيا بخلافها .

وقال : الدنيا تَطْلُبُ الهاربَ منها ، وتهْرُبُ من الطالبِ
لها ، فإن أدْرَكَتِ الهاربَ منها جرحته^(٨) ، وإن أدركها
الطالبُ لها قتلتها^(٩) .

وقال : رَبٌّ هَالِكٌ بالثناء عليه ، ومغرورٌ بالسترِ
عليه ، ومستلرجٍ بالإحسانِ إليه .

(١) والجميعة : تصغير الجمعة ، وهو مجتمع شعر الرأس .

(٢) اللام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .

واللمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .

(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إِنْ لَمْ تُطْعَمْكَ نَفْسُكَ فِيمَا نَحْمِلُهَا عَلَيْهِ
مِمَّا تَكْرَهُ فَلَا تُطْعَمْهَا فِيمَا تَحْمِلُكَ عَلَيْهِ مِمَّا تَهْوَى .

وقال تَشَبَّهَ زِيَادٌ بِعَمْرِ فَأَفْرَطَ ، وَتَشَبَّهَ الْحِجَاجُ
بِزِيَادٍ فَأَفْرَطَ . وَأَهْلَكَ النَّاسَ .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَسْخِيفُ (١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ،
وَلَا يَأْتِمُ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وقال لهُ بَعْضُ الْجُنْدِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ : تَرَى أَنْ
أَتَّخِذَ أَرْزَاقِي أَوْ أَتْرَكُهَا حَتَّى آخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؟ . قَالَ : مُرُّ فَخِذِ أَرْزَاقِكَ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَعَالِيسُ .

وكتب إلى أَخِي لهُ : أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الصِّدْقَ أَمَانَةٌ ،
وَالْكَذِبَ خِيَانَةٌ وَالْإِنْصَافَ رَاحَةٌ ، وَالْإِلْحَاحَ وَقَاحَةٌ ،
وَالْتَوَانِي إِضَاعَةٌ ، وَالصُّحَّةُ بَضَاعَةٌ ، وَالْحَزْمُ كِيَاةٌ ،
وَالْأَدَبُ سِيَاةٌ .

وقال : يَا بَنَ آدَمَ . اصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ
بِصَحْبِكَ بِمِثْلِهِ .

(١) الخيف : الظلم والجور .

وقال : الرجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه
وآخر بماله .

وقال له رجلٌ : لي بُنيَّةٌ وأنها تُخطبُ . فممنَ
أزوجُها ؟ قال : « وُجَّها من يتقي الله فإنَّ أحبَّها أكرمُها ،
وإن أبغضها لم يظلمها » .

وقال : كنا في أقوامٍ يخزنُونَ ألسنتهم ، ويُنْفِقُونَ
أوراقهم ، فقد بقينا في أقوامٍ يخزنُونَ أوراقهم (١) ،
ويُنْفِقُونَ ألسنتهم .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز . أمَّا بعدُ : فكأنَّكَ
بالدنيا لم تكن ، وكأنَّكَ بالآخرة لم تنزل .

وقيل له في أمير قديم البصرة ، وعليه دينٌ قد
قضاهُ . فقال : ما كان قطُّ أكثرَ ديناً منه الآن .

وقال : ينادي مناد يوم القيامة : من له على الله
أجرٌ فليقمْ ، فيقومُ العاقلون عن الناس . وثلا قوله
تعالى : « فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله (٢) » .

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « جزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجتاز نخّاس^(١) مع جارية به . فقال أتييها ؟
قال : نعم . قال : أفترضى أن تقبض ثمنها الدرهم
والدرهمين حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله
عزّ وجلّ قد رضي في الحور العين بالفلس والفلسين .
وقيل له : ما بال الناس يكرمون صاحب المال ؟
قال : لأن عشيقهم عنده .

وكان بلال بن أبي بردة أكلوا . فقال الحسن فيه :
يتكئ على شماليه ويأكل غير ماله ، حتّى إذا كظّه
الطعام يقول : ابغوني هاضوماً . ويلك ! ! وهل
تهضم إلا دينك ! !

وكان الحسن إذا دخل تحت ثوبه^(٢) تنحى عن مكانه ،
ويقول : مرحبا بمن كفى المونة ، وستر العورة .
ومن كلامه : مسكين ابن آدم ، مكتوم الأجل
والعيال ، أسير الجوع والشبع .

(١) النخّاس : تاجر الرقيق .

(٢) انحنى : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج

البت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال :
مالكم ترد حمون ؟ ؟ ها هي تلك ساريتُه (١) في المسجد .
اقعدوا تحته ، واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله .
وقال لشيخ في جنازة : أترى أن هذا الميت لو رجع
إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحاً ؟ قال : نعم . قال له .
إن لم يكن ذلك فكن أنت ذلك .

ونظر إلى قصور المهالبة ، فقال : يا عجباً رفعوا
الطين ، ووضعوا الدين ، وركبوا البراذين ،
واتخذوا البسائين ، وتشبهوا بالدهاقين (٢) « فذرهم
في ضميرتهم حتى حين (٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللهم إنا نعوذُ بك أن نملَّ
معافاتك . فقليل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفص عيش فتدعوهُ نفسهُ
إلى سفر .

(١) السارية : الاسطوانة أو العمود الذي يقام عليه المسجد .

(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .

(٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قد أبل من عاتته ، فقال له .
إن الله ذكرك فاذكّره . وأقالك (١) فاشكّره .

ويقال : إنَّ أوَّلَ كلامه أَنَّهُ صلَّى يوماً بأصحابه ،
ثم انفل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناسُ ، إني
أعظُّكم ، وأذا كثيرُ الإسرافِ على نفسي ، غيرُ مصلح
لها ، ولا حائلُها على المكروه من طاعة ربِّها . قد بلوتُ
نفسي في السَّراءِ والضَّراءِ ، فلم أجِدْ لها كثيرَ شُكر
عند الرَّجاءِ ، ولا كبيرَ صبر عند البلاءِ ، ولو أنَّ الرجل
لم يعظُ أخاه حتَّى يحكم أمرَ نفسه ، ويكمل في الذي
خُلِقَ له من طاعة ربِّه لقلَّ الواعظونُ الساعون إلى الله
بالحثِّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع
حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من
النَّسيان . أيها الناسُ إنما الدُّنيا دارٌ مَن لادارَ له ، وبها
يفرحُ من لا عقلَ له ، فأنزلوها منزلاتها . ثم أمْسَكَ .

(١) أقالك فاشكّره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسخه للبيع .

والعنى : أنقذك بقدّم شكرك له .

ولمّا مات أخوهُ بكى ، فقبل له : أثبكي يا أبا سعيد ؟
 فقال : الحمد لله الذي لم يجعل الحزن عاراً على يعقوب (١)
 وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هو أسنُّ
 منك فقل : هذا خيرٌ منّي عبّد الله قبلي ، وإذا لقيت
 من هو دونك في السنِّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيتُ
 الله قبله . وإذا لقيت من هو مثلك فقل : هذا خيرٌ
 منّي أعرفُ من نفسي مالا أعرفُ منه .

وكان يقولُ : يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذتوا
 بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم . فليست شعري
 ما الذي ينتظرون ؟

ونظر إلى الناس في مصلى البصرة يضحكون ،
 ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنّ الله - عزّ وجل -
 جعل الصّوم مضماراً لعباده ليستبقّوا إلى طاعته ، ولعمري
 لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ
 بإساءته عن تجديد ثوب ، أو ترطيل شعر (٢) :

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف وأخيه
 حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شره : ليته بالدهن ركسه وثناه .

وكان يقول : اجعل الدنيا كالمقنطرة تجوز عليها
ولا تعمرها .

وقال : تلقى أحدهم أبيض بضاً يملخ في (١) الباطل
ملخاً ، ينفض مذرويه (٢) ، ويضرب أضديه ، يقول
هأنذا فاعرفوني . قد عرفناك ، فمقتك الله ومقتك
الصالحون .

وقال : نعيم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أعان عليه .
وذئوبُ ابن آدم أكثر من أن يسلم منها إلا ما عفا عنه .
وكان يقول : ليس العجبُ ممَّن عطب كيف عطب ؟
إنما العجبُ ممَّن نجا كيف نجا ؟

وكان يقول : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعةُ
الدُّثور ، واقْدَعُوا هذه الأنفس فإنها طُلْعَةٌ (٣) ،
فإنَّكم إلا تَدْعُوها تَنزِع بكم إلى شرٍّ غاية .

(١) يملخ في الباطل : الملمخ - كالمخ : السير الشديد ، والتردد في
الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرما الألتين ، والمكبين ، وطرفا كل شيء .
والمراد بهما هنا فرما المكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .
(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرف (١) بن عبد الله بن الشَّخِير : يا مطرفُ ،
عظُ أصحابك . فقال مطرفُ : إني أخافُ أن أقولَ مَلا
أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيتنا يفعلُ ما يقولُ ؟
يودُّ الشَّيْطانُ أنه ظفرٌ بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرُ أحدٌ
بمعروفٍ ، ولم ينه عن منكرٍ .

وكان يقولُ : ما حَاجةُ هؤلاءِ ، السلطانُ إلى الشرطِ .
قلمَّا ولي القضاء ، كثرُ عليه الناسُ فقال : لا بُدَّ
لِلنَّاسِ مِنْ وَزْعَةٍ (٢) .

وكان يقولُ : لسانُ العاقلِ مِن وراءِ قلبه فإن
عرضَ له القولُ نظرَ ، فإن كان له أن يقولَ قال ، وإن كان
عليه القولُ أمْسَكَ ، ولسانُ الأحمقِ أمامَ قلبه فإذا عرضَ
لهُ القولُ قال عليه أو له .

وقال : أو لم يُصَبِّ ابنُ آدمُ إلا الصَّحَّةَ والسَّلامَةَ
لأَوْشَكَ أن يرداهُ إلى أرذلِ العُمُرِ فحدَّثَ بذلكَ محمدُ بنُ

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف . . كان فقيهاً ،
وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم .
وقد توفي سنة ٨٧ هـ .

(٢) وزعة : جمع وأرع ، وهو الخابس السكر الموكل بالصنفوف .

جُمُر فاعجبه ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام
العرب وأشبه بعضه ببعض ٢٢ والله لكأن النمر بن
تولب (١) سمع هذا . فقال :

يسرُ الفتي طولُ السَّلامةِ جاهداً
فكيف ترى طولُ السَّلامةِ يفعلُ ؟
وقال حميد بن ثور (٢) .

« وحسبك داء أن تصبح وتسلم »

وكان يدعو ويقول : اللهم أعطنا قوة في عبادتك ،
وبصراً في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتناً كيفاً (٣)
من رحمته . بيّض وجوهنا بنورك ، واجعل
راحتنا في أيقائك ، واجعل رغبتنا فيما عندك من
الخير . اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل ، والمهرم ،
والجبن ، والبخل . اللهم إنا نعوذ بك من قُلُوب

(١) هو النمر بن تولب بن أتيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك
الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى يصري قد رايتني بعد صحة * وحيد بن ثور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا تخشع ، وأذُنُفس لا تشبع ، اللهم إنا نعوذُ بك أنفسنا
وأهلينا وذراريَنا من الشَّيْطان الرَّجيم .

وقال : إِنْما تعظُ مُستَرشداً ليفهم ، أو جاهلاً
ليتعلم ، فأما من وضع سيفه وسوطه وقال : احذرني
فما لك وله ؟

وقال : إنَّ قوماً لسُوا هذه المطارفَ العتاق ،
والعمائمَ الرِّفافَ ، وأوسعُوا دُورهم ، وضيقُوا
قُبورهم ، وأمسَحُوا دوابَّهم ، وأهزلُوا دينهم ، طعامُ
أحدهم غضبُ ، وخادمه سُخرة ، يتكئ على شماله ،
ويأكل من غير ماله ، حتَّى إذا أدركتهُ الكظةُ ،
قال : هلميَّ يا جارية هاضوماً ، ويلك !! وهل تحطمُ
إلا دينك ؟ .. أين مساكينك ؟ أين يتاماك ؟ أين ما أمرك
الله به . أين ؟ أين ؟

ورأى رجلاً يمشي مَبْشِيَّةً مَذكُرةً . فقال : يَخْلِجُ (١)
في مشيه خَلْجانَ المَجْنُون . لله في كلِّ عَضْوٍ منه
لقمةٌ ، وللشَّيْطانِ لَبَةٌ .

(١) يَخْلِجُ في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يساراً ، واسم أمه خيرة ،
مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما
غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها فحملته به ،
إلى أن تجيء أمه فدرّ عليه ثديها . فيروى أن ذلك
الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن
بوادي القرى (١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك !!
أهاهنا ضيق أو سعة ؟ إننا الضيق والسعة أمامك .

وقال : لولا قسرتهم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا بن آدم : إننا أنت عدّد أيمانك إذا
مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عذبه أمر الصحابة . قال الحسن :
رحمهم الله ، شهدوا وغبنوا وعلموا وجعلنا ،
وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما
اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

(٢) وادي القرى : مكانه قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشرُ أهْلِكَ بأحسنِ أخلاقِكَ ؛ فإن
النَّوَاءَ فِيهِمْ قَلِيلٌ (١) .

وقال : السُّؤَالُ نَصْفُ الْعِلْمِ ، ومُدَارَاةُ النَّاسِ
نَصْفُ الْعَقْلِ ، والقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نَصْفُ الْمَعِيشَةِ . وَمَا
عَالٌ مُقْتَصِدٌ .

وقال : تخفِ اللَّهَ خَوْفًا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَهُ بِحَسَنَاتٍ
أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلُهَا مِنْكَ وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً تَرَى أَنَّكَ
إِنْ أَتَيْتَهُ بِسَيِّئَاتٍ أَهْلُ الْأَرْضِ غَفَرَهَا لَكَ .

وقال : مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهَ رَجُلًا عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ
بِهِ يَوْمًا مَا .

وقال : الْمُؤْمِنُ لَا يَحْزِنُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا
يَأْتُمُ فَيَسِنُ يَحِبُّ .

ودخلَ إِلَيْهِ أَمْرَدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ : فَالْتَفَتَ إِلَى
أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ ذَكَّرَنِي هَذَا الْفَقْرُ الْحُورُ الْعَيْنِ .
وَوُلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ :

(١) النّوَاءُ فِيهِمْ قَلِيلٌ : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك الله لك في هيبته ، وزادك في نعمته . فقال الحسن :
الحمد لله على كل حسنة ، ونسأله الزيادة من كل
نعمة ، ولا مرجحاً بمتن إن كنت مقيلاً أنصبتني ،
وإن كنت غنياً أذهلني لا أرضى بسعياً له سعياً ،
ولا بكدي عليه في الحياة كدّاً ، حتى أشفيق عاكيه بعد
وفائي من الفاقة ، وأنا في حال لا يصل إلي من همه
حزن ، ولا من فرحه سرور .

وقال : عز الشريف أدبه ، وعز المؤمن استغناؤه
عن الناس .

وقال : العام في الصغر كالنقش على الحجر ،
وفي الكبر كالرقم على الماء .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه
فيها تبعه إلا سليمان فإن الله قال : « هذا عطاؤنا
فامنن أو أمسينك بغير حساب » (١) .

(١) سورة ص ٣٩ .

وقال : لا أبالك ، إن لم تكن حليماً فتحلّم فإنه
قلّ رجل يتشبهه يقوم إلاّ أو شك أن يكون منهم .
وقال : لا تشترين عداوة رجل بمودة ألف رجل .
وقيل أهلك فلان فجأة . فقال : لو لم يهلك
فجأة لمرض فجأة .

وقال : من زهّد في الدنيا ملكها ، ومن رغب
فيها عبدها .

قال له رجل : يا أبا سعيد ، ما تقول في الغناء ؟
قال : نعيم الشيء الغنى تصل به الرّحيم ، وتفك به
العاني ، وتنفّس به عن المكروب .

قال : لست عن هذا أسألك ، إنما أسألك
عن الغناء . قال : وما هو أنعرف منه شيئاً ؟ قال :
نعم : قال : فهاتيه : فاندفع يغني ، ويلوي
شدّقيه ، ومنخرينه ، ويكسر عينيه : قال :
فبهت الحسن ، وجعل يعزّب عنه بعض عقله
حتى فعل كما فعل الرجل بتحريك عينيه ،

وَكَسَّرَ حَاجِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا تَنَبَّهَ مِنْ سِنَّتِيهِ : أُمْسِكْ
بَاهَذَا ، قَبَّحَ اللَّهُ هَذَا ، مَا كُنْتُ إِلَّا فِي حُلُمٍ .

قَالُوا : وَلِيِّيَ الْحَسَنُ الْقَضَاءُ فَمَا حُمِدَ . يَرِيدُ
أَنَّهُ لَوْ حُمِدَ لِنَسَانٍ فِي وَلَايَةِ أَوْ قَضَاءٍ لِحَمْدِ الْحَسَنِ ۖ

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ تَعَقَّفْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ
عَابِدًا ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ
غَنِيًّا . وَصَاحِبِ النَّاسِ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ
تَكُنْ عَدْلًا ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ
الْقَلْبَ . لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا كَثِيرًا ،
وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَبَنَوْا شَدِيدًا ، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا ،
وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا ، وَأَمَلَتْهُمْ غُرُورًا .

وَقَالَ : يَا بَنَ آدَمَ لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ (١) جِهَادَ
الغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتَّكِلْ الْمُسْتَسْلِمَ ،

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول
الإلحاح في الحصول على طايتك .

فإنَّ ابتغاءَ الفضلِ مِنَ الشرِّ (١) ، والإجمالَ
في الطَّلَبِ مِنَ العِفَّةِ ، وليستِ العِفَّةُ بدافعةٍ ورزقاً ،
ولا الحرصُ يجلبُ فضلاً ، وإنَّ مِنَ الحرصِ اكتسابَ
الإثمِ .

• • •

(١) الشر : شره الشاب : حرمه ونشاطه .

الباب العاشر

نُكِّتَ مِنْ كَلَامِ الشَّيْعَةِ

خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الْعِظَةِ قَامَ إِلَيْهِ
رَجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ (١) . فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا .
تَأْمُرُونَ فَلَا تَأْتَمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تَنْتَهُونَ ،
وَتَعْظُونَ وَلَا تَتَعَزُّونَ . أَفَنَقُتْدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ
أَمْ نَطِيعُ أَمْرَكُمْ بِالنَّسْنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ : اقْتَدُوا
بِسِيرَتِنَا فَأَنْتَ ؟ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحِجَّةُ ؟ وَمَا النَّصِيرُ
مِنْ اللَّهِ بِاقْتِدَاءِ سِيرَةِ الظَّالِمَةِ الْفَاسِقَةِ ، الْخَوَرَةِ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا (٢) ، وَعِيدَهُ خَوَلًا (٣)

(١) آل صوحان : يشبون إلى صعدة بن صوحان بن حجر بن
الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيباً بليغاً
عاقلاً له شعر .

(٢) اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه مملوكاً
بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خولا : الخول : ما أعطاك الله من الثمن - محوكة - والعبيد
والإماء وغير ذلك من الحاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر
والأنثى .

وَلَمَّا قُلْتُمْ : اقْبَلُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ،
فَكَيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ . أَمْ كَيْفَ
تَجِبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تُثَبِّتْ عِنْدَ اللَّهِ عِدَالَتَهُ ؟ وَلَمَّا
قُلْتُمْ خُذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ، وَاقْبَلُوا
الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا فَعَلَامَ وَلَيْسَا كَمِ أَمْرَنَا ،
وَحَكْمَانَا كُمْ فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ
فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللُّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟
فَتَحْلَحِلُوا (١) عَنْهَا أَوَّلًا ، فَأُطْلِقُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا
سَبِيلَهَا يَبْتَدِرُ لِرِثْيَهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمُ الدِّينَ شَرَّدْتُمُوهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَقْتُمُوهُمْ
فِي كُلِّ وَادٍ ، بَلْ ثَبَّتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَانْقِضَاءُ الْمُدَّةِ
وَبُلُوغُ الْمُهْلَةِ ، وَعِظَمُ الْحَظِّ . لَئِنْ لَكُلُّ قَائِمٍ قَدَرًا
لَا يَعْدُوهُ وَيَوْمًا لَا يَخْطُوهُ ، وَكِتَابًا بَعْدَهُ يَتْلُوهُ
« (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ، وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) » (٢) .

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٦ .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (١) .
قال ثُمَّ أَجْلَسَ الرَّجُلُ فَطَلِبَ فَلَمْ يَوْجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليل (٣) : ما بال
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم بنو
أم وإخوة ، وعليّ كأنه ابن علة (٤) فقال لي : من
أين لك هذا السؤال ؟ فقلت : أريد أن تجيبني . قال
علّي أن تكتم عليّ ما دمت حياً . قلت : أجل .
قال : تقدّمهم لإسلاماً ، وبذّهم شرفاً ، وفاقهم علماً ،
ورجّحهم حلماً ، وكان أكثرهم زهداً . فخبروه
والناس إلى أشكاليهم أميل .

سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (٥) عَنْ قَوْلِ النَّاسِ :

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضح علم العروض ، وصاحب

كتاب العين وكتاب التلخيص .

(٤) العلة : الضهرة

(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي

الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ٨١٦ هـ . وكان إمام المحدثين .

عليّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . فَقَالَ : هَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ
النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعَلِيٍّ : « لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ
وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ » وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُ
فِي النَّارِ .

• • •

الباب الحادي عشر

كلامُ الخوارج (١)

مِنْ كَلَامِ أَبِي حَمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللَّهَ أَكْرَمُ سَرِيرَةً ، وَأَفْضَلُ ذَخِيرَةً ، مِنْهَا ثِقَةُ الْوَأَثِيقِ ، وَعَلَيْهَا مِقَّةُ الْوَأَمِيقِ . لِيَعْمَلَ امْرُؤٌ فِي فِكَكَائِهِ نَفْسِيَّةً وَهُوَ رَخِيٌّ (٣) اللَّبَبِ ، طَوِيلُ السَّبَبِ ، وَلِيَعْرِفَ مَمْدَ يَدِهِ ، وَمَوْضِعَ قَدَمِهِ ، وَلِيَعْتَذَرَ الزَّلَّلَ وَالْعُتْلَ الَّتِي تَقْطَعُ عَنِ الْعَمَلِ . رَحِيمُ اللَّهِ عَبْدًا آثَرَ التَّقْوَى ، وَاسْتَشْعَرَ شِعَارَهَا وَاجْتَنَى ثِمَارَهَا . بَاعَ دَارَ النَّفْسِ بِدَارِ الْآبَدِ . الدُّنْيَا كَرُوضَةٌ اعْتَمَّ مَرْعَاهَا ،

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدتهم هذا قيامهم بثورات محلية عكزت صلوة السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السلمي البصري ، قاتل هناك ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مقتبل عمره .

وَأَعْجَبَتْ مَنْ يَرَاهَا ، تَسْجُ عُرُوقُهَا الشَّرَى ، وَتَنْطَفُ (١)
 فُرُوعُهَا النَّدَى ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ إِثَاهُ (٢) ، وَانْتَهَى
 الزُّبْرُجُ (٣) مَنتهَاهُ ، ضَعْفَ الْعُمُودُ ، وَذَوَى الْعُمُودُ ،
 وَتَوَلَّى مِيزَانُ الْمَالِ يَعُودُ ، فَحَسَّتِ الرِّيحُ الْوَرَقَ ،
 وَفَرَّقَتْ مَا اتَّسَقَ ، « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ
 « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » (٤)

كَانَ شَبِيبُ (٥) يَقُولُ : اللَّيْلُ يَكْفِيكَ الْحَبَانَ
 وَيُصَفِّ الشُّجَاعَ .

أَتَيْتِ الْحَجَّاجُ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِمَنْ
 حَضَرَ : مَا تَرَوْنَ فِيهَا ؟ قَالُوا : اقْتُلُهَا . فَقَالَتْ :

(١) تَنْطَفُ فُرُوعُهَا : تَنْطَفَتْ : تَقَرَّطَتْ ، وَوَصِيفَةُ مَنْطَفٍ أَيْ
 مَقْرَطَةٌ .

(٢) بَلَغَ إِثَاهُ : - وَيَكْر - بَلَغَ غَايَتَهُ أَوْ نَفْجَهُ وَإِدْرَاكَهُ .

(٣) انْتَهَى الزُّبْرُجُ مَنتهَاهُ : الزُّبْرُجُ - بَكْرُ الزَّائِمِ - الزَّيْنَةُ مِنْ
 وَشْيٍ أَوْ جَوْهَرٍ .

(٤) سُورَةُ الْكَهْفِ : ٤٥ .

(٥) شَبِيبُ الْخَارِجِيِّ هُوَ : شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَعِمٍ بْنِ قَيْسِ الشَّيْبَانِيِّ ،
 أَبُو الضَّحَّاكِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ ، وَاحِدُ كِبَارِ الثَّاقِبِينَ عَلَى بَنِي أُسَيَّةَ وَمَاتَ غُرَقًا .

جُلُوسًا أَخِيكَ خَيْرٌ مِنْ جُلُوسَاتِكَ : قال : وَمَنْ
أَخِي ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ : لَمَّا شَاوَرَ جُلُوسَةً فِي
مُوسَى « قَالُوا أَرْجِيهِ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ » (١) فَأَمَرَ بِقَتْلَيْهِمَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارٍ ثَبِيٍّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا
الَّذِي يُقِيمُ كَفِيلًا ؟

أَخَذَ ابْنُ زِيَادٍ ، ابْنَ أُدِيَّةَ (٢) : أَخَاهُ بِلَالٍ ،
فَقَطَعَ يَدَيْهِ ، وَرَجَلَيْهِ ، وَحَلَبَهُ عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ لِأَهْلِهِ
وَهُوَ مَصْلُوبٌ : انْظُرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَوَكَّاتَيْنِ بِي فَأَحْسِنُوا
لِي لِيَهْمَ فَلَهُمُ أَضْيَافُكُمْ .

أَبَى عَتَّابُ (٣) ابْنُ وَرْقَاءَ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ لَقَالَ
هَذَا : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْخُرُوجِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ
اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أدية هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان
فيمن قتل من الخوارج سنة ٨٥٨ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَيْنَسَا
وعلى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الدُّيُولِ
فقانت : يا عدوَّ الله ، أخرجني قلةً معرفتك بكتاب الله .

خُطْبَةُ قَطْرِي بْنِ الْفُجَاءَةِ (١)

أَمَّا بَعْدُ : فَلَا يَأْخُذُ رُكْمَ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ،
حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِزَةِ ،
وخلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ وَلَا تَدُومُ
حَبْرَتُهَا (٢) ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجِيعَتُهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ،
وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِئَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكْسَالَةٌ غَوَّالَةٌ ،
لَا تُعْدُو — إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرِّضَا
عَنْهَا — أَنْ تَكُونَ — كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « كَمَا أَنْزَلْنَاهُ
مِنَ السَّمَاءِ ، فَاسْتَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذُرُّهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٣) » .

(١) هو أبو نعام قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن
يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياما وأحدهم شوكة وكان شاعرا
جوادا وخطيبا مشهورا وقد توفي سنة ٨٧٨ .

(٢) الخبرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٥٥ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أن أمرأ لم يكن منها في حبرة (١) إلا أعقبته
 بعدها عبرة ، ولم يلتق من سرائها بطناً إلا منحته
 من ضرائها ظهراً ، ولم تظله غيمة رخاء إلا هطلت
 عليه مزرقة بلاء ، وحريرة إذا أصبحت له منتصرة ،
 أن تُمسي له خاذلة متذكّرة . وإن جانب منها
 اعتذّ وذب واحلّولّى أمرّ عليه منها جانب وأوبى (٢) .

وإن آتت امرأ من غضارتها ورقاً أرهقته من
 نوائبها تعباً ولم يُمس منها امرؤ في جناح أمنٍ إلا
 أصبح منها على قوادم خوف . غرارة ، غرور مافيه ،
 فانية فإن من عليها . لاخير في شيء من زادها
 إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن
 استكثر منها استكثر مما يؤيقه (٣) ويطيل حزنه ،
 ويُبكي عينه ، كتم واثق بها فجعته ، وذو طمانينة
 إليها قد صرعه ، وذو احتيال فيها قد خدّعه ، وكم

(١) الحبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو سهل من أوبى .

(٣) يوبق : يهلك .

ذِي أُبَّهَةٍ فِيهَا قَدْ صِيَثْرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَمَخُوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ
 ذَلِيلًا ، وَمِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبِثَّتْهُ لَيْدِينَ ، وَلَلْفَقَمِ .
 سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ (١) وَعَذْبُهَا أَجْجَاجٌ ،
 وَحُلُوهَا صَبِيرٌ (٢) ، وَغَذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا
 رِمَامٌ (٣) ، وَقَطَائِفُهَا سَلَعٌ (٤) ، حَيْثُهَا بَعَرَضٌ مَوْتٌ ،
 صَحِيحُهَا بَعَرَضٌ سَقَمٌ ، مَنِيْعُهَا بَعَرَضٌ اهْتِضَامٌ .
 مَتَلِكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَالِحُهَا
 مَسْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ (٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ
 سَكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفَ بَيْنَ
 يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمَلُوا
 وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٦) » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولَ

(١) عيشها رنق : كدر .

(٢) حلوها صبر : الصبر ككتف : عصارة شجر مر .

(٣) أسباها رمام : واهية .

(٤) وقطائنها سلع : السلع - بتحريك اللام - شجر مر .

(٥) محروب : مسلوب .

(٦) سور النجم : ٢١ .

أَعْمَاراً ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً ، وَأَعَدَّ عَذِيباً ، وَأَكْثَفَ
جُنُوداً ، وَأَشَدَّ عُنُوداً .

تُعْبِدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعْبُدُ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ لِإِثَارِ ،
وظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكَثْرَةِ وَالصَّغَارِ فَهَلْ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ
أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ؟ بَلْ قَدْ أَرَهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ ،
وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وَقَدْ
رَأَيْتُمْ تَنْكِبُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ،
حِينَ ظَنَعُوا عَنْهَا أَفْرَاقَ الْأَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ (١) .

هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّعْيَ ، وَأَحْلَلَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ،
أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟
أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْجَرُ صُنُونُ ؟ أَمْ إِلَيْهَا
تَطْمَئِنُّونُ ؟

يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ (٢) » . فَبُهِتَ الدَّارُ لِمَنْ أَقَامَ فِيهَا .

(١) آخر المستد : المراد الدهر يقال لا آتية أبداً المستد أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلمُوا — وأنتم تعلمون — أنكم تار كُوها لابُدُّ ،
فإنَّما هي كما وصفها اللهُ باللَّعِبِ ، واللَّهْوِ . وقد قال
الله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ
جَبَّارِينَ » (١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » (٢)
ثم قال : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رَكْبَانًا ،
وَأَنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وجعل الله لهم من الضَّرِيحِ
أَجْنَانًا (٣) ، ومن التُّرَابِ أَكْفَانًا ، ومن الرُّفَاتِ جِيرَانًا ،
وهم جيرةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا .
إِنْ خَصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا .
جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، جيرةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُسْتَنَاعُونَ
لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ .

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فَأَمَّا مَا قُتِبُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو السر والمراد القبر .

حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهْلَانٌ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فِتْنَتُهُمْ ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ،
وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (١) » .
وَاسْتَبَدَّوْا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلُمَةً ، فَنَافَرَقُوهَا كَمَا
جَاءَهَا حُفَاةٌ ، عُرَاةٌ ، فُرَادَى . غَيْرَ أَنْ ظَعَنُوا
بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ . يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْهِ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (٢) » .

فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَانْتَضِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ،
وَاعْتَصِمُوا بِحَبِيبِهِ . عَصَيْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقْنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

قَالُوا : لِمَا أَخِيذَ (أَبُو) بَيْتَهُسَ (٣) الْخَارِجِيُّ ،

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو يهيس هيصم بن جابر الضبي الخارجي وأتباعه يسمون
اليهسية إحدى فرق الخوارج .

وقطعت يده ، ورجلاه ، ثم راء يتمرغ في التراب .
فلما أصبح قال : هل أحد يُفْرِخُ عليّ دأوبين ؟
فإنني احتملت في هذه الليلة . هذا إن كان صادقاً فهو
عجيب ، وإن كان قاله استهانةً بمن فعل ذلك فهو
أعجب .

قال بعضهم : سمعت أبا بلال في جنازة وهو يقول :
ألا كل ميتة ظنون^(١) إلا ميتة الشَّعْجَاء . قالوا :
وماء ميتة الشَّعْجَاء ؟ قال : امرأة أخذها زياد فقطع
يديها ، ورجليها ، فقيل لها : كيف تريين يا شعجاء ؟
قالت : قد شغلني هول المطلع عن برّ حمله يديكم .
قال الحجاج لامرأة من الخوارج : اقترني شيئاً من
القرآن . فقالت : « إذا جاء نصر الله والفتح » ورأيت
الناس « يخرجون^(٢) » فقال : ويحك يدخلون .
قالت : قد دَخَلُوا ، وأنت تُخْرِجُهُم .

(١) كل ميتة ظنون والمراد كل ميتة تدل على ضعف الميت إلا
هذه المرأة الخارجية .

(٢) سورة النصر : ١ ، ٢ .

وقال الحجَّاجُ لِأُخْرَى : لَأَحْصِدَنَّكُمْ حَصْدًا .
قَالَتْ : أَنْتِ تَحْصِدُ ، وَاللَّهِ يَزْرَعُ ، فَاَنْظُرِي أَيْنَ
قُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ مِنْ قُدْرَةِ الْخَاقِ ؟

رَأَتْ أُخْرَى مِنْهُمْ رَجُلًا بَضًّا فَقَالَتْ إِنِّي لَأَرَى
وَجْهَهَا لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ وَضُوءُ السَّبَرَاتِ (١) .

كَانَ شَيْبُ بْنُ الْحَارِجِيِّ (٢) يُسَمَّى لَأْمَةً : فَيُقَالُ :
قُتِلَ : فَلَا تُصَدِّقْ ، إِلَى أَنْ قِيلَ لَهَا : غَرِقَ
فَوَلَّوْتِ ، وَصَدَّقَتْ : فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ . فَقَالَتْ
إِنِّي رَأَيْتُ حِينَ وَلَدْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَارٌ فَعِلِمْتُ
أَنَّهُ لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا الْمَاءُ .

وَقَفَّ رَجُلٌ عَلَى أَبِي يَتَهَسَّرَ وَقَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ : أَلَا أُعْطِيكَ خَتَايِمًا تَتَخَسَّمُ بِهِ ؟
فَقَالَ لَهُ أَبُو يَتَهَسَّرُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ مِنَ
الْعَرَبِ فَأَنْتَ مِنْ هَذِيلٍ ، وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الْعَجَمِ فَأَنْتَ
بَرْبَرِيٌّ . فَسَتَلَّ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ مِنْ هَذِيلٍ وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ .

(١) السبرات : جمع السبرة = بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .

(٢) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية .

أتى رجلٌ من الخوارج الحسنَ البصري ، فقال له : ما تقولُ في الخوارج قال : همُ أصحابُ دُنيا ، وقال : ومن أين قلتَ وأحدهمُ يمشي في الرميح حتى ينكسر فيه ، ويخرج من أهله وولده ؛ فقال الحسنُ : حدثني عن السلطان أيمتُك من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحجِّ والعُمرة ؟ قال : لا : قال : فأراهُ إنَّما منَعَكَ الدُّنيا فقاتلت .

نزل رجلٌ من الخوارج على أخٍ له منهم في استتارةٍ من الحجَّاجِ ، وأرادَ صاحبُ المنزل شُخوصاً إلى بلدٍ آخرَ لحاجةٍ له ، فقال لامرأته : يا زرقاء أو صيكنِ بضيتي هذا خيراً . وبعُدَ لوجهيه . فلما عادَ بعدَ شهرٍ قال لها : يا زرقاء . كيف رأيتِ ضيِّفَنا ؟ قالتُ ما أشغَلَه بالعمى عن كُلِّ شيء . وكان الضيفُ أطبقَ عينه فلم ينظرْ إلى المرأة والمنزلِ إلى أن عادَ زَوْجُها .

اجتمع ثلاثةٌ من الخوارج فعقد اثنانِ ليوَاحِدٍ ، وخرجوا يمشون خلفه يَلتمِسُون شيئاً يركبُه ،

فَجَعَلَ الْاِثْنَانِ يَتَلَاحيانَ (١) ، فَانْتَمَتَ لِيَهُمَا وَقَالَ :
مَا هَذِهِ الضَّوْضَاءُ الَّتِي اَسْمَعُهَا فِي عَسْكَرِي ؟؟

كَبَّرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَهَرَمَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوَضٌ ،
فَاَخَذَ مَنْزِلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَكُلَّمَا جَاءَ مَطَرٌ
وَابْتَلَّتْ الْأَرْضُ أَخَذَ زُجَاجًا ، وَكَسَرَهُ ، وَرَمَاهُ
فِي الطَّرِيقِ ، فَإِذَا مَرَّ إِنْسَانٌ وَعَقَرَ (٢) رِجْلَهُ الزُّجَاجَ
قَالَ الْخَوَارِجِيُّ مِمَّنْ وَرَاءَ الْبَابِ ، لَأَحْكُمَنَّ إِلَّا لِلَّهِ
ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْهُدِي .

فَقَبِي رَجُلٌ بَعْضَ الْخَوَارِجِ بِالْمَوْقِفِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ (٣)
فَقَالَ لَهُ : مَنْ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِمَّنْ أَصْحَابُكُمْ ؟
فَقَالَ : مَا حَجَّ غَيْرِي . فَقَالَ لَهُ : لَأَنْتُمْ بَاهِي اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ مَلَأَتْكُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِشَقٍّ مُحْمِلِهِ .

أَحْضَرَ الْحِجَّاجُ رَجُلًا مِمَّنْ الْخَوَارِجُ ، فَمَنْ عَلَيْهِ ،
وَأَطْلَقَهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، قَالُوا لَهُ : إِنَّ اللَّهَ

(١) يَتَلَاحيانَ : لَحَاهِ يَلْحَوهُ : شَتَاهُ .

(٢) عَقَرَ الزُّجَاجَ : أَيِ جَرَحَهُ ، وَالْعَقْرُ : الْجَرْحُ .

(٣) أَيِ يَوْمِ عَرَفَةَ آخِرِ النَّهَارِ ، وَهُوَ يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

مَخْلُصُكَ مِنْ يَدِهِ لِيَزِيدَكَ بَصِيرَةً فِي مَذْهَبِكَ ،
فَلَا تُقْصِرْ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ . فَقَالَ . هِيَهَاتَ . « غُلَّ
يَدَا مُطْلَقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتَبِقُهَا (١) » .

وَكَانَ الْمُسْتَوْرَدُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ شَدِيدَ الْجَهْدِ ،
وَلَهُ آدَابٌ مَحْفُوظَةٌ عَنْهُ .

كَانَ يَقُولُ : إِذَا أَفْضَيْتُ بِسَرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَنْشَاهُ
لَمْ أَلَمْهُ لِأَنِّي كُنْتُ أَوَّلِي بِحِفْظِهِ .

وَكَانَ يَقُولُ : لَا تَفْشِرْ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا . وَإِنْ كَانَ
لَكَ مَخْلُصًا إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوَرَةِ .

وَكَانَ يَقُولُ : كُنْ أَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ السِّرِّ صَاحِبِكَ
مِنْكَ عَلَى حَقِّكَ دَمَكَ .

وَكَانَ يَقُولُ : أَقَلُّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ عَائِبُ النَّاسِ
مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مُعِيبٌ .

وَكَانَ يَقُولُ : الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ فَاشْتَرِ بِهِ مِنَ الْحَمْدِ
مَا يَبْقَى عَلَيْكَ .

(١) غُلَّ يَدَا مُطْلَقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتَبِقُهَا ، غُلَّ يَدَا : أَيِ رَضَعَ
فِيهَا الْفُلَّ وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً : أَيِ مَلَكَهَا بِالرَّقِّ وَيَضْرِبُ لَهَا يَسْتَعِيدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ .

وكان يقول : بَدُلُ المالِ في حَقِّهِ استدعاءً للمزيد
من الجَواد .

وكان يُكثِرُ أنْ يَقُولَ : لو ملكت الدُّنْيَا
بِحَذَائِيرِهَا (١) . ثم دُعِيَ إلى أنْ أُسْتَقِيلَ (٢) بها
خطيئةٌ عليّ لَفَعَلْتُ .

ولَمَّا أَتَى عبيدُ اللَّهِ بن زياد بعروَةَ بنِ أَدِيَّةٍ — وكانَ
قد أُصِيبَ في سَرِيَّةٍ (٣) للعلاء بنِ سُويْدٍ في استتاره —
قال له عبيدُ اللَّهِ : جَهَّزْتَ أَخَاكَ عَلِيًّا : فقال : واللَّهِ
لقد كنتُ به ضَمِينًا وكانَ لي عِزًّا ، ولقد أردتُ له ما
أريده لنفسي ، فعَزَمَ عِزُّمًا فَمَضَى عليه ، وما أُحِبُّ
لنفسي إلَّاَ المَقَامَ وتركَ الخُروجَ . قال له : أَفَأَنْتَ عليّ
رأيه ؟ قال : كُنَّا نَعْبُدُ رَبًّا واحدًا . قال أَمَّا لَأَمْثَلَنَّ بِكَ .
قال فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مِنَ القَصَصَاتِ ما شِئْتُ . فأمَرَ به

(١) بِحَذَائِيرِهَا : جمع حَذْفُورٍ أو حَذْفَارٍ ، وهو أعلى الشَّيْءِ
وناحيته والمراد جميعها .

(٢) أُسْتَقِيلَ خطيئةٌ عليّ : أطلب الصَّنْعَ عن خطيئةٍ حميت عليّ .

(٣) السرية : القلعة من الجيش .

فَقَطَعُوا يَدَيْهِ وَرَجُلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ
أَفْسَدَتْ عَلَيَّ دُنْيَايَ وَأَفْسَدَتْ عَلَيْكَ آخِرَتُكَ .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق (١) كتبه إلى قَعْدَةِ
الْخَوَارِجِ : وَلَا تَطْمَسِنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَلَهَا غَرَارَةٌ ، مَكْنَارَةٌ ،
لَذَّتْهَا نَافِدَةٌ ، وَتَعِيمَهَا بَائِدٌ . حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا ،
وَأُظْهِرَتْ حَبِيرَةٌ ، وَأَضْمُرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ لِأَكْلِ
مِنْهَا أَكْلَةٌ تَسْرُهُ ، وَلَا شُرْبُهُ تُوْنِفُهُ إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةٌ
إِلَى أَجْلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةٌ مِنْ أَمَلِهِ . وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ
دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّالِمِ ،
فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَكِيمٌ بِهَا قَرَارًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ ، « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » (٢)
وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهَدَى .

وَلَمَّا حَارَبَهُمُ الْمُهَلَّبُ بِسَلْمَى ، وَسَلْيَرَى (٣) فَجُتِلَ

(١) نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة
الأزراق من الخوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلى وسليرى ، بكسر السين وتشديد اللام
فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور (١) اجتمعوا على الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه - ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيضٌ وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزيٌ ، وإن يُصَبَّ منكم أميرٌ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خالف . وقد أصبتم فيهم مسلم بن عبيس ، وربيعة الأجدم ، والحجاج بن باب ، وحارثة (٢) ابن بدر ، وأشجيتهم بالمهلب ، وقتلتم أخاه المكارك . والله يقول لأخوانكم من المؤمنين : « (إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) » (٣) فيوم سَلَّى كان لكم بلاءٌ وتمحيصاً ، ويوم سولاف (٤) كان لهم عقوبة ونكالاً . فلا تُغْلِبَنَّ عن الشكرِ

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماخور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثة بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعراً عالماً بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف - بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان .

في حينه . والصَّبْرُ في وقته . وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين .

ولما استردَّ مصعبُ المهلبَ من وجه الأزارقة ، وولاه الموصل (١) شاور الناسَ فيمن يستكفيه أمرُ الخوارج ، قال قومٌ ، ولَّ عبيدَ الله بنَ أبي بكرٍ . وقال قوم : ولَّ عمرَ (٢) بنَ عبيد الله بنِ معمرٍ . وقال قوم : ليس لهم إلا المهلبُ فأردده إليهم .

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ الْخَوَارِجِ قَالَ بَعْضُهُمْ : فَرَأَيْتَهُ يَحْدُثُ قَنَادِيلَ الْمَسْجِدِ بِالْحَصَى ، فَيَكْسِرُهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَنَا - كَمَا تَرَى - شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا أَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، أَغْرَمْتُهُمْ قَنَدِيلًا ، قَنَدِيلَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولده مصعب بن الزبير قتاله الخوارج بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مُختَصَرُ عمله الصَّاحِبُ رَحْمَةُ اللَّهِ وَسَمَاهُ
(الْكَشْفُ عَنْ مَنَاجِرِ أَصْنَافِ الْخَوَارِجِ)

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبي محمد ،
وآله أجمعين . سألت أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ
الخوارج ، وذرَّوْأ من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر
حفظي . على أنْ هذه الألقابُ تجمعُ أصولاً ، وفروعاً :
فربَّ طائفةٍ لحقَّها لقبٌ ثم تفرَّدَ من جملتها فريقٌ
فلحقَّهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين (١) -
صلواتُ الله عليه - وتكفيرُ عثمانَ ، وإنكارُ الحكَّامين (٢)
والبراءةُ منهما ، وممَّن حكَّمهما أو تولَّى أحداً من
صوبهما . وأولُ من حكَّم بصفَّين عُرْوَةُ بنُ حُدَيْرٍ :
أنحروا أبي بلال مرْدَاس ، وقيل عاصمُ المحاربي ، وأولُ
مَنْ تَشَرَّى (٣) رجلٌ من يشكُّرَ ، وكان أميرُهم - أولُ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الحكَّامان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقيت نفسها

الشراة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا — عبد الله بن الكوّاء ، وأمير قتالهم شيث
ابن ربيعي ، ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبي .

ذكر القاب فرقههم مع جُسل من مذاهبهم

الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق (١) ، ويروون
من القعدة .

النجدية : أصحاب نجدة (٢) بن عامر الأسدي .
تتولى أصحاب الكباثر من الخوارج إذ لم يُصيروا .
ومن أصر منهم فهو مشرك عندهم .

الإباضية : أصحاب عبد الله بن إياض التميمي .
فأما عبد الله بن يحيى الإباضي الملقب بطالب الحق
فهو منسوب إليهم . ومعه خرج أبو حمزة الخارجي .
الصفريّة : أصحاب زياد بن الأصفر . وقيل
أصحاب عبد الله الصفار .

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزارقة . وكانت
الخوارج قبله كل رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .
(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من
بكر بن رائل .

العطوية: أصحاب عطية بن الأسود الحنفي من
المكرين على نافع .

العجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد ،
وهم عطوية ، إلا أنهم يوجبون دعاء الأطفال عند
بلوغهم والبراءة منهم قبل ذلك .

الميمونية: ميمون هذا عبد لعبد الكريم بن
عجرد ، ويقول بالعدل ويرى قتل الشيطان خاصة ،
ومن رضي ظلمه . وأعانته دون سائر الناس
ويحكمي عنهم أن التزوج بينات الابن وبنات
البنات ، وبنات بنات الأخوات وبنات بني الإخوة
جائر ، وأن سورة يوسف ليست من القرآن ، وأكثر
من بسجستان ميمونية ، وعجاردة . وقيل ميمون
رجل من أهل بلخ .

الحافيتة: يقولون بالجبر (١) ، ويخالفون الميمونية
في العدل .

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس
له اختيار في أفعاله

الحمزِيَّة : أصحابُ حمزة بن أدرك . يقولون .
بِالْعَدَل . وله فارقُوا الخليفة .

الْحَازِمِيَّة : وهم الشيعة أصلُهم عجاردة ، وهم
أصحابُ شُعيب يقولون : إنَّ الولاية والعداوة صفتان
في ذات القديم . وهم مجبِرة .

المعلومية : مِن الْحَازِمِيَّة يقولون : مَنْ لم يَعْلَمْ
اللهَ بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارفٌ به .

المجهولية يقولون : مَنْ لم يعلم الله عز وجل بجميع
أسمائه فهو جاهلٌ به .

الصَّلْتِيَّة : عَجَارْدَة أصحابُ عثمان بن أبي
الصَّات : يقولون : إذا استجاب الرجلُ للإسلام
بريئنا من أطفالهم حتَّى يُدْرِكُوا .

التَّعَالِيَّة : عَجَارْدَة ، وصاحبُهم ثعلبة ، خالفَ عبد
الكریم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الْأَخْنَسِيَّة : أصحابُ ، الْأَخْنَس يَحْرَمُونَ الْهِنَات ،
والغيلة ويقفون عَمَّن في دار التَّقِيَّة حتَّى يهْرَفُوهُ .

العَبْدِيَّة : رَأَوْا أَخَذَ زَكَاةَ أَمْوَالِ عِبِيدِهِمْ إِذَا
اسْتَغْنَوْا ، وَإِعْطَاهُمْ إِذَا افْتَقَرُوا .

الشَّيْبَانِيَّةُ أَصْحَابُ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ .

الزِّيَادِيَّة : أَصْحَابُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الْعُشْرِيَّة : وَهُمْ الرَّشِيدِيَّة ، كَانُوا يَرُونَ فِي الْعُشْرِ
بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَخَالَفَتِ الزِّيَادِيَّةُ فِي
إِجَابَةِ الْعُشْرِ .

الْمَكْرُمِيَّة : أَصْحَابُ أَبِي مَكْرَمٍ . قَالَتْ : تَارَكَ
الصَّلَاةَ كَافِرٌ . وَمَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللَّهِ .
وَتَأَلَّتْ بِالْمُؤَافَاةِ .

* * *

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ

الغلط والتصحيح (١)

قال بعضهم : خَالِفَ تَدَكَّرٌ . فقليل له : إنما هو
تَدَكَّرَ فقال ؛ : هذا أول الخِلاف .

وقرأ بعضهم في كتاب : أن النبي عليه السلام بَلَغَ
قَدِيداً ، وإنما بَلَغَ قَدِيداً (٢) .

وقرأ آخر : أنه كان يُحِبُّ المَسْلَ يوم الجمعة ،
وإنما هو « الغُسْل » .

وقرأ آخر : أنه كان يكره النَّوْمَ في القِيدَر ، وإنما
هو الثُّوم .

(١) التصحيح لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن
بعض الباحثين يرى التصحيح خاصاً بالخطأ الناشئ عن نقط الحروف
زيادة أو نقصاً . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديماً أو
تأخيراً أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميل^(١) إلا بيئته .
ولأنما هو لا يُورث جميل^(٢) إلا بيئته .

وقال آخر : إذا أردت أن تُنعظ^(٣) فادخل
المقابر ، ولأنما هو تشعظ .

وقرأ رجل^٤ على ابن مجاهد : بل عجبنت ،
ويستجرون^(٤) . فقال : أحسنت ، مع العجن
يسجر التنور .

كتب صاحب الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبيد الله
بن ظاهر : إنه فلانا القائد يتبس خرنجية ، ويقعد
مع النساء فكتب إلى العامل : ابعث إلي بفلان وخرنجيته
فتصحف القارئ . وفراً : وجر لحيتته ، ففعل ذلك
به ، وأشخصه .

-
- (١) هو جميل بن ممر صاحب بيعة التي أغرم بها وشبب بها في
شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للفرل العذري العفيف .
(٢) الجميل : الذي يحمل من بلد صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .
(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في اجتنس الآخر .
(٤) سجر التنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجب
ويستخرون » .

وكان كافي الكفاة يكره أن يكون في مخاطبات
النساء حراستها ونظرها وعقلها ، ويقول : لا يؤمن
أن يصحف فيقرأ : حراستها ، وعقلها ، وبظنرها .

وكان حماد الراوية (١) لا يقرأ القرآن فاستقرىء
فيقرأ ، ولم يزل إلا في أربعة مواضع : عذابي
أصيب به من أساء . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا
موعدة وعادها أباه . ومن الشجر وما يخرسون . بل
الذين كفروا في غرة وشقاق (٢) .

وقد روي أنه صحف في ثيف وعشرين موضعاً
كلها متشابهة وأنا أذكرها جميعاً من بعد بإذن الله .

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن ساهر مولى
بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأسابها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أساء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة

التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر وما يخرسون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في غرة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كاتبُ المأمون على غلامه فرماه بالدَّوَاةِ ،
وشجَّه ، فلما رأى الدَّمَّ يسيلُ قال : صدَّقَ الله تعالى :
والذين « (إذا ما غضبوا هم يتغمضون) » (١) . فبلغ
ذلك المأمونَ . فأنَّبه . وقال : ويأذك ! أما تحسِنُ أن
تقرأ آيةَ من القرآن ؟ فقال : بلى . واللهِ إني لأقرأ
من سورة واحدة ألفَ آيةٍ (٢) .

قال بعضهم : قرأ عبدُ الله بنُ حنبلٍ في الصلاة :
أقرأ باسمِ ربِّك الذي خلُقَ (٣) .

ف قيل له : أنت وأبوك في طرفي نقيص . زعم
أبوك أن القرآنَ ليس بمخلوق ، وأنت قد جعلت ربَّ
القرآنِ مخلوقاً .

(١) صحة الآية « والذين يحبون كبار الإثم والفواحش وإذا
ما غضبوا هم ينفثون » سورة الشورى : ٢٧ .

(٢) وجه العجب في هذه الإجابة : أن القرآن ليس فيه سورة عدد
آياتها ألف آية .

(٣) صحة الآية « أقرأ باسم ربك الذي خلق » سورة العلق : ١ ببناء
خلق المعلوم .

وحكي أن المحامي^(١) المحدث قرأ : وفاكهة
وابناً^(٢) . فقيل له : الألف مفتوحة . فقال : هو في
كتابي محدود مضموط .

وحكي أن ابن حاتم قرأ : فصيام ثلاثة أيام في
الحج وتسعة إذا رجعتكم ، تلك عشرة كاماة^(٣) .

كان اسم أبي العتاهية^(٤) « زيد » فنقش على
خاتمه أيا زيد « ثق » فكان الناس يتنادون له :
أنا زيد .

قال بعضهم : سمعت ابن شاهين المحدث في
جامع المنصور يقول في الحديث : نهي النبي عليه السلام

(١) هو القاضي أبو عبيد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من
الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والعتق والعتق . توفي ببغداد
سنة ٨٣٣٠ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عيس : ٣١ .

والآب : الكل أو المرعى أو ما أنبت الأرض والمضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتكم »
سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد
بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٨٢١١ .

عن شقيق الخطب . فقال بعض الملاحين : يا قوم .
فكيف نعمل والحاجة ماسة ؟ وهو شقيق الخطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسرُ قوله تعالى :
« (وَيَا بَاكَ فَطَهِّرْ) » فقال : قيل لا تلبسها على غاسرة .
وهو لا تلبسها على عذرة (١) .

وكان كيسانٌ مستتبلي ابن الأنباري ، وكان
أعمى القلب ، فسُمع ابنُ الأنباري وهو يقول :
كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غيرَ ما يسمعُ
ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرؤه .

وحكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الحزف ،
ويجمعه في حُبٍّ ، فاشترى راويةً ماءٍ فغلطَ السَّقَاءُ
بينَ حُبِّ الماءِ وحُبِّ الحزفِ ، فصبَّ الماءَ في حُبِّ
العِلْمِ فرأينا كيسانَ وقد وضعَ يدهَ على رأسِهِ ، وذهب
علمه كلُّهُ .

(١) عذرة : العذرة : الفاظ وافظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمت امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أبا غنفر
حقّ نصيبُ الله لك (١) . فقال : مالك : أغفرتِ ؟
قالت : صلّعتُ فرقتك .

وروى أبو ربيعة المحدثُ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ
كان يغسِلُ حصى الحمار . قيل : ولم ذاك يا أبا
ربيعة ؟ قال : كان يُظْهِرُ قواضيه بذلك . والخبر أنَّه
« كان يغسِلُ حصى الحمار (٢) » .

قال بعضُ المحدثين : حدّثني فلانٌ عن فلانٍ عن
سبعة وسبعين ، يريد عن شعبة وسفيان .

كان « يزُدّا نفا دار » فيه لُكْنَةٌ ، وكان يجعلُ
الحاء هاءً ، أمّئى على كاتبٍ له : والهاصلُ « أَلْفُ كُرٍّ » .
فكتبها الكاتب بالهاء . كما لفظَها ، فأعادَ عليه الكلام ،
فأعادَ عليه الكاتب الكتاب ، فلما فطن لاجتماعهما على

(١) صيغة البشارة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الحمار : الحصيات التي يحفظها الحاج في منى يرمي بها
الحمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تهسين تكتب . وأنا لا أهسين
أعني . فاكْتُبْ : الجاصل ألف كر فكتبها بالجيم معجمة .

قالت أم ولد لحرير لبعض ولدها : وقع الجرذان
في عجان أمكم . أبدلت الذال دالاً وضعت الجيم ،
وجعلت المعجيين عجاناً . وإنما أرادت وقع الجرذان في
عجان أمكم .

وروى آخر : عم الرجل ضيق أبيه (١) . وإنما
هو صنو .

وروى آخر : لعين اليهود ، حرمت عليهم الشحوم
فحملوها . وإنما هو فجعلوها (٢) ، أي أذابوها .

وروى بعضهم : أن الحارث (٣) بن كلفة كان
يقول الشمس تُثْقِلُ الريح ، وإنما هو تَنْثِقِلُ الريح (٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جبل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كلفة من أحلق ألباء الجاهلية وهو من بني ثقيف
من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد
أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد
توفي سنة ٨١٣ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال ثفل يثفل - كفرح يفرح - بمعنى تغير
والمعنى هنا تغير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : مكان يجلسُ في مَقْشَاةٍ . وإنما هو في
مَقْنَاةٍ (١) .

ورَوَوْا : أنه نُهيَ عن لبسِ القَسِيِّ وإنما هو
القَسِيّ (٢) لضربٍ من الثياب .

ورَوَوْا : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى يده سَخْلَةٌ (٣) تبعر . وإنما هو تبعرٌ من اليعنار .
وهو صوثها .

قال بعضهم : قال الرياشي (٤) لي يوماً — وقد
جئتُ من مجلس ابن أبي الشَّوَّارِب : أرني ما أملي
عليكم ، فأريته ، فمرَّ به هذا الحديث : آخر ما
يجازفُ به المؤمن عَرَقُ جَبِينِهِ .

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد غيب عنه الشمس .

(٢) نهى عن لبس القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم
الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللخوي .

فقال الرياشي : ما أخرج هؤلاء إلى بعض عيائنا إنما
إنما هو يُحارفُ ، والحريفُ : الشريكُ ، يقالُ :
فلان حريفُ فلان ، أي شريكه ومُحاسبه .

وقال بعضهم : حضرتُ رجلاً من الكُبراء ، وقد
قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكرُ نعمتي
عليك وعلى والديك (١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً (٢) .

وقال آخر : فكذبوهما فتغادونا بثالث (٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله
على المدينة : اُحصِ المَخْنَثِينَ . يريدُ : عُدَّتَهُم .
فقرأ الكاتب : اُحصِ ، فَخَصَّاهُمْ .

ومِمَّنْ أُنْجِلَتْ التَّصْحِيفُ في مجالس الخلفاء
أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنه حضرَ مجلسه

(١) صَحَّةُ الْآيَةِ : « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ
رَبِّ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صَحَّةُ الْآيَةِ « وَالْعَادِيَّاتُ صُبْحًا » سورة العاديات : ١ .

(٣) صَحَّةُ الْآيَةِ « فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّنَا بِثَالِثٍ » سورة يس : ١٤ .

للغظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فتهما ، فمرت به
قصة "مكتوب" عليها : فلان البريدي (١) ، فقرأها :
الشريدي فقال المأمون أبو العباس جاثع . هاتوا له ثريدة .
فقدمت إليه ، وأكرهه على أكلها ، وغسل يده ،
وعاد إلى أن تصفح القصص ، فمرت به قصة "مكتوب"
عليها : فلان الحمصي (٢) فقرأها : الخبيصي . فقال
المأمون : كان غداة أبي العباس غير كاف ، لا بد
للثريدة من أن تتبع بخبيصة (٣) ، فقدمت إليه ، وأكلها .

* * *

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماءِ مِنَ التَّصْحِيفِ

قالَ كَيْسَانُ : سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يَنْشُدُ (١) :

مَازَالَ يَضْرِبُنِي حَتَّى خَزَيْتُ لَهُ

وَمَحَالَ مِنْ دُونِ بَعْضِ الْبَغْيَةِ الشَّقِيقُ (٢)

قالَ : فَقُلْتُ خَزَيْتُ خَزَيْتَ ؟ ؟ ، وَضَحَكَتُ ،

فَغَضِبَ وَقَالَ : فَكَيْفَ هُوَ ؟ قُلْتُ : لِئَنَّمَا هُوَ خَلَدَيْتُ .

قالَ : فَانْخَزَلْ ، وَمَا أَحَارَ جَوَاباً .

وَرَوَى أَيْضاً أَبُو عُبَيْدَةَ آيَاتَ لَقِيطِ (٣) فِي يَوْمِ جَبَلَةِ

(١) هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التِّيمِيُّ مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَلَدَ

سَنَةَ ٨١٠ هـ وَدُرِجُ أَجْمَعَ سَائِرَ الرِّوَاةِ لِعُلُومِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ ،
وَلَهُ مَوْلاَفَاتٌ كَثِيرَةٌ .

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي شَجَرَةَ . وَالتَّصْحِيفُ فِي خَزَيْتُ . وَالرِّوَايَةُ : خَلَدَيْتُ

بِمَعْنَى نَغَضَعْتُ .

(٣) لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنْ أَشْرَافِ تَيْمٍ وَفَرَسَانِهَا وَقَدْ قُتِلَ فِي يَوْمِ جَبَلَةِ

بَعْدَ أَنْ تَمَّ النَّصْرُ فِيهِ لِعَبْسٍ وَعَامَرَ عَلَى تَيْمٍ وَغَطَفَانَ .

يا قَوْمٌ قَدْ حَرَقْتُمُونِي بِاللَّوْمِ
 وَلَمْ أَقَاتِلْ عَامِرًا قَبْلَ الْيَوْمِ
 سَيِّئَانِ هَذَا وَالْعَيْنَاقُ وَالنَّوْمُ
 وَالْمَشْرَبُ الْبَارِدُ فِي ظِلِّ الدَّوْمِ
 وَقَالَ يَعْنِي فِي ظِلِّ النَّخْلِ الْمَقْلُ (١) : فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
 قَدْ أَحَالَ ابْنُ الْحَائِلِكِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِنَجْدٍ دَوْمٌ . وَجِبَلَةٌ
 بِنَجْدٍ ؛ وَلِإِقْتِمَا الرِّوَايَةِ فِي الظِّلِّ الدَّوْمُ ، أَيِ الدَّائِمِ .
 وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ بَيْتَ أَوْسٍ بْنِ حَجَرٍ (٢)
 أَجْوَنُ تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقَيْرَى لَهَا
 وَأَكْبَرُ ظَنِي أَنَّ جَوْنًا سَيَفْعَلُ
 فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : صَحَّفَ الدَّعِي ؛ لِأَنَّهُمَا هُوَ
 تَدَارَكَ نَاقَتِي بِقَيْرَابِهَا . أَيِ مَا دُمْتُ أَطْمَعُ فِيهَا . وَفِي
 مَثَلٍ لِلْعَرَبِ : « الْفِرَارُ بِقَيْرَابِ أَكَيْسٍ » (٣) .

(١) المقل : تمر الدوم .

(٢) أوس بن حجر ، من نُمير أحد بطون تميم من فحول الشعراء
 الجاهليين .

(٣) المثل لجابر بن عمر المازني . ومعنى القواب : الغند .

وروي بيت الحارث بن حلزة (١) .

عَمَّتْ بِاطْلَاً وَظُلُمًا كَمَا تُعَمُّ

ز عن حَجْرَةِ الرَّبِيعِ الطُّبَاءُ

وقال : العترة : الحربة يُنْحَر بها . فردَّ عليه أبو

عمرو وقال : إنما هو تُعْتَمَر ، من العتيرة وهي ذبيحة

الصَّئِم (٢) .

وروي بيت الخطيئة :

وَعَرَّرْتَنِي وَرَعَمْتَ أَذَى لَكَ لَا تَنِي بِالضَّيْفِ تَأْمُرُ

وقال أبو عمرو : إذا صَحَّفْتُمْ فَصَحَّفُوا مِثْلَ

تصحيفه وإِنَّمَا هو لَا بِنَ بِالضَّيْفِ تَأْمُرُ .

وروي بيت عنبرة (٣) :

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقة التي أولها :

أَدْنَتْهَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيلٍ مِنْهُ الْهَوَاءُ

(٢) ومعنى البيت : إِنَّكُمْ تَأْخُذُونَنَا بِدَقِّ غَيْرِ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا

وَجِبَ عَلَيْهَا نَذْرٌ فِي شَأْنِهَا ذَبَحَتْ الطَّبْعَ مَكَانَهُ ، فَتَظْلِمُهَا بِذَلِكَ . وَالتَّصْحِيفُ

ظَاهِرٌ بَيْنَ تَعْتَمَرٍ وَتَعَارٍ .

(٣) هو عنبرة بن شداد البهسي نسبة إلى عيس من تيس وهو من أشهر

الفرسان الشجعان .

وَأَخَرُ مِنْهُمْ أَجْرَرْتُ رُمُحِي
وَفِي الْبَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيمُ

فقال كيسانُ له : إنما هو في البجلي - بإسكان
الجيم - منسوبٌ إلى بجملة بطن من بني سُلَيْم
وروي لذي الرمة (١) :

عَيْنٌ مَطْحَلَةٌ الْأَرْجَاءُ طَامِيَةٌ
فِيهَا الضَّفَادِعُ وَالْحَيْتَانُ تَصْطَخِبُ
فَقِيلَ : هُوَ يَصْطَخِبُ ، لِأَنَّ الْحَيْتَانَ لَا تَصْطَخِبُ ،
وَلَا صَوْتَ لَهَا .
وروي لرؤية :

« شَمَطَاءُ تَنْبُو الْغَيْظُ حِينَ تَرَأَمُ »

فَقِيلَ : إِنَّمَا هُوَ تَنْبُو : أَيِ تَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَوِّ (٢)

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عتبة بن أبيس من مضر ويعد من الشعراء
المتيمين وصاحبه مية بنت مقاتل الملقبة .

(٢) البو ولد أناقة ، ووجد أسوار يحشى ثبنا أو تماما فيقرب من أم
المعيل فتعطف عليه وتدر .

رَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ بَيْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ (١)
تَأْوِبِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَسَا
أَحَافِرُ أَنْ يَشْتَدَّ دَائِي فَأَنْكَسَا

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا تَصْغِيرٌ لِأَنَّ الْمَتَأَوِّبَ لَا يَكُونُ
مَعْلَسًا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّ غَلَسَ : أَتَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ ،
وَتَأَوَّبَ جَاءَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْلَسًا ، أَيِ اشْتَدَّ
وَبَرَحَ .

وَرَوَى الْمُفْضَلُ لِلْمَخْبِيلِ (٢) :
وَإِذَا أَلَمَتْ خَيَالُهَا طَرَفَتْ
عَيْنِي فَمَاءَ شُؤْنِهَا سَجَمُ

(٣) وَامْرَأُ الْقَيْسِ أَشْهُرُ شِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ تَوَفَّى بِالْجَدْرِ سَنَةَ ٥٤٠ هـ
قَبِيلَ مِثْدَدِ الرُّسُولِ .

(٣) الْمُفْضَلُ الْعَبْدِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَعْلَى بْنِ عَامِرٍ بْنِ سَالِمِ الضُّبَيْيِّ ، أَبُو
الْعَبَّاسِ أَدِيبٌ نَعْرِيٌّ لَعُيُوبٍ عَالِمٌ بِالشُّعْرَاءِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
لَزِمَ الْمُهَدِّيَّ الْعَبَّاسِيَّ وَعَمِلَ لَهُ الْأَشْعَارَ الْمُخْتَرَةَ الْمُسَمَّاةَ (الْمُفْضَلِيَّاتُ) وَتَعَدَّ
وُلِدَ سَنَةَ ٥١٦ هـ .

فقال له خائفٌ (١) : إنما هو طُرْفَتُ عَيْنِي .
فرجع عنه .

• • •

(٤) خلف الأحمر : هو خلف بن حيان وقد أخذ الأصمعي وسائر
أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتمييز أصحابها .

هذه حروفٌ وكلماتٌ من المُصَحَّفِ
الذي يستعملهُ الناسُ عَمْدًا لا سهواً

كتب أبو تمام (١) الطَّنَّانِي رُقْعَةً إلى محمد بن عبد الملك
ابن صالح يسأله فيها مُحالاً ، وكتب على عُنوانها
« حبيب »

فأخذه محمد وتقطعه « خبيث » .

ورفع آخر رُقْعَةً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) ،
وعليها « حريثُ بنُ الفارس » وكان اسمَ الرجل ، فجعلته
محمد « خربتُ في الفرائس » وكتب تحته : « بئسما
فعلت » .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطناني ، ولد بمنبج في بلاد الشام
وجاء مصر صغيراً فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان
مُطناً فهدم بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب
بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بالجوارق سنة ٢٢٣ هـ .

وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَقَالَ : أَعْتَمِرُ .
أَخْرَجُ . أَبَادِرُ . فَقَالَ الْحَسَنُ : كَلِّبُوا عَلَيْهِ ؛ مَا كَانَ
ذَلِكَ . يَرِيدُ السَّائِلُ : أَعْتَمِدَانُ أَخْرَجَ أَبَا ذَرٍّ ؟

وَمِنْ تَصَحُّيفِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ : مَتَدَلِّمِل . يَرِيدُ :
مَنْ مَلَّ مِلَّ مِلَّ .

وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا لَطَبِيَّانٍ لَهُ فَارَسِي : حَاسِبَتْ
رَشِيد . فَقَالَ : زِنْ نَبِيْدَ .

أَرَادَ الْمُعْتَصِمُ : جَاءَ شَتَّتِ رَسِيدَ ، أَيِ أَدْرَكَ غِلْدَاؤَكَ .
وَقَالَ الْآخَرُ : رَسِيدَ . أَيِ أَدْرَكَ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ يَوْمًا لِيَحْيَى بْنِ مَاسُوِيَّةَ : بَعَثْ بَيْتِي
بِقَصْرَيْنِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : أَخْضِرْ الْغِلْدَاءَ . أَرَادَ الْمُتَوَكِّلُ :
تَعَشَّيْتُ فُضْرَتِي . فَأَجَابَهُ ابْنُ مَاسُوِيَّةَ بِالْعَلَّاجِ .

» « «

ومن هذا الجنس

حروف وكلمات من المصحف عمداً لا سهواً

الحنصر : الحب ضر . متى ألج بيت هند ؟ :
ميت الحب شهيد . نرجس طري : برح بي نظري .
بطرف تستري : تم طرقي بسري . طست حسن :
طبيبي : حبيبي . القبعثري وحائس (١) : ألفت
غثري وخائتي . فنت بتكفيلي : في عينك قتلي .
وحمره حدك بشأني : حمر حدك سباني . خشخاش (٢) :
حبيب خائتي . ميمشة ثقيلة : من ينم يسميه
بقيلة . صيدية حسنة : صب نبيه حبيبه . معبرة آبتوس :
محب زها ييوس .

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفيل
المهزول ، والحلبس ، يوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .
(٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وعشره يفيد في قطع الإسهال .

كلني بيمينك فبعثني بحبشين : كلُّ شيء منك في
عَيْثِي حَسَنٌ . لبأُ سرجُ مُضِيرِي : ليس ترحم ضُرِّي .
مَسْعُودٌ : متى تعود ؟ . الثَّوْبُ يمانِي بثوب : الثَّوْتُ
ثم استوت . سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ (١) : نَبَّتٌ عند فرجس .
فَرُوجٌ مُسَمَّنٌ بِعَبَّة : تَوْدُ جَمَشْ (٢) مَزْ تُجبه .
تحت الفيل مِرْوَحَةٌ خَيْشٌ : تَحْبُ الْقُبُلِ مِنْ وَجْهِ
حَسَن . حَيْشُ بْنُ حَنِينٍ : حَبِيبِي بَتَّ بَخِير . سَكْبَاجُ (٣) :
ثِيَابُ (٤) بِسَاح . كَشْكِيَّةٌ : كُنْتُ نَكْتة . قَلَنْشُوءة
خَضْرَاءُ : قَلْبِي يَتَوَهَّجُ ضُرًّا . لَمَازِحُ مَقَالٌ يَتَغَمُّ : لَمَّا
رَحِمَ قَالَ : نَعَمْ .

* * *

-
- (١) سعيد بن جبير : كان كاتباً ووزيراً لأبي بردة بن أبي موسى
الأشعري بأمر الحجاج الثقفي .
(٢) الجمش : المغازلة .
(٣) السكياج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا)
بالفارسية ،
(٤) الثني : الطاقة والقوة ، وباح : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

الباب الثالث عشر

نوادِرُ من النحو واللحن (١)

سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قرأ ،
فلحنَ . فقال : أرشدوا أخطاكم .

قال الأَصمعيُّ : قلتُ لأبي سَهْدِيَّةَ (٢) : كيف
تقولُ : لا طيبَ إلا المسكُ ؟ قال : فأينَ أنتَ عن العنبرِ ؟
قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلا المسكُ والعنبرُ . فقال : أينَ أنتَ
عن البانِ ؟ قلتُ : قلْ لا طيبَ إلا المسكُ والعنبرُ
والبانُ . قال : فأينَ أنتَ عن أدْهانِ (٣) محمَرٍ
قال قلتُ : فقلْ لا طيبَ إلا المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانُ
محمَرٍ . قال : فأينَ أنتَ عن فارةِ (٤) الإبلِ صادرةٍ ؟

-
- (١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى
في حلته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصنعة ، ولا متكلفة ،
كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس ، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .
(٢) أبو سَهْدِيَّة : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .
(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .
(٤) الفارة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عميل بعض النحويين كتاباً في التصغير ، وأهداه
لرئيس كان يختلف إليه ، فنقص عطيقته ، فصنف
كتاباً في العطف ، وأهداه إليه ، وكتب معه : رأيت
باب التصغير قد صغرت في عند الوزير ، وأرجو أن يعطيه
علي باب العطف .

سمعتُ الصاحب - رحمه الله - يقول : كان سببُ
انصال ابن قريعة (١) القاضي بالوزير أبي محمد المهلب
أذ ابن قريعة كان تيسم رحي له ، فرفع إليه حساباً ،
فيه درهمان ودنانقان ، وحبّتان ، فدعاه ، وأنكر عليه
الإعراب في الحساب .

فقال : أيّها الوزير ، صار لي مايبعا ، فليست أستطيع
له دفعاً . فقال : أنا أزيله عنك صفعاً ٥ ثم استدناه
بعد ذلك ، وقربته .

قال نحري لرجل : هل ينصرف إسماعيل ؟ قال :
نعم . إذا صائى العشاء فما قُعوده ؟

(١) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة ، قاض ، من أهل بغداد .

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر (١)
اختلفوا في بناء سَراويل ، فدخل البرقي وقال : فيم
كنتم ؟ قالوا : في بناء سَراويل . فما عندك فيه ؟
قال : مثل ذراع البكر أو أشد .

قال النوشجان (٢) : حضرت مجلس المبرد ،
فسمينا واحداً يقول : في حرام أصبهان .

فقال أبو العباس : هذا قد شتمك على مذهب قول
الله تعالى : « واسأل القرية » (٣) .

سمع ذو الرمة رجلاً يقول : على فلان لعنة الله .
فقال : لم يرض بواحدة حتى شفعتها بأخرى . وذلك
أنه لما سمعه مفتوحاً قادراً أنه أراد التثنية : لعنتا الله .

قيل لرجل كان يكثر اللحن في كلامه : لو
كنت إذا شككت في إعراب حرف تخلصت منه إلى

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسأل القرية : أي أهل القرية .

غيره . من غير أن تُزيل المعنى عن جهته . كان الكلامُ واسعاً عليك . فلتقي رجلاً كان مشهوراً بالأدب . فأراد أن يسأله عن أخيه ، وخشي أن يألحن في مخاطبته ، فذهب إلى أن يتخلّص عند نفسه إلى الصواب . فقال : أخوك ، أخيك ، أخاك ههنا ؟ فقال له الرجل : لا ، لئو ، لي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذنجان ، فقال له : كيف تبیع ؟ قال : عشرين بدائق . قال : ماعليك أن تقول : عشرون بدائق ! ! فقدّر أنّه يستريدُه . فقال : ثلاثين بدائق . فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون ؟ فما زال على ذلك إلى أن بلغ تسعين . فقال : وما عليك أن تقول : تسعون ؟ فقال : أراك تَدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصاب — وهو يسْلُخُ شاةً — فقال : كيف المستطرقُ (١) إلى درب الرّسّين ؟ فقال القصابُ : اصبر قليلاً حتى يخرج الكرّشُ ، وأدلك على الطريق .

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والوآسون القصابون الذين يحمون لحم الرأس .

وقدّم نحوي نخصماً له إلى القاضي ، وقال له :
لي عليك مائتان وخمسون درهماً .

فقال لخصمه : ماتقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ،
الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة . وإنما ترك
منها خمسين ليُعلم القاضي أنه نحوي .

قدم رجلٌ على بعض الولاة ، فقال له : من أين
أقبلت ؟ قال : من أرض الله . قال : وأين تريد ؟ قال :
بيت الله . قال : ومِمَّن أنت لا أمّ لك ؟ قال : من
« نيم » الله . فأمر بوجعي عنقه . فقال : بسم الله .
فقال : اتركوا ابن الخبيثة . فاو ترك الرفع وقتاً تركه
الساعة .

قال أبو العيَّان : دخل رجلٌ إلى عليل : فقال له :
لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحبُّ
إلى سيّويه (١) . فقال أبو العليل : محرمني الله أجبره إن
لم يكن مشهدك له أشدّ عليّ من موته .

(١) سيّويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ
بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وآلف كتابه الذي
لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » طمأ عليه .
وقد توفي سيّويه سنة ١٨٣ هـ .

قال رجل "لآخر" : تأمر "بشيئا" ؟ قال : بتموى الله ،
وإسقاط الألف .

قال حَكْفٌ : قلت لأعرابي : أنقِصْ عليك شيئاً ؟
قال : على نفسك فأنقصه .

قال رجلٌ من البجليين لأعرابي — وأراد مسألتَه
عن أهله — كيف «أهلك» ؟ .

قال بكسر اللام فقال الأعرابي : صلباً (١) . لأنه
أجابته على فهميه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .
سُئِلَ نحويٌّ عن تصغير عبِيد الله . فقال : ليس
في سَجْدَتِهِ، السَّهْوُ سَهْوٌ (٢) .

وذُكِرَ أن معاوية قال : كيف أبو زياد ؟ فقالوا :
ظريفٌ على أنه يلحن .

فقال : أو ليس ذاك أطرب أم ؟ أرادوا اللحن الذي
هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفِطْنَةُ .

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه
على جلع .

(٢) يريد أن المصنر لا يصنر ، كما أن الساهي عن سجدته السهو
لا يسجد السهو .

قالوا : كان سبب عمل أبي الأسود الدؤلي (١) النُّحُو وهو أول من وضعه ، وقيل إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام - جعل له مثيلاً فبنى عليه واحْتِذَاه - أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : « إن الله بريء من المشركين ورسوله (٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ما أطيب الرُّطَب ؟ وهي تُريد التَّعَجُّب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعسل شيئاً من النُّحُو ، وعرضه على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ما أحسن هذا النُّحُو الذي أخذت فيه . فسُمِّي نَحْوًا .

مرَّ الشعبي بناس من الموالي يتذاكرون النُّحُو ، فقال : لئن أصلحتموه إنَّكم لأوَّل من أفسده .

وروي أن الحجاج قرأ : إنا من المجرمون (٣) مُتَّقِمُونَ .

(١) أبو الأسود الدؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يدر بن حلس ... وهو من وجوه التابعين وفقائهم وعلمائهم . وهو الأصل في وضع علم النُّحُو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلاً من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الآية « إنا من المجرمين منتقمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمد بن سليمان يقول في خطبته : إن
الله وملائكته (١) يرفع الملائكة . فقل له في ذلك .
قال : فخرجوا لها وجها ، ولم يدع الرفع .

• • •

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» يفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوَادِرُ الْمُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضهم : شهدتُ مجتاساً فيه قيمةٌ تغني ، فذهبتُ
تَنَكَّلُفُ صبيحةً شديدةً فانتقطعتُ . فصاحتُ من الحُجَل :
للصوصِ - اللصوصِ . فقال لها مُخَنَّثٌ كان في المجلس :
والله يا زانيةُ ما سُرِقَ من أبيتِ شيءٌ غيرُ حَلَقِكَ .

استوهب رجلٌ من مخنث في الحَدَّامِ خِطْمِيًّا (٢) ،
فمنعته . فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ ! ! تمنعني الخِطْمِيَّ وقَفِيرُ
منه بدرهم ؟ ؟ فقال المخنثُ : فاحسبُ حسابك أنت
على أربعة أقمرة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟
قال المتوكل لِعِبَادَةِ : ما تقول في تَطْبِيلِ سَمَانٍ
المخنث ؟ قال : هو حسنٌ ، ولكنَّهُ مثلُ الهَيْضَةِ (٣)
يَأْنِي بِأَكْثَرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ .

(١) المخنثون : هم الذين يشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم
و يلبنون في أحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .
(٢) الخِطْمِيَّ - بفتح الخاء وكسر الجيم - ضرب من النبال يمس به .
(٣) الهَيْضَةُ : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعَا أبي أربعةَ أنفُسٍ ،
وأنفقَ عليهم أربعَ مائة دينار ، فقال : يا ابنَ البغيضةِ
لعلَّه ذبَحَ لهم مُغَنِّيَيْن ، وزامرةً ، وإلاَّ فأربعَ مائة
في « أيش » أنفقَها ؟

قال شيخُ لقرقر المخذل : أبُو مَنْ أنت ؟ قال :
أمُ أحمد . فديتُك ! !

تاب مخذلٌ ، فلقبه مخذلٌ آخرٌ ، فقال : يا أبا
فلان : أيش حالك ؟ قال : قد تُبت .

قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتُ لي فضيلةٌ
من الكسب القديم فأنا أتمزُّزُ لها (١) .

قال : إذا كانت نفقتُك من ذلك الكسب فلامحُ
الخنزير طرى خيرٌ من قديد .

رأى عبادةً دابةً مُخَارِقٍ — وهي تُقرمط مشيهاً (٢) —
فقال : يا مخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء .

(١) أتمزز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزز : تمصص الشراب
فليلاً قليلاً .

(٢) دابة تُقرمط مشيها : الترمطة : مقاربة الخطو ، ومعنى تُقرمط
مشيها : تقارب في خطوها ، وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّمَ إلى عُبَادَةٍ رَغِيفٌ يَابِسٌ ، فَقَالَ : هَذَا نُسِيجٌ
فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْكُنْ بِلَا طَرَاذَ .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى مَسْجِدٍ صَغِيرٍ لَطِيفٍ ، فَقَالَ لِآخِرِ :
أَمَا تُرِيدُ هَذَا الْمَسْجِدَ ؟ مَا أَمْلَحَهُ ، لَا يَصْلُحُ وَاللَّهِ إِلَّا
أَنْ يُحْمَلَ فِي السَّفَرِ .

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
يَسْمُوشِي وَهُوَ يَتَبَخَّرُ ، فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى مَشِيَةِ مَنْ
خَدَعَ أَبَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

تَقْرَى (١) مَخْنَثٌ فَاتَى جَبَلَ (٢) لُكَّامَ عَلَى أَنْ
يَتَعَبَّدَ فِيهِ ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعِيدَهُ ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ ،
فَنَفَذَ زَادَهُ وَجَلَسَ قَدْ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْجَبَلِ مَسَافَةٌ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلَ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ
أَكْثَرَهُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ : وَاشْمَاتَنِي بَلْكَ فِي يَوْمٍ
أَوَاكَ كَالْعِيْهَنِّ الْمُنْفُوشِ .

جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَجْلَسٍ — وَمَعَهُمْ مَخْنَثٌ — وَقَالَ

(١) تَقْرَى : تَتَّبِعُ .

(٢) جَبَلُ لُكَّامَ — بَضْمُ أَوَّلِهِ : جَبَلٌ بِالشَّامِ .

رجل منهم : أنا أشتهي كشكيةً حامضةً ، وضرطاً .
فقال المخنث : قطع الله ظهر الكشكية : ما أسرع
ما تفسخ البطن !!

لقي مخنث آخر ليودعه ، فقال : أحمدُ الله على
بعد سفرِكَ ، وانقطاعِ أشرك ، وشدة ضررك .
فقال له : أنا أستودعك العمى . والضنى ، وانقطاع
الرزق من السماء .

وقال مخنثٌ لآخر : أراي الله في وجهك السَّاطور ،
وفي عينيك الكافور ، وفي شقِّ استك الناسور (١) .

قال علانٌ شديقٌ - وكان قبيحاً جداً - مررتُ
بمخنث يعزل على حائط ، فقال لي : من أين أتيت ؟
قلت : من المصرة . فقال : لا إله إلا الله !! تغير
كل شيء حتى هذا !! كانت القُرود تُجلب من
اليمن . الآن تجيء من العراق .

وحجَّ مخنثٌ فرأى إنساناً قبيحاً يرمي بالجمار ،
فقال له المخنث : بأبي أنت ربيستُ أشير عليك أن

(١) والناسور بوزن معروف .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولم ؟ أَلستُ مسلماً ؟
قال : بلى ، ولكنْ لا أرى لك أن تبْخل على أهل النار
بهذا الوجهِ .

نظرَ مُخَنَّثٌ إلى رجلٍ قصيرٍ على حِمَارٍ صغيرٍ ،
فقال : هُما توأمان .

وقال بعضُ المخَنَّثين : كان لي أستاذٌ مخَنَّثٌ
يقالُ له زائدةٌ ، فمات . فرأيتُهُ في النَّومِ فقالتُ له : ما فعل
اللهُ ربُّكَ بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فَمَنْ تورُّك (١) فيها ؟

قال : هيهات !! انقلبتُ المسألةُ أفًا « تورُّ » فيرعون .
ركبَ المتوكِّلُ يوماً زَلالاً (٢) ومعه جماعةٌ .
فعصفتِ الرِّيحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ
المؤمنين . أما كُنيزُ (٣) دُبَّةٌ فإنه لا يخافُ الغرقَ . فقال
المتوكِّلُ : وكيفَ ذلك ؟

(١) التور : من معاتيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كنيز : مغل مشهور في عصر المتوكل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كثيرٌ مخنثاً آدر (١)
كان بعضٌ ولد الفضل بن الربيع يتخنثُ ، فوكل
به أبوه غلاماً يمنعُه من نتف لحيته ، فبات ليلة .
فلما أصبح رآه منتوف اللحية ، فقال : أهلكني - والله -
أيئن لحيتك ؟ قال .. « (فطاف عليها طائفٌ من رَّبِّكَ
وهم نائمون . فأصبحت كالصريم) » (٢) .

أدخل مخنثٌ على العريان بن الهيثم - وهو أميرُ
الكوفة - فقالوا : إنه يفعلُ ويصنعُ . فقال له العريان :
يا عدو الله . لم تفعل هذا ؟ قال : كذبوا علي -
أيها الأمير - كما كذبوا عليك . فغضب العريان ،
وامستوى جالساً ، وقال : وما قيلَ لي ؟ قال : يُسمُّونك
العريانَ وعليك عِشرون قطعة ثياب . فضحك . ونخلده .
قال هيت (٣) المخنثُ لعمَرَ بن أم سلمة : إن
فتح الله عليكم الطائف (٤) فسل رسول الله صلى

(١) وكان آدر : الأدر : من يصيبه نق في إحدى خصيه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيت المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ، وجوها جميل وبها بعض البساتين .

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَهَبَ لَكَ بَادِنَةَ بِنْتِ خَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ،
فَإِنَّهَا كَحُلَاءٍ ، سَمُوعٌ ، نَجْلَاءُ ، خُمُصَانَةٌ ، هَيْفَاءُ (١)
إِنْ مَشَتْ تَشْتَتُ ، وَإِنْ جَلَسَتْ قَدِنَتْ ، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ
تَغْنَتُ ، تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ ، وَتَذُبُّ بِثَمَانٍ ، فُخْذَيَّهَا كَالْإِنَاءِ
الْمَكْنَى .

فَرَوِي أَنَّ كَلَامَهُ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَمَنَعَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ .

* * *

(١) خُمُصَانَةٌ هَيْفَاءُ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ ، دَقِيقَةُ الْخَاصِرَةِ .

الباب الخامس عشر

نوادِرُ جِجَحا (١)

حَكَى الجاحظُ أنَّ اسمَهُ نوحٌ ، وكُنْيَتُهُ أَبُو الغُصَنِ ،
وأنَّهُ أَرَبِيٌّ عَلَى المَثَلِ .

نَمِ أدْرَكَ أبَا جَعْفَرٍ ، وَنَزَلَ الكَوَافَةَ .

قِيلَ لِجِجَحا : أتعلمتَ الحِسابَ ؟ قال : نَعَمْ . فَمَا
يُشْكَلُ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ . قالَ لَهُ : اقْسِمْ أربَعَةَ دراهِمَ
عَلَى ثَلَاثَةٍ . فُقالَ : لرجلين درهمان ، درهمان ، وليس
لِلثالثِ شَيْءٌ .

وَأَرادَ المَهْديُّ أَنَّ يَعْبَثَ بِهِ فَمَدَّ عَمَّا بَانَطَمَعُ (٢) وَالسَّيْفَ ،

(١) فِي كُتُبِ الأدبِ العَرَبِيِّ شَخْصِيَّتَانِ عُرِفَتَا بِالنَّوادرِ وَالْمَلْعِ . وَكُلُّ
مِنْهُمَا يَمْسَى بِجِجَحا : الأولُ جِجَحا العَرَبِيٌّ والثَّانِيَةُ جِجَحا التُّرْكِيُّ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ
مُؤرِّخُو الأدبِ العَرَبِيِّ فِي إثْبَاتِ شَخْصِيَّةِ جِجَحا العَرَبِيِّ فَظَنُّوا لكَثْرَةِ ما رَوِيَ عَنْهُ
مِنَ نوادرٍ تَخْتَلِفُ فِي الزَّمانِ وَالْمكانِ وَفِي الدَّلالةِ عَلَى ذِكانِهِ الخارقِ ، أَوْ
عَلَى خَبائِهِ المَفرطِ ، أَوْ عَلَى غَفْلَتِهِ وَحِمَقَتِهِ .

(٢) النَطْعُ : بَساطَةٌ مِنَ الجِلْدِ

فلما أُقْعِدَ فِي النُّطْعِ ، وَقَامَ السِّتَافُ عَلَى رَأْسِهِ وَهَزَّ
سَيْفَهُ ، رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ . فَقَالَ : اذْطُرُّ لَا تُصِيبُ
مُحَاجِمِي (١) بِالسِّيفِ ، فَإِنِّي قَدْ احْتَجَمْتُ . فَضَحَكَ
الْمَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ .

وَمَاتَ لِأَيِّهِ جَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ : فَبَعَثَ بِهِ إِلَى السُّوقِ
لِيَشْتَرِيَ لَهَا كَفَنًا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَقَدَّ غَيْرُهُ ، وَحَمَلَ
الْكَفْنَ ، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهَا ، فَجَاءَ جُحَا - وَقَدْ حُمِلَتْ -
فَجَعَلَ يَعْدُو فِي الْمَقَابِرِ ، وَيَقُولُ : رَأَيْتُمْ جِنَازَةَ جَارِيَةٍ
حَبَشِيَّةٍ ، كَفَنُهَا مَعِيَ ؟

وَجَمَعَتْ بِهِ بَغْلَةً يَوْمًا ، فَأَخَذَتْ بِهِ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ
الَّذِي أَرَادَهُ ، فَاتَّقِيهِ صَاحِقٌ . فَقَالَ : أَيْنَ عَزَمْتَ
يَا أَبَا الْغُصْنِ ؟ فَقَالَ : فِي حَاجَةٍ لِلْبَغْلَةِ .

وَمَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِي الْمَوْتِ
وَفِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . فَقِيلَ : إِنَّهَا جِنَازَةُ نَصْرَانِيٍّ . فَقَالَ :
إِذْنًا لَا بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِي الْمَوْتِ ، وَلَا فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

(١) المراد بها مكان الحفنة عند جحا .

وصلّى يقوم ، وفي كُفْمُهُ جَرَّوْ كَلْب ، فلما
ركع سقط الحرو ، وصاح ، وتنحنح الناس . فالتفت
إليهم . وقال : إنّه سَلَوِيٌّ (١) عافاكم الله .

وحمل حرة خضراء إلى السوق يبيعها . فقالوا :
هي منقوبة . فقال : ليس تسيل ، فإنّه كان فيها قُطْنٌ
لوالدني . فما سال منه شيء .

وأعطاه أبود درهما يزنه ، فطرحه في الكِفّة ،
وطرح في الكِفّة الأخرى سَنَجَة درهمين ، وهو يعسبهما
سَنَجَة درهم ، فلم يستويا ، فطرح سَنَجَة الدرهم
على رأس الدرهم ، فكان أقل ، فطرح حبتين أيضاً ،
ثم قال لأبيه : لبس فيه شيء ، ويتقص حبتين .

ونظر يوماً إلى السماء ، فقال : ما أخلاقها بالمطر
لو « كان » متغيمّة .

ورأوه يوماً في السوق يعدو فقالوا : ما شأنك ؟
قال : مرّت بكم جارية رجل مخضوب اللحية ؟
واجتاز يوماً بباب الجامع فقال : ليمن هذا القصر ؟

(١) سلوي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هذا مسجدُ الجامع . قال : رحيمَ اللهَ جامعاً .
ما أحسنَ ما بَنَى مسجدَه ؟ ؟

وذهبتُ أمُّه في عرس ، وتركتهُ في البيت ، وقالتُ
له : احفظِ البابَ . فجلسَ إلى الظهر . فلما أبطأتُ عليه
قامَ ، فقلعَ البابَ ، وحمله على عاتقه .

وماتتُ خالتيه ، فقالوا : اذهبْ ، واشترِ لها
حنوطاً (١) . فقال : أخشى ألاَّ ألحقَ الجنازةَ .

وتبخرتُ يوماً فأحرقْتُ ثيابه . فقال : واللهِ لا تبخرتُ
أبدًا إلاَّ عُرْيَانًا .

* * *

(١) الحنوط - كصبور : كل طيب يحلط للميت .

الباب السادس عشر

نَوَادِرُ أَشْعَبِ (١)

كان يقول : كلني كلبٌ سوء ، يبصيصُ للأضياف
وينبحُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوفُ بالطمع . وقيل له : ما بلغ
مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقلُ هذا إلّا وفي نفسك خيرٌ
تصنعه بي .

ومِنْ عجيب أخباره أنه لم يمت شريفٌ قط من أهل
المدينة إلّا استعدى (٢) أشعبُ على وصيته ، أو وادئه ،
وقال له : احلف أنه لم يؤصر لي بشيء قبل موته .
وقيل له : لقد أقيمت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في
أيام المهدي ، وكان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم فادرة ، وكان
أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حملي الصوت ، وكان
قد نُسك وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حفظت أحاديث تتحدث بها؟؟ قال : أنا أعلمُ الناسَ بالحديث . قيل : فحدثنا . قال : حدثني عكرمة (١) عن ابن عباس ، قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلاّ دخل الجنة . ثم سكت . قيل له : هات ، ما الخلتان ؟ قال : نسبي عكرمة لإحداهما ، ونسيتُ أنا الأخرى .

قال بعضهم : قلت له : لو تحدثت عيني العشيّة ! ! فقال : أخافُ أن يحييَ إنسانٌ ثقيلٌ : قلتُ : ليس معنا ثالثٌ . فمضى معي . فلما صليتُ دعوتُ بالعشاء ، فلم يلبثُ أن جاء صديق يدينُ البابَ ، فقل أشمتبُ : ترى قد صرنا إلى ما نكره ؟ قال : قلتُ له : عيني فيه عشرُ خصال لا يُكرهُ منها حصلةٌ ، فإن كرهت واحدة لم آذنْ له . قال . هات . قلتُ : أولاهن أنه لا يأكلُ . فقال التسعُ الباقيةُ لك . أدخيله

وكان أشعبٌ لا يُغيبُ (٢) طعام سالم بن عبد الله بن عُمَرَ (٣) فاشتبهى سالمٌ أن يأكل مع بناته . فخرج إلى

(١) هو عكرمة بن عمار اليمامي روى الحديث عن طاوس وجماعة .

(٢) لا يغيب : أغب القوم : جادهم يوماً وترك يوماً .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان معاصراً لعمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه .

بُستان له ، فجاء أشعب فخبّر بالقصة ، فاكتسرى جملاً بدرهم . فلما حاذى حائط البستان . وثب ، فصار عليه فغلتى سالم بناتيه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعب : إنك لتعلم « ما لنا في بناتك من حق وإني لتعلم ما نريد » (١) .

قيل : بنت أم أشعب ، فضربت ، وحلبقت ، وحات على بعير يطاف بها ، وهي تقول : من رآني فلا يزني . فأشرفت عليها ظريفة من أهل المدينة . فقالت لها : إنك لمطاعة ! ! نهانا الله عنه ، فما ندعه ، وندعه نقولك ؟ ؟

كان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة ، وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده ، فقدمت إليه في أول ليلة بصالية معقودة ، وكانت تعجبه ، فجعل أشعب يجمع فيها - وزياد يلمحه - فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظن

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك تعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أنه لأهل السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر فليُصَلِّ بهم أشعْبُ . فقال أشعْبُ : لو غير ذلك - أصلحك الله - ؟ قال : وما ذو ؟ قال : أحلفُ أني لا أنوقُ بصليَّةَ أبدا . فمخجلَ زيادٌ . وتغافل عنه .

قال أشعْبُ : جاءني جاريةٌ بدينار . وقالت هذه وديعةٌ عندك . فجعلته بين ثني الفراش . فجاءت بعد أيام فقالت : بأبي . الدينار . فقلت : ارفعي الفراش . وخذري ولدته . وكنت تركتُ إلى جنتبه درهماً . فتركت الدينار . وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدتُ معه درهماً آخر . فأخذته .

وعادت في الثالثة كذلك . فلما رأيتها في الرابعة بكيتُ . فقالت : ما يبكيك ؟ قلتُ مات دينارُك في النفاس . قالت : وكيف يكون للدينار نفاسٌ ؟ ؟ ؟ قلتُ : يا فاسقةُ تصدقين بالولادة ، ولا تصانقين بالنفاس ! ! !

سأل سالم بن عبد الله بن عمر أشعْبَ عن طمعيه ، فقال : قلتُ لصبيان مرةً : اذهبوا . هلما سالم قد فتح

بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمراً . فلمّا احتبسوا
ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغلبتُ في أثرهم .
وقيل له : ما بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دُخانَ
جاري فأتُّردُّ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : لم أر
اثنين قط يتساران إلا ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .
وقيل أيضاً : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيتُ
عروساً بالمدينة تُزفُّ إلا كنتُ بيتي ، ورششته طمعاً
في أن تُزفَّ إليّ .

ووقف على رجل خيْزُراني - وكان يعمل طبياً -
فقال له : وسعته قليلاً . قال الخيْزُراني : وما تريد
بذلك ؟ كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن
يشتريه بعضُ الأشراف ، فيهدي إليّ فيه شيئاً .

(١) أثر : ثرد الخبزفة .

الباب السابع عشر

نَوَادِرُ السُّؤَالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزينَاقين - وهم أنصبُّ (١) من في الأرض - يسأل ، ويقول : تصدَّقوا عليَّ حبباً وكرامةً لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فلنفعتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نفسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغضتهم لعليٍّ - عليه السلام - فأخذ الدرهم مني ، وقال : يا صاحبَ الصدقة ، إن كنتَ تصدَّقْتَ بها عليٌّ وفي قلبك بُغضٌ لأبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ نحالِ المؤمنين رديفِ المصطفى ، وكاتبِ الوحي فقطعَ اللهُ يديكَ ورجليكَ وأعمى عينيك .

قال : فأخذتهُ الدراهمُ من كلِّ جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيراً . ثم مضى فلمحظته . فعلم ما في قلبي . فقال

(١) نصب : احتال.

يَا فَتَى . عَلَى رَسْلِكَ ۱۱ عِنْدَكَ أَنْ هَؤُلَاءِ الْقَرَانِيَّةَ (١)
لَا يَصْدَقُونَ عَلَيَّ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فَرَدُّوا عليه ، وألح
عليهم فَرَدُّوا . فَأُلْحَ ، فمخرجٌ لِرَليهِ بعضهم فقال : عَنَّاكَ
اللَّهُ . أَمَا سَمِعْتَ الرَّدَّ ؟ قال : وَلَكِنِّكُمْ غَمَمْتُسُونِي
فَارْدَفُ أَنْ أَغَمَّتْكُمْ يَا قَرَانِيَّةَ .

أَعْطَيْي سَائِلٌ كَسْرَةً صَغِيرَةً . فقال : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ
تَمَّهَا لُتْمَةً .

قال بعضهم : رَأَيْتُ يَبْغِدَادَ مَكْفُوفًا يَقُولُ : مَنْ أَعْطَانِي
حَبَّةً سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَوْضِ عَلَى يَدٍ مَعَاوِيَةً . فَتَبِعْتَهُ
حَتَّى نَحَلَّتْ بِهِ ، وَاطْمَأْنَنَتْهُ ، وَقُلْتُ : يَا كَذَا (٢) ،
عَزَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْخَوْضِ . فَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ
أُسْقِيَهُمْ بِحَبَّةٍ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
لَا ، وَلَا كَرَامَةً .

(١) القرائنة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) ي كذا : كناية عن مثادانه بلفظ قبيح .

سأل أبو فرعون رجلاً ، فمنعه . فألحَّ عليه فأعطاه
 فقال : اللهم احزننا وإيتناهم . نسألهم للخافاً ، ويعطوننا
 كرهها ، فلا يُباركُ اللهُ لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .
 وقف سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار . فبادر
 صاحب الدار قبل أن يتمَّ السائلُ كلامه ، وقال : صنعَ
 اللهُ لك . فقال السائلُ : يا بنَ البظراءِ كُنتَ تصبرُ حتى
 نسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دعوة .

وقف أعرابيٌّ سائلٌ على باب ، وسأل . فأجابهُ رجلٌ :
 ليس ها هنا أحدٌ . قال : إنَّكَ لاَ أحدٌ أو جعلَ اللهُ فيكَ
 بركةً .

قال الجُمَّازُ (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني
 حُبّاً لأَمينين : جبريل ومعاوية ؟
 وكان آخرُ يقول مَنْ يعطيني قطعةً حُبّاً لهندِ (٢)
 حمزة النَّبِيِّ .

(١) الجُمَّاز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر
 وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .
 (٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول -
 عليه السلام - ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) حاملٍ الأهاز ،
وسأل فأعطوه لقمةً من خُبز ، فسكتَ ساعةً ، ولم
يبرح . ثم صاح ، وقال : هذا الدواءُ لأي شيءٍ
يشفي عيني ؟ وكيف آخذُه ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدَّقوا عليَّ فإنني
جائع . قالوا : لم نخبزُ بعدُ . قال : فكفَّ سويقٌ ؟
قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشرِبةَ ماءٍ فإنني عطشانٌ .
قالوا : ما أتانا السقاء بعدُ . قال : فيسيرَ دهنٍ أضعه على
رأسي . قالوا : ومن أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ
الزُّنى ، فما تعودُكم ها هنا ؟ ؟ قوموا وسلُّوا معي .

وقف سائلٌ على باب دارٍ فقال : تصلِّوا عليَّ .
فقالو جاريةٌ من الدار : ما عندنا شيءٌ نعطيك ،
وسيتي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مأتمٍ أعظمُ من
مأتمِّكم إذا لم يكن عندكم شيءٌ ؟ ؟

وقف آخرٌ بباب فقال : أوسعوا عليَّ ما رزقكم
اللهُ فإنني في ضيقٍ . فقال صاحبُ الدار : إن كنتَ
في الدهليزِ في ضيقٍ فادخلِ الدارَ فإنَّه أوسعُ لك فقال
السائلُ : إنَّما قلتُ : تأمر لي بشيءٍ . قال : قد أمرتك
أنْ تشتريَ لابني قلنسوةً .



الباب الثامن عشر

نَوَادِرُ الْمُعَلِّمِينَ

قال بعضهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذا
معالمٌ قد ضربَ صبيحاً ، وأقام الصبيانَ صمتاً ، وهو
يقولُ لهم : اقرؤوا . ثم جاء إلى صبيٍّ يجنب الصبيُّ الذي
ضربه ، فقال : قُلْ لهذا يقرأ ، فلنبيُّ لستُ أَكَلُّهُ .

قال أبو عثمان : كان ابنُ شُبرمة لا يقبلُ شهادة
المعلم ، وربّما فبلَ شهادةَ المؤدّب .

وكان يحيى بنُ أَكْثَمَ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السّنيُّ بنُ شاهك لا يستحلفُ المكارِي (١) ،
ولا الحائِكَ ، ولا الملائِحَ . ويجعلُ القولَ قولَ المدّعي
ويقولُ : اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ في الحَمَّالِ ومعلّمِ
الكَتَّابِ .

(١) المكارِي : الذي يذبح الناس الدواب يقال كراه مكاراة ،
وكراه : استأجره

وصفت بعضهم معلماً فقال : هو أفره الناس وصيفاً (١) ، وأكثرهم رغباً .

قال بعضهم : مررتُ بمعلم وإذا صبيانهُ يلعبون ويقتتلون ؛ فقلتُ للمعلم : ما بال صبيانك ليسوا يفرقون منك ؟ قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلم . فقال له أبوه : ما له ؟ قال : يصنعُ بي أمراً عظيماً . قال : يستخدمُك ؟ قال : أشدَّ مِن ذلك . قال : فيضربُك ؟ قال : أشدَّ من ذلك . قال : فيعفجُك (٢) ؟ قال : أشدَّ مِن ذلك . قال : فأَيُّ شيءٍ وملك يفعلُ بك ؟ قال : يأكلُ غداي .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صبيينَ ، ويتكبرُ صبيينَ بيديه ، ويقولُ : أربعةٌ وأربعةٌ : ستةٌ . فقلتُ له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةٌ . فكيف يكونُ ثلاثةٌ وثلاثةٌ ؟ قال : صدقت . لم آخذُ جذره .

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أحذقهم خادماً .
(١) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلم ابن^{*} ، فمرض ، فلما نزع
قال : اغسلوه . قالوا . لم يمت بعد . قال : إلى أن
يُفرَّغ من غسله ما (١) قد مات .

وقال شريكه : تعلم الصبيان عليك قميص^{*}
جديد^{*} فيسودونه عليك ؟ قال : قد اشتريت قطناً ، وقلت
لأهلنا : يغزلون قميصاً خلاقاً (٢) .

قال : مررت يوماً بمعلم - والصبيان يحذفون
عينه بالقصب - وهو ساكت فقلت : ويحك !!
أرى منك عجباً . فقال : وما هو ؟ قلت : أراك
جالساً والصبيان يحذفون عينك بالقصب !! فقال :
اسكت : ودعهم . فما فرحي والله إلا أن يُصيب
عيني شيء ، فأريك كيف أنثف لي حتى آبائهم .

كان بمحص معلم يكنى أبا جعفر يتعاطى علم
الحساب ، فصارت إليه يوماً امرأة^{*} ، فقالت : يا أبا جعفر :

(١) (ما) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله
يكون قد مات .

(٢) خلقاً : أيأياً .

فقيرٌ دقيقٌ بشمانيةِ دراهمٍ كم يُصَيَّبُني بأربعةِ دراهمٍ ؟
 فقال لها ، بعد أن فكَّرَ : في هذه المسألةِ ثلاثةُ أقوال :
 أحدهما أنْ تُعطي الرجلَ أربعةَ أخرى ، وتأخذني
 قفيزاً ، والآخر : لك قفيزٌ إلا بأربعةِ دراهمٍ . والثالث :
 تدفعين درهماً درهمٌ ، وتأخذين مكثوك (١) مكثوك
 حتى تستوفين (٢) .

وصار إليه ثلاثةُ « روز جارتين (٣) » قد أخذوا
 أجرهم درهماً فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نقتسم
 الدرهمين ونحن ثلاثة ؟ قال : أسقطوا منكم واحداً ،
 وخذوا درهماً درهماً . قالوا : سبحان الله !! كيف
 نُسقط أحداً وقد عملنا ؟ قال : فزيلوا واحداً
 وخذوا نصفَ نصف . قالوا : كيف نزيد فينا من لم
 يعمل ويأخذ كرائنا ؟ قال : فخذوا نصفاً نصفاً واشتروا
 بالبائِ تمرأ ، وكُلوه .

(١) المكثوك - كتثور - : مكثال يسم صاعاً ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي . هو ظاهر ويستوي في ذلك

عبارة العلم وعبارة السائل

(٣) لفظ فارسي . وأصله علم على نوع من المال

وسأله امرأة ، فقالت : أربعة أرطال تمر بلسهم ،
كم يُصَيِّبُنِي بدائق ونصف ؟ فمكّر ساعة طويلاً ،
وأدخل يديه تحت ذَبايه ، وجعل يحسبُ بهما ثم
أخرج يديه وقد جمعهما ، وقال : كُتْلَةٌ مثلُ هذه
كبيرةٌ .

قال بعضهم مردتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس
عنده من الصبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلّم ، ما فعل
صبيانك ؟ فقال : خَلَفَ الدُّورَ يتصافعون . فقلتُ :
أريد أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدَّ فخطَّ رأسك ،
لا يحسبونك أنا فيصفعوك .

قال : ورأيت معلماً وقد جاء غلامان قد تعاق
أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلّم ، هذا عضّ أذني .
فقال الآخرُ : واللّه ما عضضْتُها ، وإنما هو عضّ
أذن نفسه . فقال له المعلم : يا بنَ الحبيثة . صار
جَمَلًا حتّى يعضّ أذن نفسه ؟

وقال : رأيت معلماً بالكوفة — وهو شيخٌ مخضوبُ
الرأس واللحية — وهو يجلس يبكي فوقعت عليه .

وقلتُ : يا عمّ : مِمَّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ
خبْزِي .

قال : وسمعتُ معلِّماً وهو يقرئُ صبيّاً « (ر وما
أمرُنا إلا واحدةٌ كَلِمَحٍ بِالْبَصَرِ) » (١) والصبيُّ يقولُ :
كأحم بالْبَصِلِ فقال له : يا فاعِلُ ، أحسبك تشتهي
بصليّةً .

قال : وقرأ صبيٌّ على معلِّم « (الذين يقولون لا تُنفقُوا
على مَنْ عند رَسُولِ اللَّهِ) » (٢) فقال المعلمُ : مَنْ عِنْدَ
أبيك القَرْنَانِ (٣) أوّلَى ، فإنه كثيرُ المالِ يا بنَ الفاعلة ،
هو ذا ٩٩ تُلتزمُ النبيُّ نفقةً لا تَجِبُ عليه . أعجبتُ
كثرةَ ماله ٩٩

قال : ورأيتُ معلِّماً وقد جاء صبيٌّ ، فصفّعه صفعةً
عَكْمةً . فقال له المعلمُ : أيّها أصْلَبُ : هذه أم
التي صفّعتك أمْسِرُ ؟

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المائدة) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشرك في قريته .

قال : وكان بالمدينة معلّم يُضْرَبُ في ضَرْبِ الصَّبِيَّانِ ،
ويشتمهُم . فلاموه على ذلك . فسألني أنْ أَقْعِدَ عنده ،
وأشاهدَ حالَهُ معهم ، فقعدتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول :
يا معلّمُ : «(وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ)» (١)
فقال : عليك وعلى أبويك .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : «(فانْجِرْ منها فانك
رجيمٌ)» (٢) قال : ذاكَ أبوك الكَشْخَنَانُ (٣) .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلّم : «(إني أريد أن
أُنْكِحَكَ)» (٤) قال : انكح أمّاك الفاعلة .

وقال آخرُ : يا مُعَلِّمُ : «(ما لنا في بَنَاتِكَ من
حقٍّ)» (٥) قال : لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في
مثلِ هذا وهو يَضْرِبُهُم ، وَيُزْنِيهِم (٦) .

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال .. » .

(٣) الرجل الكَشْخَنَانُ : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقذفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلم وقد جاء صبي صغير ، فصفه .
فقلت له : لِمَ تَدْعُ هذا الصبيَّ يَجْتَرِيْكَ عَلَيْكَ ؟ فقال :
دَعُهُ فإِنِّي أَشْكُوهُ غدا إلى أَبِيهِ .

واستفتح غلامٌ ، فقال : يا معلم «(إن أبي يدعوك)» (١)
فقال : هَاتُمُ (٢) نَعْلَيْيَ . فقال الغلامُ : إِنَّمَا اسْتَفْتَحْتُ .
فقال : قد أَفْكَرْتَ أَنْ يَهْلِكَ أَبُوكَ .

قال معلم الغلام : قُلْ «(قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .
وقد نَجَّاهُ مَنْ دَسَّاهَا)» (٣) . فقال : وقد داسَ مَنْ
نَجَّاهَا . فلم يَزَلْ يَكْرُرُ ذلكَ عَلَيْهِ إلى أَنْ أَعْيَيْتُهُ الْعِلَّةُ .
فقال المعلم : وقد داسَ مَنْ نَجَّاهَا . فقال الغلامُ «(وقد
نَجَّاهُ مَنْ دَسَّاهَا)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لك
إِنَّهُ لَا يَهْلِكُ .

* * *

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نَعُوا : هَاتُوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

فوائد الصبيان

قال رجل لابنه : ما أراك تفلح أبداً . فقال الابن :
إلا أن يرزقني الله مؤدباً غيرك .

قال بعضهم : أحضرت لتعليم المعتز - وهو صغير -
فقات له : بأي شيء تبدأ اليوم ؟ فقال : بالانصراف .

قال بعضهم : رأيت أعرابياً يعاتب ابناً له صغيراً ،
ويذكر حقه عليه . فقال الصبي : يا أبة إن عظيم حقتك
علي لا يبطل صغير حقتي عليك ، والذي تسمت به
إلي أمت بالله إليك ، ولست أقول : إنا سواء ، ولكن
لا يجمّل الاعتناء .

عريانة (١) غلام على قوم ، فأراد عمه أن يعاقبه ،
ويؤدبه ، فقال له : يا عم : إني قد أسأت ، وليس
معي عقلي ، فلا تُسيء بي ومعك عقلك .

(١) العريانة : سوء الخلق .

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المِرْآةَ ، وكان دَمِيماً ، فقال :
الحمدُ لله ، خلقتني فأحسن خالقِي وصوَرني فأحسن
صورتِي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمع كلامه . فلمَّا خرجَ
سألهُ رجلٌ — كان بالباب — عن أبيه فقال : هو
بالبيتِ يكُذِبُ على الله .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صهي — بين يدي
المعتصم (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتَمَهُ : هل
رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفَصِّ ؟ قال :
نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري
أحسنُ أم دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي
مادُمْتُ فيه (٢) .

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا
إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ،
وفتح سورية سنة ٨٢٢ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد
توفي سنة ٨٢٧ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكّر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيًّا قد خرجَ من دارٍ ، ويديه عُودٌ مكشوفٌ ، فقلتُ له : غَطِّهْ لا ذُعِرْتُ . قال : أَوْ يَغْطِّيَ مِن اللَّهِ شَيْءٌ ؟ لا تَكَلِّفْتُ .

قال البلاذري : أدخِلَ الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرشيد ليحبِّبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أهدبَ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فلاني أفوزُ به في الدنيا ، والآخرة ؛ فأمر له بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اختر الأَحبَّ إليك . قال : الأَحبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِن هذين ، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى ولده ، ويُجَرَّى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابنُ الزبير فتهاوَّوا إلاَّ عبدَ الله

(١) يجري عليه : أي يهتَب له جارية : أي راتب .

فلما وقف . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَقِرَّ مع أصحابك ؟
قال : لمْ يَكُنْ لي جُرمٌ فَأَفِرَّ مِنْكَ ، ولا كان الطريقُ
ضيقاً فأوسِّعهُ عليك .

• — •

الباب العشرون

نواذرُ للعبيدِ والمَماليكِ

ولي بعض الأمراء عسوليّ بعد غيبة طويلة فقال :
أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل
مولاي الأمير .

قال الدّارميّ (١) لغلامه : بأبي أنت وأُمِّي لو كان
الحقيقُ مثلَ الطلاقِ لسررتُك بوحدةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام :
إنِ اشتريْتُكَ تُفْلِحُ ؟ فقال : فإن لم تُشترِ .

قال أبو العيْناء : اشترِ للوائقِ (٣) عبدٌ فصيحٌ
من البادية ، فأتيناه وجعانا نكتبُ عنه كلَّ ما يقولُ ،
فلما رأى ذلكَ ميئاً قأب طرفه وقال : « إنَّ ثرابَ
قعرِها ملُتَّهَب » .

(١) هو مستكين الدارميّ الشاعر .

(٢) يقصد أن الحق لا يجرأ ولا ينفذ على مرات كالطلاق .

(٣) اللوائق : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرجل يُسَرُّ الناسُ برويته لا انتفاعهم به
وأصل ذلك : أن الحافر يحفر فإن خرج التراب مُراً
علم أن الماء ملح وإن كان طيباً علم أن الماء عذب
فأنبَطَ (١) وإذا خرج طيباً انتبهه الصبيان .

اشترى بعض الهاشميين غلاماً فصيحاً فبلغ الرشيد
خبره ، فأرسل إليه يطلبه . فقال يا أمير المؤمنين : لم
أشتره إلا لك ، فلمّا وقف الغلام بين يدي الرشيد قال
له : إن مولاك قد وهبك لي . فقال الغلام : يا أمير
المؤمنين ما زلت ولا زلت .

قال : فسّر . فقال : ما زلت لك وأنا في ملكه
ولا زلت عن ملكه ، فأعجب الرشيد به وقدّمه .

قال أبو العيّن : مررت بسوق النخاسين (٢) بالبصرة ،
فإذا غلامٌ يُنادي عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يُساوي
خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أبنّي داراً فدفعته إليه
عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصكُّ عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبط الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صمكتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعُ إليَّ حسابك ، فرفعَ حساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوباً مُصمماً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهلَ المِرْوَآت والآقْدَارِ لا يعيرون على غلمانهم إِذَا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأصمعيَّ وابنَ الأعْرَاجيِّ ولم أدرِ . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوجها فقلتُ يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخيرُ إِلَّا فيَّ . فقلتُ له : قد عزمْتُ على كذا . وتزوجتها ودفعْتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خذْ لنا سمكاً هازلي (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلأفي . فقال يا مولاي : فكثرتُ فإذا بقرأط (٣) يقول : الهازي يُولدُ السَّوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازي : الثعابي .

(٣) اسمك المارماهي : المروف بالقرموط .

أَقْلُ غَائِلَةٌ . قلت : لا الذي بقرط أنت أم جالينوس (١)
وأدخلته البيت وضربته عشرة ، فلما قام أخذني وضربني
سبعة وقال يا مولاي : الأَدبُ ثلاثة وسبعة لها قصاص ،
فغاضني ورميته فشعججته (٢) ، فمضى إلى ابنة عمي وقال
لها : « الدينُ النصيحة » وقال النبي صلى الله عليه :
« من غشَّنَا فليس مِنَّا » . وقال : « مولى القوم منهم » :
وأعلمك أن مولاي تزوج واستنكثني ، فلما
أعلمته أني مُعرفك ما فعل شعبي ، فوجهت إلي
بنت عمي بغليمان ، فبطِحت في الدار وضربتُ
وسمته الذابح ، فما كان يتهيأ لي كلامه . فقلت : اعتقه ،
فلعله يمضي عني ، فلزمي ولدِّي وقال : الآن وجب
حقك علي ، ثم لأنه أراد الحج ، فجهزته ، فغاب عني
عشرين يوماً ورجع فقالت : لم رجعت ؟ فقال : قُطِعَ
علينا وفكَّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

(١) بقرط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شعبي : جرحني في رأسي .

«(وَلَقَدْ عَلِمَ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَةِ إِلَيْهِ
سَبِيلًا)» (١) .

وَكُنْتُ غَيْرَ مُسْتَطِيعٍ وَإِذَا حَقَّكَ أَوْجِبُ عَلَيَّ
فَرَجَعْتُ ثُمَّ لَئِنْهُ أَرَادَ الْغَزْوَ فَجَهَّزْتُهِ ، فَلَمَّا صَارَ
عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخَ بَعْتُ مَا كَانَ لِي بِالْبَصْرَةِ وَخَرَجْتُ
عَنْهَا خَوْفًا أَنْ يَرْجِعَ وَصَرْتُ إِلَى بَغْدَادِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : اسْتَعْرَضْتُ غَلامًا فَقُلْتُ لَهُ : يَا غَلامُ
تَحِبُّ أَنْ أَشْتَرِيكَ . فَقَالَ : حَتَّى أَسْأَلَ عَنْكَ .
أَعْتَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ (٢) غَلامًا ، فَقَالَ الْغَلامُ :
اكْتُبْ كَمَا أُمِّلِي .

قَالَ : فَتَأَمَّلِي . قَالَ : اكْتُبْ : كُنْتُ بِالْأَمْسِ لِي .
فَوَهَبْتُكَ (٣) لِي وَهَبَّاكَ لِي . فَأَنْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَ
صَرْتِ مِثْلِي فَكُتِبَ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ وَزَادَهُ خَيْرًا .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ٩٧ . أَوْهَا «فِي آيَاتِ بَيِّنَاتٍ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ» .

(٢) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ .

(٣) فَسِيرِ الرَّفْعِ يَمُرُّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

قال حمّادُ بنُ إسحاق الموصلي : كان لأبي غلامٍ
يستقي الماء لمن في داره على بغلتين ، فانصرف أبي يوماً
وهو يسرقُ البغلَ وقد قرُب من الحوض الذي يصبُ
فيه الماء . فقال : ما خبرُك يا فتحُ (١) ؟ قال : خبري أنه
ليس في الدار أشقى مني ومناك .

قال : وكيف ؟ قال : لأنك تُطعمهم الخبز وأنا
أسقيهم الماء ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أن أصنعَ
بك ؟ قال : تعتني وتهبُّ لي هذين البغلين ، ففعلَ ذلك .



(١) اسم الغلام .

فهارس السفر الثالث

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الرابع :
٧	لكت من كلام الحكماء
١٥	الباب الخامس :
١٧	جنس آخر من الأدب والحكم وهو ما جاء لفظه الأمر والنهي
٢١	الباب السادس :
٢٣	جنس آخر من الحكم والأمثال والآداب وهو ما كان أوله « من »
٧٥	الباب السابع :
٧٧	في سياسة السلطان وأدب الرعية
٩١	الباب الثامن :
٩٣	نواذر للنساء المواجهن وإلخواري
٩٧	الباب التاسع
٩٩	نواذر القصاص
١١١	الباب العاشر :
١١٣	نواذر القضاة لمن تقدم إليهم
١٢١	الباب الحادي عشر :
١٢٣	نواذر لأصحاب النماء والزناة والزواني
١٢٧	الباب الأول :
١٢٩	كلام زياد وولده
١٣٩	الباب الثاني :
١٤١	كلام الحجاج

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث :	١٥٣
كلام الأحنف	١٥٥
الباب الرابع :	١٦٥
كلام المذهب وولده	١٦٧
الباب الخامس :	١٧٣
كلام أبي مسلم	١٧٥
الباب السادس :	١٧٧
كلام جماعة من الأمراء	١٧٩
الباب السابع :	١٩٣
فضول الكتاب والوزراء وتوليحات ونكت من كلامهم ونوادير لهم	١٩٥
الباب الثامن :	٢١٧
نكت مستحسنة للقضاة	٢١٩
الباب التاسع :	٢٥١
كلام الحسن البصري	٢٥٣
الباب العاشر :	٢٧٧
نكت من كلام الشيعة	٢٧٩
الباب الحادي عشر :	٢٨٣
كلام الخوارج	٢٨٥
مختصر الصاحب في الكشف عن مناهج أصناف الخوارج	٣٠٣
الباب الثاني عشر :	٣٠٩
العلم و التصحيح	٣١١

الموضوع	الصفحة
بعض ما أخذ على العلماء من التصحيف	٢٢٣
حروف و كلمات من المصحف الذي يستعمله الناس عمداً	٢٢٩
حروف و كلمات من المصحف عمداً لا سهواً	٢٣١
الباب الثالث عشر :	٢٣٢
نوادير من النحو واللحن	٢٣٥
الباب الرابع عشر :	٢٤٢
نوادير المختارين :	٢٤٥
الباب الخامس عشر :	٢٥٢
نوادير جحا :	٢٥٥
الباب السادس عشر :	٢٥٩
نوادير أشعب	٢٦١
الباب السابع عشر :	٢٦٧
نوادير السؤال	٢٦٩
الباب الثامن عشر :	٢٧٣
نوادير المعلمين	٢٧٥
الباب التاسع عشر :	٢٨٢
نوادير الصبيان	٢٨٥
الباب العشرون :	٢٨٩
نوادير للعبه والمماثلية	٢٩٩

199Y/0/1 土 0...



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

في الاقطار المهيمنة كما يعادل
٤٥٠ ل. ص.

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل. ص.